

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل (الجنا معة
حاسة داسا



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية
قسم اللغة العربية

العالم الآخر في نهج البلاغة - دراسة أسلوية -

رسالة قَدَّمها الطَّالِب
مُيسر مُحمد سَعِيد مُقتاد المُوسَوِي

إلى مجلس كلية التربية الأساسية – جامعة الكوفة
وهي جزء من مُتطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ الدكتور
حسن حميد الفيّاض

٢٠٢٠ م

١٤٤١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

[سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١ - ٥]

الإهداء

إلى

صاحب الأثر الخالد .. (عليه السلام).....

هُيَاماً وَ وِلَاءً.....

شهداء العراق

تَذْكَرَةً وَعِزّاً.....

شجرة الحنان والرحمة...الوالدين....

بِرّاً وَ إِحْسَاناً.....

رفيقة درب الآمال والآلام.....

وَفَاءً وَ وِدَاداً.....

أهلي وأحبتي في فجر الناصرية.....

حُبّاً وَ شَوْقاً.....

كل من اهتم بي وساندني

عِزّاً وَ شُكْراً.....

مُيسَّر

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل: ١٩.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وله الشكر أولا وآخرا، فهو المعين في المهمات والملجأ في الملمات، ومن شكره شكر أسبابه؛ معلّم الأخلاق والفضائل النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وشكر منارات العلم ومدارس الحكمة أهل بيت العصمة عليهم السلام، وثم الشكر لوالديّ الفاضلين وأهل بيتي على جميل صبرهم معي، فقد كانوا أصبر مني على نفسي؛ والشكر والامتنان إلى كل صديق شجعني وكل زميل أعانني وكل قريب عاضدني.

وشكر موصول إلى عمادة الكلية، وإلى رئاسة القسم متمثلة برئيسها جناب أ. د. عبد الحسن العبودي، وكذلك إلى أساتذتي الفضلاء في القسم جميعهم على ما جادوا به عليّ من جزيل علمهم، ووافر خُلقهم الرفيع: أ.د. ابتسام المدني، أ.د. محمد عبد الزهرة الشريفي، أ.د. ميثم الحمامي، أ.د. عبد الكريم النفاخ، أ.د. عادل النصاروي، أ.د. عصام الغالي، أ.د. عباس الفحام، أ.د. عبد الإله العرداوي، فقد كان لهم الأثر الكبير في تهيئتي لخوض غمار البحث، ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الوافر والامتنان الكبير لأساتذتي في جامعة تلغفر: د. حسين أحمد عباوي، د. هلال محمود الجحيشي، د. صفوان الحيدري، د. مهدي علي القبلان، على ما أفادوني به في الدرس اللغوي، وعلى ما بذلوه من جهد في تأسيس جامعة تلغفر في سنة ٢٠١٠-٢٠١١، والتي كانت بمثابة طوق النجاة لمشواري الدراسي.

وفي مقام تقديم الشكر أود أن أفصح عن عظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة جناب أ. د. (حسن حميد الفياض) لإشارته إليّ باتخاذ كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) محورا للدراسة؛ الكلام الذي وجدته كنزا لا تنفد دُرره ولأجله، وبحرا يكشف للغواص عن ألوان يواقيته المختلفة كلما زاد فيه عمقا، فجزاه الله عني خيرا في الدنيا والآخرة، هذا؛ فضلا عما أفادني به من توجيهاته القيمة وما غمرني به من جميل أخلاقه وسعة صدره. وشكر موصول للأساتذة المحترمين في لجنة المناقشة على قراءتهم هذا البحث المتواضع وتصويبهم أخطاءه، ولسعة صدورهم في مناقشتي وإبدائهم النصائح القيمة لي، وتحملهم عناء الحضور.

الباحث

المحتويات

أ	المحتويات
١	المقدمة
٦	التمهيد
٧	المطلب الأول: تأصيل مصطلح العالم الآخر:
٧	القسم الأول: (العالم) لغة واصطلاحاً:
٧	أولاً: (العالم) لغة:
٩	ثانياً- (العالم) اصطلاحاً:
١٧	القسم الثاني: (الآخر) لغة واصطلاحاً.
١٧	أولاً: - (الآخر) في اللغة:
١٨	ثانياً: - (الآخر) اصطلاحاً:
٢٠	القسم الثالث: دلالات مصطلح العالم الآخر، واختيار الدلالة لموضوع البحث:
٢٤	المطلب الثاني: الأسلوب والأسلوبية:
٢٤	أولاً: التعريف.
٢٧	ثانياً: الاتجاهات:
٢٨	ثالثاً: أهم المبادئ:
٢٩	رابعاً: المناهج:
٣٠	الفصل الأول المستوى الصوتي
٣١	أهمية الدراسات الصوتية:
٣٣	المبحث الأول: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الحروف:
٤٧	المبحث الثاني: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الكلمات:
٤٧	أولاً: التجنيس اللفظي:
٥٥	ثانياً: تجنيس الوزن الصرفي أو المقطعي للكلمات:
٥٩	المبحث الثالث: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الجمل:
٧١	الفصل الثاني المستوى التركيبي
٧٢	أهمية التراكيب:
٧٤	المبحث الأول: الخبر والإنشاء:



٧٤	المطلب الأول: الخبر:
٧٥	القسم الأول: الجملة المؤكدة:
٨٣	القسم الثاني: الجملة المنفية:
٩٤	المطلب الثاني: الإنشاء:
٩٥	أولاً: - أسلوب الأمر:
٩٧	ثانياً: - أسلوب الاستفهام:
١٠٠	المبحث الثاني: الجمل وأحوالها:
١٠٠	المطلب الأول: الجمل الفعلية والجمل الاسمية:
١٠١	القسم الأول: الجمل الفعلية:
١٠٨	القسم الثاني: الجمل الاسمية:
١١٢	المطلب الثاني: التقديم والتأخير في الجمل:
١١٣	القسم الأول: المقتضى الصوتي:
١١٤	القسم الثاني: المقتضى المعنوي:
١١٩	الفصل الثالث المستوى الدلالي
١٢٠	أهمية علم الدلالة:
١٢١	المبحث الأول: علاقة المشابهة:
١٢١	المطلب الأول: التشبيه:
١٢٨	المطلب الثاني: الاستعارة:
١٣٨	المبحث الثالث: علاقة التضاد والتقابل، والعكس:
١٣٨	المطلب الأول: الطباق والمقابلة:
١٤٧	المطلب الثاني: العكس:
١٤٩	الخاتمة:
١٥٣	ملاحق الجداول
١٦١	المصادر والمراجع:
a	Summary

المُقَدِّمَةُ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا دائما متواصلا، وله المَنُّ إِذْ أوجدنا ولمْ نَكُ شيئا مذكورا، وأزكى الصلوات وأتم التحيات على خير خلق الله الهادي البشير والسراج المنير أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، السلام عليهم أجمعين وعلى النبيين والشهداء والصديقين وعلى عباد الله الصالحين. وبَعْدُ:

غَيْرُ خَافِيَةِ المَكَانَةِ السَامِيَةِ الَّتِي حُطِّيَ بِهَا كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالبَلَاغَةِ مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ عَالِيَيْنِ، فَضْلًا عَمَّا تَضَمَّنَهُ مِنْ مَقَامَاتٍ مَوْضُوعِيَةٍ سَامِيَةٍ كَالزَّهْدِ وَالْوَعظِ وَالْحُكْمِ وَالتَّنْبِيهِ؛ حَتَّى عَدَّهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ؛ الْكَلَامَ التَّالِيَّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ الْخَاتَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَدْ اشْتَهَرَ كِتَابُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِجَمْعِ دُرَرِ كَلَامِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَعَزَا جَامِعَهُ الشَّرِيفَ الرِّضِي سَبَبَ تَسْمِيَتِهِ بِهَذَا الْاسْمِ إِلَى أَنَّهُ مَنَهْلٌ عَذْبٌ لِلْفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ وَحَاوٍ عَلَى حَاجَةِ الطَّالِبِ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْفُنُونِ الْأَدَبِيَّةِ، وَهُوَ حَقًّا كَذَلِكَ، وَمِنْ هُنَا تَوَالَتْ عَلَيْهِ الدِّرَاسَاتُ وَالبَحُوثُ وَالشُّرُوحُ وَالتَّرْجُمَاتُ.

وَقَدْ امْتَنَزَ بَعْضُ نَصُوصِهِ بِالْوُقُوفِ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تُدْرِكُ بِأَدَوَاتِ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ - الْحِسِّ وَالتَّجَرُّبَةِ - وَالَّتِي لَا يَسَعُ لِأَيِّ أَحَدٍ الْحَدِيثَ عَنْهَا إِلَّا مِنْ رُكْنٍ غَيْبِيٍّ، كَوَصْفِ الْمَلَائِكَةِ، وَالجَنِّ، وَأَحْوَالِ الْمَوْتَى فِي الْقُبُورِ، وَمَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَخَلْقِ آدَمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَنَظَرًا لِعَدَمِ إِفْرَادِ الْبَاحِثِينَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَعَانِي، أَبْحَاثًا خَاصَّةً، وَقَعَ الْإِخْتِيَارُ عَلَى دِرَاسَتِهَا تَحْتَ عُنْوَانِ (العَالَمُ الْآخِرُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ دِرَاسَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ).

الدراسات السابقة:

رَغْمَ وَجُودِ بَعْضِ الْعَنَاوِينِ الْقَرِيبَةِ مِنْ هَذَا الْعُنْوَانِ إِلَّا أَنَّ مُضَامِينَهَا بَعِيدَةٌ عَنْ مَضْمُونِ عُنْوَانِنَا الْجَدِيدِ؛ كَمَا فِي عُنْوَانِ "الْغَيْبِيَّاتُ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ" رِسَالَةٌ لِعِزْوَانَ عَبْدِ الْكَاسِمِ الْمَرْزُوكِ، إِذْ اقْتَصَرَ فِيهَا مَصَادِيقُ الْغَيْبِيَّاتِ عَلَى مَعْنَى الْأَحْدَاثِ وَالْوُقَائِعِ الَّتِي سَتَحْدُثُ فِي الْأَزْمَانِ الْقَادِمَةِ مِنْ عَالَمِ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ عُنْوَانُ "نُصُوصُ الْخَلْقِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ"، رِسَالَةٌ لِمَهْدَدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ جِبَارِ الْخَالِدِيِّ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْ دِرَاسَةُ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، مِنْ

خلق الأفلاك والسموات، وقسم منها يخرج عن إطار دراسة العالم الآخر في البحث القائم، بحسب ما سيتم اختيار الإطار المدروس له في التمهيد: كخلق الإنسان، وخلق الحيوانات مثل: (الخفاش والطاووس والطيور والجرادة والنملة والذباب)، فضلاً عن اختلاف منهج الدراسة بينهما، ودراسات أخرى اختلفت في النصوص المختارة، أو في منهج البحث.

مشكلة البحث:

وتكمن المشكلة في تَضَمُّن نهج البلاغة موضوعات غريبة على الطبع البشري، وبعيدة عن مجال إدراكه؛ هذه الغرابة قد تُلقِي بظلالها على النص؛ ويفترض البحث أَنَّ الخِطاب فيما يمتنع إدراكه بالحواس العقلية، قد يَتَطَلَّب اتخاذ أساليب لغوية خاصة، من شأنها اجتياز محدودية الإدراك الحسي لدى المتلقي، لفهم هذه المعاني الغريبة على طبعه، أي: يُمكن عِبَر هذا البحث الإجابة على الأسئلة الآتية:

ما الأساليب اللغوية المستعملة في وصف العالم الآخر، وكيف وُظِّفَت هذه الأساليب في خدمة معاني موضوعاتها؟ وما الأغراض من وراء نقل هذه المعاني الغريبة؟ أمّا الغاية المتوخاة من هذه الدراسة فهي بيان مقاصد المنشئ في وصف العالم الآخر، والكشف عن شخصيته الفكرية والفلسفية؛ وذلك من خلال التركيز على التعبيرات المُبَرَّزة بوساطة تحليل الأسلوب في ميادين الصوت والتركيب والدلالة، اعتقاداً بوجود علاقة بين دلالة صيغة التعبير وبين شخصية المبدع ومقاصده، وإيماناً بظاهرة الاختلافات الفردية في استعمال اللغة.

منهج الدراسة:

وتم اختيار نوع الدراسة "أسلوبية" لسَعَةِ مناهجها؛ إذ أن مناهجها الحديثة ولا سيما المنهج الوصفي التحليلي استطاعت لَمَّ شتات كثير من المناهج التي تقيدت بجانب واحد من اللغة؛ فلاحظت النص من جميع زواياه، البنيوية والسياقية وبقية الجوانب، متكئاً على اللغة كأصل وبداية، و متمحوراً حولها، مُستعيناً ببقية الجوانب بحسب الحاجة، وكذلك استعان البحث بالمنهجين الإحصائي والمُقَارَن كأداتين مساعدتين غير لازمتين، ويتوجه البحث إلى اتخاذ اتجاه علم الأسلوب الفردي في دراسة أساليب نصوص العالم الآخر، وذلك لملاءمته لدراسة نصوص نهج البلاغة؛ إذ تُحْصُ هذه النصوص مُنْشِئاً مُعَيَّناً، وهو الإمام (عليه السلام)؛ فهذا الاتجاه يدرس التعبيرات في علاقته بالشخص المتحدث به؛ ويحدد بواعثها وأسبابها، ويُعْنَى بالمقاصد.

خطة البحث:

وجاءت خطة البحث من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة؛ والتمهيد تضمن مطلبين؛ الأول: تأصيلُ وافٍ لمصطلح العالم الآخر ليتسنى معرفة المقصود من العنوان وعلى وجه الدقة، وذلك عبرَ تنبُّع المعاني المعجمية والاصطلاحية لكلِّ من المفردتين (العالم) و(الآخر) كقسمين رئيسين، يزدفهما قسم ثالث للتعرف عِبرهما على دلالات المصطلح، ثم اختيار ما يُناسب منها موضوعَ البحث، والمطلب الثاني: تعريفُ بالأسلوبية، ودراسة اتجاهاتها، ومبادئها، وتتلو التمهيد ثلاثة فصول تُمثِّل ثلاثة مستويات لغوية: الفصل الأول: المستوى الصوتي، وينقسم على ثلاثة مباحث حسب الكمية الصوتية، فكان المبحث الأول: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الحروف، والثاني: ضمن مستوى الكلمات، والثالث: ضمن مستوى الجمل، والفصل الثاني: المستوى التركيبي، وينقسم على مبحثين تحتها مطلب، فكان المبحث الأول: في الخبر والإنشاء، والثاني: في الجمل وأحوالها، والفصل الثالث: المستوى الدلالي، وينقسم على مبحثين، الأول: الدلالات البيانية القائمة على علاقات المشابهة، وينقسم على مطلبين: التشبيه والاستعارة، والمبحث الثاني: الدلالات المعجمية القائمة على علاقة التضاد والتقابل، وينقسم على مطلبين: الأول: الطباق والمقابلة، والثاني: العكس، ثم خاتمة لتسجيل أهم نتائج البحث وما تميزت به نصوصه من مميزات أسلوبية، في المستويات الثلاثة، وأهم مقاصد الإمام (عليه السلام) من وراء ذلك.

مصادر البحث:

واعتمد البحث في نصوصه على نسخة من كتاب "نهج البلاغة" مُحَقَّقة ومُضَبَّطةٍ نصوصها على أربع نسخ خطية قديمة، من قِبَل الشيخ قيس بهجت العطار، وهو كتاب من جزء واحد، وتم اختيارها لما فيها من الدقة العالية في ذكر الفروق بين النسخ الأربعة، ومهما كان الفرق صغيراً، ومقارنة هذه النسخ بنسخ أخرى، أما في الدراسات الأسلوبية، فاعتمد على مصادر أهمها: "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، لصالح فضل"، و"مدخل إلى علم الأسلوب، لشكري عياد" و"الأسلوبية الرؤية والتطبيق ليويسف ابو العدوس"، و"البلاغة والأسلوبية، لمحمد عبد المطلب" و"الأسلوبية والأسلوب، لعبد السلام المسدي"، وأما في معاني النصوص وشرحها فاعتمد على أهم شروحات نهج البلاغة المشهورة، منها: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ)، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٤هـ) - والذي قد

بدأ الاعتماد عليه في البحث أكثر من غيره؛ ولكن ذلك لم يكن لتفردّه بما جاء في البحث؛ وإنما لكونه قد نظر إلى آراء الشراح السابقين وفصل فيها وناقشها وناظر فيما بينها، فضلا عن رأيه الخاص، أي أنّ ما يذكره هو، يُمكن عدّه خلاصةً لآراء الشراح الذين سبقوه -، وأمّا في المعاني اللغوية فقد اعتمد البحث على مُعْجَمَات قديمة أساسية: أهمها مُعْجَم: العين، والتهذيب، ومقاييس اللغة، والصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، ومن المحدثين: "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)"، للدكتور محمد حسن جبل، ومن كتب علم الأصوات أبرزها: "الخصائص" لابن جني، و"النشر في القراءات العشر"، لابن الجزري، و"خصائص الحروف العربية ومعانيها"، لحسن عباس، ومن كتب البلاغة أهمها: "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" للشيخ عبد القاهر الجرجاني، و"عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" لبهاء الدين السبكي، وكتب أخرى منها للمحدثين، ومن كتب النحو أبرزها: "كتاب سيبويه" و"مغني اللبيب"، و"إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه"، د. زهير غازي زاهد، وغيرها من الكتب؛ كتفاسير القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

صعوبات البحث:

وعرّضت للبحث صعوبات أهمها: جدّة الدراسة الأسلوبية على الباحث، ومشكلات شخصية؛ ولا سيما الظروف المعقدة التي تولدت جرّاء الهجرة المفاجئة من مسقط الرأس (محافظة نينوى)، بسبب سوء الأوضاع الأمنية فيها عام (٢٠١٤م)، وكذلك الظروف التي أعقبتها والمتمثلة بالعودة إلى الديار في أجواء غير مستقرة ولا خادمة للبحث والدراسة.

وختاماً أقول إنّ أصبْتُ في شيء من عملي هذا، فهو من فضل الله ربّي عليّ، وما أخطأته فهو من تقصيري وجهلي، وآخر دعواي أنّ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

الباحث



التّمهيد

المطلب الأول: تأصيل مصطلح العالم الآخر:

القسم الأول: (العالم) لغةً واصطلاحاً.

القسم الثاني: (الآخر) لغةً واصطلاحاً.

القسم الثالث: دلالات مصطلح العالم الآخر، واختيار الدلالة لموضوع البحث.

المطلب الثاني: الأسلوب والأسلوبية:

أولاً: التعريف.

ثانياً: الاتجاهات.

ثالثاً: أهم المبادئ.

رابعاً: المناهج.

المطلب الأول: تأصيل مصطلح العالم الآخر:

القسم الأول: (العالم) لغة واصطلاحاً:

أولاً: (العالم) لغة:

جاء في معجم العين: ((الْعَلَمُ: الْجَبَلُ الطَّوِيلُ... وَالْجَمْعُ الْأَعْلَامُ. وَالْعَلَمُ الرَّايَةُ، إِلَيْهَا مَجَمَعَ الْجُنْدُ. وَالْعَلَمُ عَلَمُ الثَّوْبِ وَرَقْمُهُ. وَالْعَلَمُ مَا يُنْصَبُ فِي الطَّرِيقِ لِيَكُونَ عَلَامَةً يُهْتَدَى بِهَا. وَالْعَلَمُ مَا جَعَلْتَهُ عَلَمًا لِلشَّيْءِ... وَالْمَعْلَمُ: مَوْضِعُ الْعَلَامَةِ. وَالْعَيْلَمُ: الْبَحْرُ، وَالْمَاءُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَرْضُ، وَيُقَالُ: الْعَيْلَمُ: الْبَيْتُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ))^(١).

وهذه المعاني لمفردة (العلم)، ذُكرت في كثيرٍ مِنَ الْمُعْجَمَاتِ^(٢)، ومنهم من زاد معاني واشتقاقات وتصاريح أخرى؛ ففي الصَّحاح قوله: ((وَأَعْلَمَ الْقَصَّارُ الثَّوْبَ، فَهُوَ مُعْلِمٌ، وَالثَّوْبُ مُعْلَمٌ. وَأَعْلَمَ الْفَارْسُ: جَعَلَ لِنَفْسِهِ عَلَامَةَ الشُّجْعَانِ، فَهُوَ مُعْلِمٌ... وَالْمَعْلَمُ الْأَثَرُ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ. وَالْعُلَامُ بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ: الْحِنَاءُ))^(٣)، وفي التكملة للصَّحاح قوله: ((وَالْعَلَامَةُ: مَا تَجْعَلُهُ مَعْلَمًا مِنْ مَكَانٍ أَوْ غَيْرِهِ))^(٤). وفي لسان العرب: ((وَالْعَلَمُ وَالْعَلْمَةُ وَالْعُلْمَةُ: الشَّقُّ فِي الشِّفَةِ الْغُلْيَا... وَعَلَّمَ نَفْسَهُ وَأَعْلَمَهَا: وَسَمَّاهَا بِسِمَا الْحَرْبِ. وَرَجُلٌ مُعْلِمٌ إِذَا عَلِمَ مَكَانَهُ فِي الْحَرْبِ بِعَلَامَةٍ أَعْلَمَهَا؛ وَأَعْلَمَ حَمَزَةً يَوْمَ بَدْرٍ... وَأَعْلَمَ الْفَرَسَ: عَلَّقَ عَلَيْهِ صَوْفًا أَحْمَرَ أَوْ أَبْيَضَ فِي الْحَرْبِ... وَقَدَحَ مُعْلَمٌ: فِيهِ

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد - العراق، ١٩٨٠م، مادة: (علم)، ١٥٢/٢، ١٥٣.

(٢) ينظر: الصَّحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت ٤٠٠هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ٤٤، ١٩٨٧م، ٥/١٩٩٠، و: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، دمشق - سوريا، ط ١، ١٤١٢هـ، ٣٤٤/١، و: الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري (ت ٥١١هـ)، تح: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - عُمان، ط ١، ١٩٩٩م، ٤٩٨/٣، و: لسان العرب، ابن منظور الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤١٤هـ، ١٢/٤١٩، ٤٢٠، و: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط، د. ت، ١٣٠/٣٣.

(٣) الصَّحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، ١٩٩٠/٥.

(٤) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، تح: مجموعة من المحققين، مطبعة دار الكتب، القاهرة - مصر، د- ط، ١٩٧٩م، ١٠٠/٦.

علامة... والعلامة والعلم: الفصل يكون بين الأرضيين. وأعلام القوم: ساداتهم، على المثل. ومعلم الطريق: دلالة^(١).

وفي مقاييس اللغة أصل مادة (ع. ل. م): ((أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، من ذلك العلامة، وهي معروفة، يقال: علمتُ على الشيء علامة، ويقال: أعلمُ الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب... والعلامة فيما يقال: الحناء؛ وذلك انه إذا خُصِبَ به فذلك كالعلامة. والعلم: تقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة، والدليل على أنهما من قياس واحد قراءة بعض القراء [شدوذا]^(٢): {وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ}، قالوا: يراد به نزول عيسى عليه السلام، وإن بذلك يُعلم قرب قيام الساعة... والباب كله قياس واحد^(٣).

وفي المعجم الاشتقاقي المؤصل لمادة (ع. ل. م): ((أن المعنى المحوري هو الدلالة والهداية إلى معنى: اتجاه أو طريق أو حدّ أو غير ذلك. فالارتفاع ارتفاع تراكمي قوي المادة... وفي الفلوات لم يكن يتأتى الرفع اللافت إلا بركم حجارة كثيرة بعضها على بعض حتى ترتفع، وكون ذلك التراكم دالاً أي لافتاً إلى معنى هو الذي يحقق الهدف من هذه الأعلام. فلا بد أنهم حرصوا على أن تكون لافتة بارتفاعها حتى تُرى من بعيد ولا تخفى... وفي معنى التراكم العيلم: البئر الكثيرة الماء، ثم إنهم عموماً استعمال اللفظ في كل ما يدل على شيء ما، فكلها تدل على أثر ظاهري... ومن ذلك المعنى المحوري أخذ معنى العلم وهو "الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع"... ويؤخذ من الأصل اتساع معنى العلم ليشمل أنواعاً؛ علمت بالشيء: شعرت به^(٤) وأحسست به، ويستعمل بمعنى المعرفة ﴿لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: من الآية ٦٠] وبمعنى، ما يتكون في القلب من حكم على الشيء ﴿فَإِنَّ عِلْمَهُمْ مُّؤْمِنَةٌ﴾ [سورة الممتحنة: من الآية ١٠]^(٥).

(١) لسان العرب، ٤١٩/١٢.

(٢) أما القراءة المشهورة هي: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: من الآية ٦١]، بكسر العين وسكون اللام.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق - سوريا، د - ط، ١٩٧٩م، مادة: (علم): ٤/ ١٠٩، ١١٠.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ٣/ ١٥١٢-١٥١٤.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن، ١/ ٥٨٠، و: م، ن.

ثانياً - (العالم) اصطلاحاً:

جاء في التعريفات للشریف الجرجاني: العالم ((عبارة عما يُعَلَّم به الشيء))^(١)، ثم غلبَ على ما سوى الله تعالى لأنه مما يُعَلَّم به الصَّانِع؛ فالعالم آلة في الدلالة على مُوجِدِهِ^(٢)، وقالوا: لذلك بُني على مثال فاعل لكونه كالآلة؛ كما قالوا: خاتَمَ وطابَع ودانَق^(٣)، ولأبي البقاء الكَفَوِي بيانٌ دقيقٌ جداً لهذا القول وهو أنَّ ((العالم اسم لما يُعَلَّم به، أي يَقَع العِلْمُ به ويَحْصَل، أَعْمُ مما يُعَلَّم به الصانع أو غَيْرُهُ، كَالخاتَم اسم لما يُخْتَم بِهِ، والقالب لما يُقْلَب بِهِ))^(٤).

والعالم جاء بمعاني الكثرة والجماعة وغير المحصورة في عدد،^(٥) ومما لا واحد له من لفظه كالرَّهْط والأَنام،^(٦) وقال الصُّحاري: إنه ((سُمِّي عالماً للاشتهار والوضوح به، ومنه: المَعْلَم... وإليه يرجع معنى العلامة، ولذلك سُمِّيَ الجبلُ علماً، لشهرته ووضوحه))،^(٧) وذكر مصطفى الخميني أنَّ العالم قد يكون موضوعاً ((لمعنى يَقْرُب من معنى المحيط، فيقال: عالم الخلق، أي محيطه، وعالم الآخرة والدنيا، أي محيطهما، ويناسب ذلك الاستعمال الرَّائِج اليوم كقولهم: عالم الإنسانية، وفي عالم الفلسفة والعرفان، أو في عالم الذوق والشعر))^(٨)، أي ما يحيط وما يتعلق بشأنه من أمور.

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشریف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٣م، ١/١٤٥.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣٣/٣٣، و: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط ١، ١٩٩٦م، ٢/١١٥٧.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهری (ت ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م، ٢/٢٥٣، و: المفردات في غريب القرآن، ١/٣٤٤.

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ١/٦٣٧.

(٥) ينظر: م، ن، ١/٦٣٨، وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م، ١/١٤٤.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٨م، ١/٤٦، وينظر: الإبانة في اللغة العربية، ٣/٤٩٩.

(٧) الإبانة في اللغة العربية، ٣/٤٩٥.

(٨) تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط ١:

و(العالمون) جمع عالم: وقال ابن سيده: ((ولا يُجمع شيء على فاعل بالواو والنون إلا هذا))^(١)، وقيل إنما ساغ هذا الجمع مع عدم العلمية والوصفية؛ لوجود معنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم، أي لمشابهة هذا الاسم الصفة من جهة أن فيه دلالة على معنى زائد على الذات بخلاف لفظ الإنسان مثلاً فإنه لا دلالة فيه على ذلك^(٢)، ومن العلماء من ذهب إلى أنه يُجمع على عوالم، وعالمون؛ ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة، فكل جنس من الخلق في نفسه معلّم وعلم، وقد روي إن لله ثمانية عشر ألف عالم^(٣)، أمّا جمعه جمع السلامة فقليل تغليباً للعلاء منهم كسائر أوصافهم^(٤)، وقال الشيخ البهائي أن ((لفظ العالمين بمنزلة جمع الجمع فكما أن "الأقارب" يتناول كل واحد من آحاد الأقوال كذلك هذا اللفظ يتناول كل واحد من آحاد الأجناس))^(٥)، وقالوا أن ((العالمين تقوله العرب جميعاً بالياء على كل حال إلا قوماً من بني كنانة ومن بني أسد يقولون في الرفع بالواو، والنصب بالجر بالياء. وكذلك هؤلاء يقولون في "الذين" في الرفع: الذون، وفي النصب والخفض: الذين، بالياء))^(٦).

وقد اختلفت آراء العلماء في بيان حقيقة ومفهوم مفردة (العالم)، وما يندرج تحتها من مضامين، ويمكن تقسيم هذا الاختلاف على مستويين: دلالة صيغة الجمع، ومضمون الجمع:

المستوى الأول: الاختلاف في دلالة صيغة جمع العالم: فقد ذهب بعض العلماء ومنهم الزمخشري في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] أن العالم ((جمع ليشمل كل

(١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن سيده المرسى، (ت ٤٥٨هـ) تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ٢٠٠٠م، ١٧٧/٢، وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣٣/٣٣.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جابر الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٩٩٨م، ٢٨/١، و: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٦٣٨.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: (علم)، ١١٠/٤، ولسان العرب، ٤٢١/١٢.

(٤) ينظر: شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، محمد بن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ)، تح: الدكتور علي حسين البواب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٩٨٣م، ٤٣/١، و تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣٣/٣٣.

(٥) مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، الشيخ البهائي، تح: مهدي الرحابي، مؤسسة الاستانة الرضوية المقدسة - إيران، ط ٢: ١٤٢٩هـ، ٣٩٩/١، و: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٦٣٧/١.

(٦) الإبانة في اللغة العربية، ٤٩٩/٣، وينظر: المفردات في غريب القرآن، ٥٥/١.

جنس سمي به))^(١)، وذكر محقق الكشف في تعليقه اعتراضاً على هذا القول وحجته أن العالم ((اسم جنس عُرف باللام الجنسية، فصار العالم - وهو مفرد - أدل على الاستغراق منه جمعاً))^(٢)؛ فلا حاجة لجمعه إن كان المراد به الاشتمال والاستغراق، والكفوي يوافق الزمخشري، رغم إقراره بأن المفرد مع اللام أشمل من الجمع؛ ولكنه علل ذلك وخزجه بقوله: ((لأنه لو أُفرد لربما يتبادر إلى الفهم أنه إشارة إلى هذا العالم المُشاهد بشهادة العُرف، وإلى الجنس والحقيقة على ما الظاهر عند عدم العهد فجمع ليشمل كل جنس سمي بالعالم إذ لا عهد))^(٣) وذكر رأي لابن مالك؛ و ((هو كون العالم اسم جمع محمولاً على الجمع، لأنه لو كان جمعاً لعالم لزم أن يكون المفرد أوسع دلالة من الجمع، لأن العالم اسم لما سوى الله تعالى، والعالمين خاص بالعقلاء))^(٤).

ووضح محقق "الكشاف" أن الجمع ليس لشمول الأجناس بل فائدته هو للإشعار باختلاف الأنواع، وأن اختلافها لا ينافي استغراقها بصيغة المفرد التي تم إقرارها في تعريف الجنس وقال: فإن ((المفيد لاختلاف الأنواع: الجمع، والمفيد لاستغراق جميعها: التعريف؛ لذا نرى أنه إذا جمع مجرداً من التعريف دل على اختلاف الأنواع، ثم إذا عُرف أفاد استغراقاً غير موقوف على الجمعية))^(٥)، ونظراً للاختلاف في صيغة الجمع؛ قال العلماء فيه قولان:

أولاً:- العالم: ((كل ما سوى الله من الموجودات؛ لأنه يُعلم به الله من حيث أسماؤه وصفاته))^(٦) قاله الشريف الجرجاني وأيده العديد من العلماء ومنهم المتكلمون والمناطقية^(٧)، وقيل لهذا أحالنا عليه تعالى في معرفة وحدانيته^(٨).

(١) الكشف، ٢٧/١.

(٢) م، ن.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٦٣٧/١.

(٤) شرح كفاية المتحفظ، ٤٤/١.

(٥) الكشف، ٢٧/١.

(٦) التعريفات، ١٤٥/١.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ٤٦/١، و: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب-القاهرة-مصر، ط ١: ٢٠٠٤ م، ٧٣/١، و: التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان، دار الكتب العلمية، ط ١: ٢٠٠٣ م، ١٤٢/١.

(٨) ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي، تح: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق - سوريا، ط ١، ١٤٠٨ هـ، ٦٤/١، و: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث، القاهرة، د - ط، ١٩٩٦ م، ٩٥/٤.

ثانياً:- العالم اسم لكل جنس من المخلوقات، وقيل هو في الأصل اسم لذوي العلم وتناولوه لغيرهم بالتبع، وذكر الكفوي أن بعضهم قال: هو اسم ((لكل جنس يُعَلَّم به الخالق سواء كان من ذوي العلم أو لا، وليس اسماً لمجموع ما سوى الله بحيث لا يكون له أفراد بل أجزاء فيمتنع جمعه)).^(١)

ويشير القاضي "تكري الأحمد" إلى أنه قد يقع التوهم من التعريف الأول في ((اختصاص إطلاق العالم على مجموع ما سوى الله تعالى حيث بين الموصول بصيغة الجمع وقال من الموجودات؛ وليس كذلك لما مر من جواز إطلاقه على كل واحد من الأجناس ولأنه لو كان اسماً للكل لا لكل واحد من الأجناس لما صح جمعه في قوله تعالى ﴿رَبِّ الْمَلَكِ﴾ [الفاحة: من الآية ٢٢])^(٢)، وللتخلص من هذا الخلط والتوهم ذهب جماعة، إلى وجود استعمالين للمصطلح عند العلماء، وأنه قابل للصدق على الكلّ والجزء؛ فتارة يطلقونه بمعنى ما سوى الله تعالى كما هو إطلاق المتكلمين والمناطق، لأنه يُعَلَّم به الله تعالى من حيث أسماؤه وصفاته؛ كما يقال عالم المخلوقات أو عالم الممكنات، وتارة يطلقونه على بعض أصناف الموجودات، وأجناسها كما يقال عالم الملائكة وعالم الإنس، وإنما يقصدون إلى جمعه على هذا الاستعمال الثاني، إذ هو بالاستعمال الأول لا يُجمع لعدم جريان التعدد فيه، وعليه فلا يكون المفرد أوسع دائرة من جمعه كما قاله ابن مالك لاختلاف المجموع^(٣).

المستوى الثاني من الاختلاف في مضمون الجمع (للعالمين): إذ ذكر الذين قالوا بتعدد العوالم، آراء عديدة ومختلفة في تحديد أجناسها، ويمكن درج آرائهم نزولاً من الدائرة الأوسع إلى الدائرة الأضيق، مع الأخذ بنظر الاعتبار ذكر اختلافهم في مصدر اشتقاق لفظ العالم؛ لأنه كان سبب الاختلاف في تحديد مضامينه عند بعضهم؛ حيث قيل في اشتقاقه قولان: الأول: من العلم والثاني: من العلامة؛ وبين ذلك "النوي" بقوله: ((واختلفوا في اشتقاقه فقيل من العلامة لأن كل مخلوق هو دلالة على وجود صانعه وعظيم قدرته وهذا يتناول كل المخلوقات ودليله قولهم العالم

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٦٣٧/١، وينظر: الكشف، تعليق المحقق، ٢٧/١.

(٢) دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية، القاهرة-مصر، ط١: ١٩٩٠م، ٢١٤/٢.

(٣) ينظر: مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، ٣٩٩/١، و: شرح كفاية المتحفظ، ٤٤/١، و: تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني ٣٥٦/١.

مُحَدَّثٌ، وقوله تعالى: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿[الشعراء: من الآية ٢٤، ٢٣]، وقيل مُشْتَقٌّ من الْعِلْمِ وهذا على مذهب من يَخْصُهُ بِمَنْ يَعْقِلُ﴾^(١)، وإليه ذهب الزبيدي بقوله: ((والحقُّ أنَّه من الْعِلْمِ مُطْلَقاً))^(٢)، وهذا البحثُ يُرَجِّحُ كونه من الْعَلَامَةِ؛ استناداً إلى أمرين؛ الأول: ما جاء في الْمُعْجَمَاتِ -كما سبق- من المعاني المحسوسة لِـ "العَلَم"، والثاني: قاعدة ((نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات، ثم تطورت إلى الدلالات المجردة))^(٣).

وهناك من قال إنه غير مشتق بل هو جامد؛ كقول ابن عقيل: ((و"عالمون" جمعُ عالم، وعالمٌ كرجل اسمُ جنس جامدٌ))^(٤) وعلمه "مصطفى الخميني" بأن أصل معنى العالم أمر غير ذي عقل، ولا ينبغي الخلط بين معناه الموضوع له والمراد من العالمين في القرآن الكريم وقال: هو بحسب الأصل مشتق، ((ولكنه في هذه الأعصار ليس من المشتقات الاصطلاحية حتى يكون لمادته وضعٌ ولهيئته وضعٌ آخر، بل هو من الجوامد... فلكثر استعماله في هذه الموارد ولا سيما في الكتاب [القرآن]، كأنه صار موضوعاً لمعنى أخص، أو صارت الكلمة ذات وضع شخصي بهيئتها ومادتها معاً كخاتم))^(٥)، وكذلك في "زهرة التفاسير": أنَّ العالم ((كل موجود غير الله تعالى، ولكن إذا جاءت (عالمون) بجمع المذكر العاقل، أريد بها العقلاء ممن خلق الله تعالى))^(٦)، فصار اختلاف العلماء في عدد الأجناس وأنواعها الواقعة تحت هذا المسمى، على النحو الآتي:

١- اسم لكل جنس من المخلوقات، وقد تم تفصيله في المستوى الأول من الاختلاف.

٢- العالم: اسم لكل جنس ذي روح من عاقل وبهيمة.^(٧)

(١) تحرير ألفاظ التنبيه، ٦٤/١، وينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ٦٩٠/٧.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، ١٣٤/٣٣.

(٣) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط ٥، ١٩٨٤م، ١٦١.

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة - مصر، ط ٢٠، ١٩٨٠م، ٦٣/١.

(٥) تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، ٣٤٤/١، ٣٤٥.

(٦) زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد، (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، مصر، (د. ط): (د. ت)، ٥٨/١.

(٧) ينظر: كتاب الجرائيم، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، تح: محمد جاسم الحميدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، (د. ط): ١٣٥/١، ١٩٩٧م، والإبانة في اللغة العربية، ٤٩٨/٣.

٣- العالم: لجنس العقلاء فـ((العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين))^(١) الجن والإنس، وذكر الكفوي أنه بإجماع المفسرين^(٢)، ودليلهم قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} بفتح اللام على غير قراءة عاصم^(٣)، لأن الآيات لا تكون لغير العقلاء^(٤).

٤- العالم اسم جنس للثقلين، الجن والإنس فقط، ودليلهم قوله تعالى: ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: من الآية ١]، فالرسول منذر للجن والإنس، دون غيرهما^(٥).

٥- العالم هو الدنيا وما فيها؛ فيقال: ((إلى فلان تدبير العالم، يعنون الدنيا))^(٦).

٦- وقيل: ((الآدميون خاصة وحكوه عن الحسين بن فضل وأبي معاذ النخوي))^(٧).

٧- كل دهر أو قوم هو عالم: فكل ((قوم اجتمعوا في معنى ما في زمان واحد: عالم، وأصل العالم الكثرة والجماعة))^(٨).

٨- وأجناس أخرى أطلقت قديما وحديثا من خلال إضافة (العالم) إلى مجموعات معينة؛ فيقال: ((العالم السفلي ويعنون الأرض وما عليها والعالم العلوي يُريدون السماء وما فيها))^(٩)، ونسمع كثيرا: عالم الحيوان وعالم النبات، وفي زماننا: فلان اكتسب شهرة في عالم السياسة، وعالم الرياضة، وفلان مولع بعالم السيارات، وعالم الأطفال، وعالم "حواء"،... والعالم الجديد: أمريكا، والعالم القديم: أوروبا وآسيا وإفريقيا، وغيرها كثيرة متعارفة عليها في زماننا.

(١) الكشف، ٢٧/١.

(٢) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٦٣٩/١.

(٣) والقراءة المشهورة هي: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: من الآية ٢٢]، بكسر اللام، وهي قراءة عاصم.

(٤) ينظر: الكشف، ٢٧/١، و بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٩٥/٤، و: م، ن، ٦٣٩/١.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ٢٥٢/٢، و: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث

العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٠ هـ، ٢٤/٢٥، و: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ٦٣٩/١.

(٦) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تح: بيت الله بيّات، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة

المدرسين، قم - إيران، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١/٣٤٧، وينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٦٩٠/٧.

(٧) تحرير ألفاظ التنبيه، ٦٤/١.

(٨) معجم الفروق اللغوية، ٢٧٥/١، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود

البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر، الرياض - م. ع. السعودية، ط ٤، ١٩٩٧ م، ١/١٢٥.

(٩) معجم الفروق اللغوية، ٢٧٥/١، وينظر: التعريفات الفقهية، ٣٥/١.

يُلاحظ مما سبق أن معنى العالم مرتبط بالقدر المشترك في ((المجموعة الاعتبارية، وهي تختلف نطاقاً في السعة والضيق، وتتبع حدود اعتبار المُعْتَبَر والمستعمل))^(١)، وإن لمعرفة السياقات اللغوية والحالية للنصوص أثر بارز في معرفة دلالات الكثير من مفرداتها، وتعيين قيمة الكلمة في هذه الحالات المختلفة، ((إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تُستعمل فيها في جو يُحدّد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسياق أيضاً هو الذي يُخلّص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية))^(٢)، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿الْعَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاحة: ٢] يحدد نطاقاً أوسع من نطاق الآية: ﴿وَأَصْطَفٰكَ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: من الآية ٤٢]، حسب ما جاء في تفسيرهما، مُفاداً من معرفة السياقات العقدية والتاريخية.

وذكر الثّهانوي أن العالم في اصطلاح العرفانيين مجموع من جزأين: الخلق والأمر؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٤]، ثم في درجة ثانية من التجلي بدا الملك والمَلَكوت، فالملك هو تجلي عالم الخلق كل الخلق؛ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: من الآية ٢] وهو عالم وُجد بمادّة كالأفلاك والعناصر أو كناية عن أجسام وأعراض ويسمى أيضاً عالم الشهادة وعالم الأجسام وعالم الظاهر، وأمّا الملكوت فهو تجلي عالم الأمر ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة يس: من الآية ٨٣] ويسمى عالم الغيب أيضاً وهو عالم وُجد بلا مدّة و بلا مادّة مثل العقول والنفوس، ولا يدخل تحت المساحة والمقدار، ويسمى أيضاً عالم المِثال، وعالم الباطن، وتسميّة الغيب والشهادة نسبةً إلى الحسّ البشري^(٣)، وقال: السيد عبد الأعلى السبزواري ((إنّ معنى العالم ومدلوله وسيع جداً وغير محدود بحد وغير مُتناهٍ))^(٤).

إنّ خلاصة ما تم فهمه من المُعْجَمات والاستعمالات في هذا القسم؛ على النحو الآتي:

(١) تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، ٣٤٦/١.

(٢) اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي - محمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المطابع الأميرية، القاهرة - مصر، د - ط، ٢٠١٤م، ٢٣١/١.

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١١٥٨/٣، و: التعريفات الفقهية، ٣٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، منشورات دار التفسير، قم - إيران، ط ٥، ٢٠١٠م، ٣٦/١، ٣٧.

العالم في اللغة؛ بدأ المعنى فيه من قَصْدِ الأثر الظاهري وهو العلامة لِيَدُلَّ على شيء ما على نحو من الوضوح والشهرة يتميز به ذلك الشيء عن غيره، ويُعرَف به، ثم صار اسماً لكل ما يَدُلُّ على شيء ما، بِقَصْدِ كان أو بغير قَصْد، ثم أخذ معنى الكثرة والجماعة، ثم معنى غير المحصورة في عدد، ثم انتقل إلى معنى ذهني وهو العِلْمُ لرباط الدلالة بينهما فالعلامة والعِلْمُ كلاهما يدلان على الأثر، حسبما أفادته المُعْجَمَات اللغوية المذكورة آنفاً.

وأما في الاصطلاح فالـ(عالم) اسم جنس، يستغرق كل أفراد جنسه مما يُعلم به ذلك الجنس في قَدْرٍ مشتركٍ بينها يجتمعون فيه، وعليه أمكن اجتماع عدة أجناس أو مجموعات في نطاق من المشتركات أوسع مما اشترك به كلٌّ على حدة، وتحت مسمى واحد يجمعهم، وقد عبّر عنه (بالعالمين) لإفادة الاختلاف في الجنس والاستغراق للأفراد، وعلى هذا القياس أمكن أيضاً اشتراك كل الأجناس أو (الموجودات- أو ما سوى الله من الموجودات-) في نطاق واحد يجمعها، وفي أمر مشترك بينها وهو: "الإيجاد"، عبّر عن هذا النطاق بالعالم، باللام الاستغراقية، أو بالعالمين جمعاً وتعريفاً. وللسياقين المقالي والحالي أثر مهم في تحديد نطاق العالم ومجاله، وقد يُفيد في هذا المقام تعدد الروايات الواردة -آنفاً- عن ابن عباس^(١) واختلافها في تحديد الأجناس المنضوية تحت مفهوم العالمين، إذ ليس تعارضاً بين الروايات؛ بل بيانا وتأكيداً وإفادة على تعدد النطاقات المشتركة للأجناس، وضمّن القَدْر المشترك بينهما، وحسب السياقات التي وردت فيها^(٢).

فمفهوم العالم اتفاه بين اللغة والاصطلاح يتجلى في معاني؛ التَّمَيُّز والاشتهار والوضوح والظهور، والأثر المتميز عن غيره، والأثر الذي يُعلم به شيء مُعين، وفي معاني الكثرة والاجتماع، وحصول العِلْمِ بالشيء.

أما تطوّر المعنى الاصطلاحي وابتعاده عن المعاني المعجمية فكانت في اختصاصه في الأجناس والجماعات دون الأفراد، وفي عدم القصدية فيه إلى العلامة، وفي اضمحلال معنى: "يُعلم به الصّانع"، وصار المفهوم للجامد أقرب من المشتق، فلا ينصرف الذهن إلى مصادر اشتقاقه.

(١) إذ أُسْنِدَ إليه ثلاثة من الآراء السابقة؛ وهي: كل ذي روح، والعقلاء، والثقلين. تحت النقاط المرقمة: ٢ و ٣ و ٤، ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ٢/٢٥٢، والإبانة في اللغة العربية، ٣/٤٩٨، والكلبيات، ١/٦٣٩.

(٢) ينظر: تفسير سورة الحمد، السيد محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، قم-إيران، ط: ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٦.

القسم الثاني: (الآخر) لغةً واصطلاحاً.

أولاً:- (الآخر) في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لمادة ((أ. خ. ر: أصلٌ واحدٌ إليه ترجعُ فروعه، وهو خلاف التقدُّم. وهذا قياسٌ أخذناه عن الخليل فإنه قال: الآخرُ نقيضُ المُتقدِّم. والآخرُ نقيضُ القُدُّم، تقولُ مَضَى قُدُّمًا وتَأَخَّرَ آخِرًا. وقال: وَأَخِرَةُ الرَّحْلِ وَقَادِمَتُهُ وَمُؤَخَّرُ الرَّحْلِ وَمُقَدَّمُهُ... ومن هذا القياسُ بَعْتُكَ بَيْعًا بِأَخِرَةٍ، أَي: نَظِيرَةٍ، وَمَا عَرَفْتُهُ إِلَّا بِأَخِرَةٍ... وابنُ دُرَيْدٍ يقولُ: الآخرُ تَالٍ لِلأَوَّلِ))^(١)، يُلاحظُ هنا أن معاني الجذر (ء، خ، ر)، وهي: (نقيضُ المُتقدِّم)، و(مُؤَخَّر)، (نَظِيرَةٍ)، (تَالٍ لِلأَوَّلِ)، تدور كُلُّها حول معنى (التأخُّر: خلافُ التقدُّم)؛ كـ(نَظِيرَةٍ)، و(تَالٍ لِلأَوَّلِ).

قال ابن دريد : ((الآخر [بالكسر]: ضدُّ الأوَّل،... والآخر [بِالفتح] من قولهم: واحد (وآخر))^(٢)، وفي معجم الإبانة: ((والآخر ضدُّ الأوَّل، والآخر سوى الأوَّل، وتقول: جاءني رجل ورجل آخر، والآخر دون الرجل الأوَّل))^(٣)، وفي التهذيب: ((ومعنى آخر شيءٌ غيرُ الأوَّل الذي قبله))^(٤)، ويذكر القاضي عياض: ((الآخر بفتح الخاء بمعنى الثاني،... ولقيته بأخره بالفتح والكسر معا في الهمزة والخاء مفتوحة فمعناه الطَّرَف))^(٥)، وقال ابن منظور: ((الآخر، بِالْفَتْح: أحدُ الشَّيْئَيْنِ واسمٌ على أَفْعَلَ،... والآخر بمعنى (غير) كقولك رجلٌ آخرٌ وثوبٌ آخرٌ، وأصله أَفْعَلٌ مِنَ التَّأَخُّرِ [ءَءَ خَر]، فلما اجتمعتْ همزتان في حرفٍ واحدٍ استثنَّقتا فأبدلت الثانية ألفاً لِسُكُونِها وانفَتَحَ الأوَّلَى قبلها))^(٦).

وبالتأمل في ما جاء في هذه المُعْجَمات، يُلاحظُ التمييز بين (آخر) بكسر الخاء، التي يراد بها معنى التأخر مطلقاً، كقول ابن دريد: الآخر (ضدُّ الأوَّل)، وبين (آخر) بفتح الخاء، التي يراد بها معنى المغايرة؛ لقولهم: والآخر بمعنى (غير)، و(الطَّرَف)، و(أحدُ الشَّيْئَيْنِ)، وإن كانت في

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: (آخر)، ٧٠/١.

(٢) جُمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧م، ٢/ ١٠٥٣.

(٣) الإبانة في اللغة العربية، ٢٠ / ٤.

(٤) تهذيب اللغة، ٢٢٧/١.

(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض، المطبعة المولوية - فاس، ١٣٢٨هـ، ٢١/١.

(٦) لسان العرب، ١٢/٤.

بعضها دلالة التأخر موجودة مع دلالة المغايرة؛ كقولهم: **الْآخِرُ**: (سوى الأول)، و(غير الأول)، و(بمعنى الثاني)، مع تأكيد ابن منظور على أن أصل آخر من التأخر.

والزبيدي كذلك أكد أصالة معنى التأخر في (آخر) ثم الانتقال إلى معنى (المغاير)، بقوله: ((والآخر بمعنى غير... وأصله أَفْعَلُ مِنْ آخَرٍ، أي تأخر، فمعناه أَشَدُّ تَأَخُّراً، ثم صار بمعنى (المغاير))^(١)، وفي حاشية الصبان أن ((قوله: "بمعنى مغاير" أي باعتبار الحال وإلا فمعنى (آخر) في الأصل أشد تأخراً وكان في الأصل معنى: جاء زيد ورجل آخر: "جاء زيد ورجل أشد تأخراً في معنى من المعاني" ثم نُقل إلى معنى (غير) فمعنى رجل آخر (رجل غير زيد))^(٢).

ثانياً: - (الآخر) اصطلاحاً:

جاء لفظ (آخر) في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والتراث اللغوي العربي؛ دالاً على معاني المغايرة التي ذكرتها مُعْجَمَات اللغة العربية للفظ بوصفها دلالة رئيسة؛ فالآخر بالفتح: بمعنى (غير)، و(الطرف)، و(سوى الأول)، و(غير الأول)، و(بمعنى الثاني)، و(أحد الشئيين)، وأنه شيء غير الشيء المقابل له، وقد ورد في آيات قرآنية كثيرة بهذه المعاني؛ منها قوله تعالى: ﴿سَمْعُوتَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ﴾ [المائدة: من الآية ٤١]، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ آفَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: من الآية ٤]، ﴿أَتَشَانُ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٦]، فليس شرطاً أن يكون فيه معنى التأخر دائماً، فالتأخر في (آخر) تعلقه باللفظ أكثر من تعلقه بالمعنى؛ إذ ((ليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة... ولا بد من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر))^(٣).

ف(الآخر) يطلق على المتأخر من المتقابلين لفظاً وإن كان هو المتقدم في المعنى، كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٣]، فالقوم "الآخرين" هم متقدمون في الواقع، وهذا بعكس (الآخر) -بكسر الخاء- فيطلق على المتأخر منهما معنى وإن كان هو

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ١٦/٦.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، تح: محمود بن الجميل مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١: ٢٠٠٢م، ٣٥١/٣.

(٣) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط ١: ٢٠٠٩م، ١٣٦.

المتقدم في اللفظ، كقوله تعالى ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [سورة الضحى: ٤]، فـ"الآخر" أمكن تقديمه لفظاً لا معنىً.

فالغاية، بيان أن (الآخر) يعني: شيء غير الشيء المقابل له، ومُختلف عنه، بغض النظر عن تأخره أو تقدمه أو تساويه في الواقع الخارجي، فإن ((اهتمام المتكلم بالحدثين سواء من حيث الإسناد، مُختلف من حيث التقديم والتأخير، فإنك تقدم حدثاً آخر لملحظ معين، فقد يكون ذلك لتقدمه في الزمن، أو السبب أو الرتبة، أو غير ذلك))^(١) من أسباب يقتضيها السياق، فقد يكون السياق متدرجاً حسب القدم والأولية في الوجود، أو لملاحظ أخرى، كالاكتفاء بأمر أكثر من آخر، وذلك كتقديم النفع على الضرر، أو الخير على الشر، أو الأصل على الفرع^(٢).

ويختص (آخر) بالفتح من (آخر) بالكسر، بأنه ((لا يدل على الانتهاء ويمكن أن يُعطف عليه مثله من جنسه، نحو: جاء رجل آخر وآخر))^(٣)، وكقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَمَا أُخْرُونَ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاخْرُونَ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة المزمّل: الآية ٢٠]، بخلاف (آخر) فهو ضدُّ الأول وبدل على الانتهاء فلا متأخر بعده، ولا يُعطف عليه مثله من جنسه في نفس موضوعه، كما في المروي عن النبي صلى الله عليه وآله: ((أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ))^(٤).

ومما تقدم يُفادُ بأنَّ (الآخر) أصله من التأخر في معنى من المعاني، ثم انتقل دلالاته إلى المغايرة، فصار معناه الرئيس -الجديد-: المغاير لما يُقَابَلُه، وهي دلالة لازمة، ومعنى التأخر صار دلالة فرعية وهي غير لازمة، وهذا التأخر قد يكون في الزمان أو المكان أو الرتبة أو الشرف، وفيه إفادة دقة المعنى ودقة البيان، وقد يُعطف عليه مثله من جنسه، فيتعدد، ويتعدد بذلك الطرف المقابل أيضاً، وأما لفظاً فيلزمه التأخر.

(١) معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط ١: ٢٠٠٠م، ١٤٧/٢.

(٢) ينظر: م، ن، ٢٢٠/٣.

(٣) اللّحة في شرح الملحّة، محمد بن حسن ابن الصائغ، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، م. ع. السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٧٤٦/٢.

(٤) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١: ٢٠٠٩م، ٨/٥.

القسم الثالث: دلالات مصطلح العالم الآخر، واختيار الدلالة لموضوع البحث:

إن مجموع التحصيل اللغوي والاصطلاحي لمفردتي (العالم) و(الآخر) من القسمين السابقين، يفاد منه الدلالات العامة والمطلقة لمفهوم جديد هو (العالم الآخر)؛ فبدأً مفردة العالم دون تخصيصه بإضافة أو نعت أو غيرهما، يشمل جميع الأجناس ويستغرق جميع أفرادها، كقول القائل: "العالم هو ما سوى الله تعالى"؛ ولكن بوصفها بـ(الآخر) مطلقاً دون العهد أو الإضافة أو النعت، يخرج منها فقط عالم المتكلم -أو المتكلم عنه- وهو بالنسبة لنا "عالمنا نحن"، ويبقى بقية العوالم جميعها ضمن إطار العالم الآخر نسبة إلى عالمنا، ومن اللازم هنا تحديد إطار (عالمنا نحن) ونطاقه؛ ليتسنى تحديد العالم الآخر نطاقاً واعتباراً. وهنالك نطاقات عديدة لعالمنا يشترك فيها جميع أفرادها ويتميز بها عن غيره، وحسب ما تم ذكره سابقاً؛ وأهمها:

١- عالمنا عالم الإنس: وفيه عدة ملاحظ واعتبارات:

أ: فبلحاظ أن العالم اسم لكل جنس من المخلوقات، يكون العالم الآخر: جميع أجناس المخلوقات ما عدا عالم الإنس.

ب: وأمّا بلحاظ أن العالم اسم جنس لكل ذي روح، فيكون العالم الآخر: شاملاً للملائكة وللجن، وأصناف الحيوانات من البهائم والحشرات.

ج: وأمّا بلحاظ أن العالم اسم لما يعقل، فيشمل العالم الآخر: الملائكة والجن فقط.

د: وأمّا بلحاظ أن العالم اسم للثقلين -المأمورين بالعبادة الجن والإنس- فيكون العالم الآخر؛ عالم الجن فقط. فهذه الاعتبارات كلها مقابل عالمنا عالم الإنس.

٢- عالمنا عالم الدنيا: بلحاظ أن العالم هو الدنيا وما فيها؛ فيكون العالم الآخر هو "عالم الآخرة" أي: عالم ما بعد الدنيا.

٣- عالمنا عالم زماننا، بلحاظ أن العالم هو كل دهر أو كل زمان؛ فيكون العالم الآخر هو الدهور والأزمنة السالفة والدهور والأزمنة اللاحقة.

٤- عالمنا عالم الشهادة، بلحاظ عالم الظاهر والخلق والمُلك؛ فيكون العالم الآخر هو عالم الغيب، وقد يسمى بعالم الأمر أو الملكوت، أو عالم ما وراء الطبيعة.

وأما استعماله كمصطلح بذاته في التراث اللغوي العربي؛ فيظهر من خلال البحث والاستقصاء^(١) أنه لم يُصنَّح عليه لمفهوم معين بذاته مُتَّفَقٍ عليه قديماً أو حديثاً، ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى هالة الإبهام المُحاطة بمفردة "العالم" وعدم تَعَيُّنِها لمفهوم محدد بعينه، ما أفضى إلى عدم تَعَيُّنِ صفتها - (الآخر) - أيضاً ضمن المفهوم الجديد، فمن خلال التتبع للتراث القديم؛ يُلاحظ أنَّ استعمالَ مفهوم العالم الآخر عند القدماء يكاد ينعدم إلا نادراً، ووجدَ الباحث استعمالاً قديماً واحداً، وذلك في معنى عالم ما بعد الموت، فقد نُقِلَ عن كتاب (حَبِيب السَّيَر) للمؤرخ "غياث الدين خواند أمير" (ت ٩٤٢ هـ)، أن مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ [ت ٦٠ هـ] أُرْسِلَ مَرَوَان بنَ الحكم إلى المدينة وَمعه مَنَدِيل ملطخ بالسُّم وأُبلغه بـ ((أَنَّ عليه بَأْيٍ تدبِيرٍ يستطيعه أن يَخْدَع جَعْدَه بنتَ الأشعثِ بن قيس زوجة الحسنِ حتى تُقدِّم بعدها على إزالة وجود الحسن من هذه الدنيا بواسطة هذا المنديل، وَقُلْ لها عني أَنَّها إذا أُرسلت الحسن إلى العالم الآخر وَأَتَمَّت المهمة فَإِنَّ لَهَا خمسين أَلْفَ دِرْهَمًا وَأَنَّهَا سَتَكُونُ زوجاً ليزيد))^(٢).

ويبدو من هذه الرواية أن استعمال مفهوم العالم الآخر لم يكن متداولاً؛ بل جاء - هنا - على سبيل الكناية عن القتل، إذ يقال: ((أرسله إلى العالم الآخر: أي قتله))^(٣)؛ لأن التصريح في هكذا أمر قد يفسده لاعتبار ما، أو هناك ما يُخافُ عليه أو منه، ومن جهة ثانية؛ كان استعمال المصطلح القرآني (الآخرة) هو المعروف والمشهور لمعنى - حياة ما بعد الموت - عند المسلمين وبخاصة في القرن الأول، لارتباطه بالعقيدة الجديدة، والأولى استعماله لمعنى بعد الموت.

وأما استعمال مصطلح العالم الآخر عند المحدثين؛ فقد ورد بعدة معانٍ؛ بدءاً بمعنى عالم ما بعد الموت؛ كما في قولهم: ((عالم البرزخ كما يدل عليه اسمه هو عالم يتوسط بين عالمنا هذا والعالم الآخر))^(٤)، ثم نجد توسعا في استعمال المصطلح فقد جاء بمعنى "العالم الغربي" مقابل العالم العربي والعالم الإسلامي، كما في قولهم: ((غادرَ ابنُ نُبَيِّ الجزائرِ إلى فرنسا

(١) من خلال استخدام محركات البحث الإلكترونية الدقيقة ببحثها، والمُفَصَّل على القرون والسنوات وعلى أنواع العلوم والاختصاصات، وضمن عشرات الآلاف من الكتب القديمة والحديثة المتوفرة، - فضلا عن بقية طرق البحث وأنواع الكتب والمؤلفات - ينظر منها: المكتبة الإلكترونية الشاملة، (<https://al-maktaba.org>).

(٢) دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ٥٠/٤.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨ م، ٨٨٧.

(٤) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان،

ط ١ مصححة: ١٤٣٤ - ٢٠١٣ م، ٢٧٥/١٥.

ليدرس... واكتشف العالم الآخر من خلال شخصية المستشرق ماسينيون الذي وظفته دولته ليكون
عينها على أبناء المستعمرات وعلى القضايا العربية والإسلامية^(١).

واستعمل المصطلح بمعاني عالم الغيبيات أو العالم العلوي أو عالم ما وراء المادة، كما في
تفسير الأمل قوله: ((كثير من الحقائق تختص بالعالم الآخر، أو بعالم ما وراء الطبيعة مما هو
بعيد عن أفق تفكيرنا، وإننا بحكم وجودنا ضمن حدود سجن الزمان والمكان، غير قادرين على
إدراك كنهها العميق))^(٢)، فهذه تعبيرات عن مجموعة أشياء تشترك فيما بينها بأنها خارج قابلية
العقل البشري في اكتشافها وإدراكها بواسطة أدواتها الخاصة؛ الحس والتجربة^(٣)، إلا بواسطة
خارجية. أما عدم تسمية عنوان البحث بعالم الغيبيات أو عالم ما وراء الطبيعة على الرغم من
اشتراك كثير من مصاديقهما مع مفهوم العالم الآخر؛ فذلك لأسباب منها: أن مفهوم الغيب يدخل
ضمن مصاديقه: الذات الإلهية المقدسة، وهذا ينافي تعريف "العالم" الذي هو كل ما سوى الله
تعالى، وسبب آخر أن جملة من الأشياء تُدرس ضمن علم ما وراء الطبيعة، كأسرار عالم الرؤيا،
والحدس، وتوارد الخواطر عن بُعد، وهي ممكنة التعرف عليها بالتجربة ولو بعد مدة من الزمن
وتطور العلم، وهذه تنافي اختيار البحث للعالم التي لا تُدرك بالحس والتجربة.

وعلى ما تم تفصيله -أنفأ- لمعاني مصطلح العالم الآخر وتصنيفها حسب أطر واعتبارات
محددة، ولأجل اختيار الإطار المناسب للمصطلح لموضوع البحث؛ تم اختيار: " المعاني الواقعة
ضمن الإطار المُشتمل على أجناس المخلوقات التي يتمتع إدراكها بأدوات العقل البشري -الحس
والتجربة-؛ وإنما تُدرك بواسطة الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء، ومن خلالهم بالإبلاغ إلى
الناس وتعليمهم، وقد كان للإمام (عليه السلام) الحظ الأوفر من هذا التعليم، حتى قال عن نفسه:
((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ وَاسْتَنْبَطْتُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ))^(٤)، وقيل الإلهام
والوحي هما السبيلان لإفاضة هذه المعارف من الحق سبحانه إلى الذين ((طَهَّرَتْ قُلُوبَهُمْ،
وَصَفَّتْ أَذْهَانَهُمْ، وَصُقِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ، فَاسْتَعَدُّوا لَتَلْقَى الْمَعَارِفَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، وَمَا وَرَاءَ الْحَسِّ

(١) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر: ٢٠٠٧م، ٢٠١٥.

(٢) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٩٩/٢.

(٣) ينظر: نظرية المعرفة، جعفر السبحاني، المقرر: حسن العاملي، مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٢٩هـ، ٢٦٥/١.

(٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٠٠/٨.

والشهود^(١)، وقد كَرَّمَ الله تعالى الإمام^(عليه السلام) بمشاركة الرسول صلى الله عليه وآله في بعض المكاشفات الغيبية كما بيَّنه^(عليه السلام) في قوله: ((أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوءَةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ))^(٢).

وعلى هذا الاختيار سيشمل البحث من كتاب نهج البلاغة، النصوص التي وردت فيها أخبار عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم البرزخ، وعالم الجزاء - الجنة والنار -، وعالم الخلق الأول؛ وهو الخلق غير المشهود من خلق السماوات والأرض وخلق آدم عليه السلام،^(٣) وتمَّ هذا الاختيار لسببين؛ الأول: لما فيه من شمولية لأغلب الجزئيات والاعتبارات الفرعية أو الجزئية، وقد وَضَّحَ "التهانوي" هذه الشمولية بقوله: ((إِعْلَمْ أَنَّ الْعَوَالِمَ وَإِنْ لَمْ تَحْصِرْ ضَرُورِيَّاتَهَا لِمَتَّاعِ حَصْرِ الْجَزْئِيَّاتِ؛ أَمَكْنَ حَصَرَ كَلِّيَّاتِهَا وَأَصُولِهَا الْحَاصِرَةَ كَانْحِصَارِهَا فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لَانْقِسَامِهَا إِلَى الْغَائِبِ عَنِ الْحَسِّ وَالشَّاهِدِ لَهُ))^(٤)، والسبب الثاني: لما في معانيه من غرابة وابتعاد عن الطبع البشري المرتَهَنَ بالمحسوسات العقلية، الأمر الذي لا يتوفر في بقية الاعتبارات الأخرى^(*)، وكما بيَّن غرابتها الإمام علي^(عليه السلام) في قوله: ((وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ، فَمَنْ فَرَعَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَآوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ، رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا وَسَمْعُهُ وَآلِهَآ وَفِكْرُهُ حَائِرًا))^(٥).

(١) مواهب الرحمن، السيد عبد الأعلى السيزواري، ١٧٩/١، ١٨٠.

(٢) نهج البلاغة، الشريف الرضي، حققه وضبط نصّه على أربع نسخ خطية قديمة الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، جزء واحد فقط، ط: ٢٠١٠م ٤٠٢، وينظر منه: ٤١٦.

(٣) وقد تم إجراء إحصاء دقيق على هذه النصوص، وعلى جملها، وأنواعها، وأغراضها، وتفصيلات إحصائية أخرى ستأتي في محلها، مع بيان نسبة كل عالم منها قياساً إلى مجموعها.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١١٥٨/٣.

(*) فاعتبار العالم كل ذي روح، يُدْخِلُ أصناف الحيوانات. أو كل جنس فيُدْخِلُ النباتات والجمادات، أو العالم هو الزمان فيُدْخِلُ الأزمنة الماضية؛ وهذه كلها مما تُدْرِكُ بالحواس البشرية ولا غرابة فيها، أو انفراد في وصفها.

(٥) نهج البلاغة، ٢٩٨.

المطلب الثاني: الأسلوب والأسلوبية:

توطئة:

منذ مطلع القرن العشرين والنظريات اللغوية تشهد تجددًا مستمرًا، واستتباطاً لمناهجها، وتبلوراً لمفاهيمها، فتعددت المذاهب والمدارس فيها، ولا تكاد تستوي نظرية وتأخذ شهرة إلا وتأتي أخرى ناقضة أو ناقدة، تُغيّر في أسسها ومبادئها؛ ((حتى لكانَّ عَصْرَ الْبَدَائِلِ عَصْرُنَا))^(١)، وعليه ليس من الصواب الاعتماد على نظرية دون ملاحظة الأخريات وما انتهت إليها، وقد تنبه إلى ذلك غير قليل من الباحثين؛ فيرى د. عبدالقادر المهيري أن ((الخطر كل الخطر أن يكتفي دارس اللغة اليوم بترديد ما بلغه عن النظريات اللغوية بدون أن يتمعن فيها ويتمثلها... وأخطر من ذلك أن يكتفي بالاطلاع على نظرية واحدة فيتشبَّثُ بها تشبُّثَهُ بعِلْمٍ أَرْلِيَّ))^(٢)، والأسلوبية كغيرها من المناهج اللغوية ونظرياتها، لم تسلم من أزمة عدم الاستقرار، وذلك من أوجه عدة: منها ما يخص تحديد هويتها النوعية،^(٣) ومنها تعدد اتجاهاتها، وتعدد مناهجها،^(٤) ما جعل التوصل إلى تعريفها تعريفاً دقيقاً، يكاد يكون أمراً مستحيلاً، ولذلك ناهز تعريفاتها إلى نيف وثلاثين تعريفاً، ما حَمَلَ الباحثين المتأخرين إلى تصنيف هذه التعريفات، فجاءت في ثلاثة أنماط، مراعيًا فيها المراحل الأساسية لعملية التوصيل الأدبية: المنشئ والرسالة والمتلقي^(٥).

أولاً: التعريف.

الأسلوب لغة: جاء في لسان العرب: ((يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب... والأسلوب الفنّ يقال أخذ من القول أي أفانين منه... والسُّلْبُ: ضربٌ من الشجر ينبت متناسقا))^(٦)، يُلاحَظ أن هذه المعاني تلتقي في دلالات معينة، منها: الاستقامة والتناسق والامتداد والتكرار.

(١) الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس - ليبيا، ط٣: (د . ت)، ١٧.

(٢) م، ن، ٩، وينظر: تحليل الخطاب الأدبي، محمد عزام، نشر: اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣ م، ٣٣٧.

(٣) إذ اختلف الدارسون والمهتمون فيها بين "عدّها فرعاً من اللسانيات، أو منهجاً من مناهجها الحديثة"، وبين "عدّها صنواً لللسانيات وعِلماً جديداً قائماً بذاته": ينظر: الأسلوبية والأسلوب، ٧، و ٤٦ - ٤٨، والأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، نشر: مركز الإنماء الحضاري، ط٢: ٢٠٠٢، ١٠.

(٤) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، نشر: دار الشروق، ط١: ١٩٩٨ م، ١٥.

(٥) ينظر: م، ن، ٩٥، ٩٧، مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عياد، المشروع - مصر، ط٢: ١٩٩٢ م، ٢٥.

(٦) لسان العرب، ١/ ٤٧٣.

الأسلوب اصطلاحاً: وبدأ من الأصل الأوربي للمفردة نجدها مشتقة من الأصل اللاتيني (style) وهو يعني "الريشة" - أو القلم- ثم انتقل عن طريق المجاز الى التعبير عن فن النحت والعمارة، ثم توسع إلى مفهومات تتعلق كلها بطريقة الكتابة، والتعبيرات اللغوية الأدبية، وتشير إلى صفات اللغة المستعملة وبعض الخواص الكلامية فيها، أو الصفة المميزة لكاتب ما أو الخطيب^(١).

وقد بدأت فكرة الدراسة الأسلوبية مع ظهور فكرة ثنائية اللغة: الثابتة المقعدة، والكلام الحر الخلاق، على يد العالم اللغوي "دي سوسير"، وعلى هذه الفكرة أسسها تلميذه "شارل بالي": وعرفها بأنها: علم يُعنى بدراسة ((وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغوياً، كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية))،^(٢) ثم عرفها رائد المدرسة الشكلية "جاكسون" ((بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً))^(٣).

وأما الاستعمال العربي فعند القدامى جاءت هذه المفردة في دلالات متعددة، فالأسلوب عند ابن قتيبة يدل على طريقة العرب في أداء المعنى؛ إذ قال: ((إنما يعرف فضل القرآن من كثرة نظره واتساع علمه، وفهم مذهب العرب، وافتنانها في الأساليب))^(٤)؛ وأساليب العرب يقصد بها طريقتهم المألوفة في نظم القصيد وانتقالهم من غرض إلى غرض، ابتداءً من ذكر الديار والأطلال والوقوف والبكاء، وهكذا انتقالاً إلى المديح...والخ، ((فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام...))^(٥)، وفي كلامه دلالة على مناسبة القول للمقام، وقد يدل بتعدد الأساليب على تعدد الموضوعات أو المعاني كما في قول الخطابي: ((وهنا نوع من الموازنة وهو أن يجري أحد الشعارين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان من باله من الآخر في وصف ما هو بإزائه...فيقال فلان أشعر

(١) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ٩٣.

(٢) الأسلوبية، بيبير جيرو، تر: منذر عياشي، نشر: مركز الإنماء الحضاري، ط٢: ١٩٩٤م، ٣٤.

(٣) الأسلوبية والأسلوب، المسدي، ٣٧.

(٤) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) تح: ابراهيم شمس الدين، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ط٢: ٢٠٠٧م، ١٧.

(٥) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط٢: ١٩٦٧م، ٧٤-٧٦.

في بابيه ومذهبه من فلان في طريقته التي يذهبها في شعره))^(١)، وقد يدل على نوع من النظم كما عند الباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني^(٢)، وخصَّ حازم القرطاجني، الأسلوب بالمعاني كما خصَّ النظم بالألفاظ، وتابعه في ذلك ابن خلدون، ناظرًا إلى الأسلوب على أنه؛ مناهج فنية مطروقة، أو يعبر عنه بالمنوال والقالب الذي يفرغ فيه التراكييب^(٣).

أمَّا تعريفات الأسلوب في العصر الحديث فتعددت على الأنماط الثلاثة المذكورة آنفًا؛^(٤) فباعتبار المنشئ: هو التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل، ((فالأسلوب جسر إلى مقاصد صاحبه، من حيث أنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته، لا الفنية فحسب بل الوجودية مطلقاً))^(٥) وأمَّا باعتبار الرسالة: هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة الموظفة، المُشكَّلة عُدولًا، وما يتصل به من إحياءات ودلالات، وأمَّا باعتبار المتلقّي: هو سمات النصّ التي تترك أثرها على المتلقّي أيًا كان هذا الأثر، وهناك محاولات لجمع هذه التعريفات في تعريف واحد، كتعريف لطفي عبد البديع بقوله ((جملة الصيغ اللغوية التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب، وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلّم، وبيان التأثير على السامع))^(٦).

أما الفرق بين الأسلوب والأسلوبية؛ فيقول عبد السلام المسديّ أنّ مصطلح الأسلوبية مركبٌ من جذر "أسلوب" ولاحقه "ية" فالأسلوب ذو مدلول إنسانيّ ذاتي، واللاحقة تختصّ بالبعد العلمانيّ العقليّ الموضوعي^(٧)؛ أي: هو (علم الأسلوب)، فإن كان الأسلوب هو التعبير اللساني، والقيمة التأثريّة؛ فالأسلوبية علم له أسس وقواعد ومجالات، يدرس هذا التعبير اللساني، ويكشف عن تلك القيمة التأثريّة من ناحية جماليّة ونفسية وعاطفية، أي أنّ مصطلح الأسلوبية

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: ٣، د.ت، ٦٥.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، د.ت، ٤١١، و اللغة والإبداع، شكري عياد، ط: ١، ١٩٨٨م، ١٦، ١٧.

(٣) ينظر اللغة والإبداع، ٢١.

(٤) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، المسدي، ٦١، و: الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، فتح الله سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط: ٢٠٠٤م، ٧، ١١، و ١٥، و ٢٢.

(٥) الأسلوبية والأسلوب، المسدي، ٦٨.

(٦) التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٨٤م، ٢٢.

(٧) ينظر: الأسلوبية والأسلوب، المسدي، ٣٤.

مرادف لعلم الأسلوب^(١)، ومن العلماء من فرّق بينهما فقال بأنّ ((علم الأسلوب يقف عند تحليل النصّ بناء على مستويات التحليل وصولاً إلى علم بأساليبه، بينما الأسلوبية هي التي تتجاوز النصّ المحلّل المَعْلومة أساليبه إلى نقد تلك الأساليب بناء على منهج من مناهج النقد)).^(٢)

ثانياً: الاتجاهات:

وقد تعددت اتجاهاتها إلى عدة تيارات مختلفة نتيجة تعدد المدارس اللغوية واختلاف نظرتها إليها، برز منها، اتجاهان رئيسان في علم الأسلوب: ^(٣)

الأول: علم أسلوب التعبير: ويدرس العلاقة بين الصيغ والفكر في عموميه، ورائد هذا الاتجاه "شارل بالي" (ت ١٩٤٧م)، فأصل الأسلوب عنده هو إضافة ملمح تأثيري إلى التعبير، فهو يبحث عن الآثار الوجدانية في اللغة وقد استبعد النص الأدبي من أسلوبيته وتجاهله لأنه يمثل لغة تخص شخصاً بعينه فأسلوبية بالي ((تبحث في لغة جميع الناس، بما تعكسه، - لا من أفكار خالصة-، بل من عواطف ومشاعر واندفاعات وانفعالات))^(٤)، ولكن تلامذته خالفوه عندما أدخلوا النص الأدبي ضمنها، بل قَصَرُوا الأسلوبية على الدراسات الأدبية^(٥).

الثاني: علم الأسلوب الفردي، وهو في واقع الأمر نقد للأسلوب بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة التي تبده وتستخدمه، ومن هنا فهي دراسة توليدية وليست تقييمية ولا تعيدية، مما يجعل محورها مختلفاً عن محور المدرسة الأولى، ذلك أنّ ((علم اللغة الحديث حين أقرّ مبدأ اجتماعية اللغة بكل ما يستتبعه وراح يسجل الاستعمالات الجارية غير مكتف بالتراث المدون، وجد نفسه مواجهاً بظاهرة الاختلافات الفردية في استعمال اللغة))^(٦).

أي أنّ علم ((أسلوب التعبير لا يخرج عن نطاق اللغة ولا يتعدى وقائعها في حد ذاته، أما علم الأسلوب الفردي فهو يدرس نفس هذا التعبير في علاقته بالأشخاص المتحدثين به؛ الأول

(١) ينظر: الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، ص ٧.

(٢) ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، دار المسيرة ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٧م، ص ٣٧.

(٣) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص ١٥.

(٤) م، ن، ٢٥، ومنه ٩٨.

(٥) ينظر: م، ن، ٢٦.

(٦) مدخل إلى علم الأسلوب، ص ٢٨.

يعتد بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي، أي أنه وصفي بحث؛ والآخر يحدد بواعثها وأسبابها؛ أي أنه توليدي، الأول يهتم بالنتائج ويتوقف على علم الدلالة ودراسة المعاني في ذاتها، والآخر يعنى بالمقاصد ويرتبط بالنقد الأدبي^(١)، ولكل اتجاه ميادينه الخاصة، كما حدد العلماء حسب مجالات كل منهما، وهي: أسلوب القوانين اللغوية العامة، أو لمجموعة من اللغات، أو القوانين الخاصة بلغة معينة، وأسلوب جنس أدبي محدد، وأسلوب مدرسة معينة أو عصر خاص، وأسلوب عمل أدبي لمؤلف معين، أو مجموعة أعمال له.^(٢)

ثالثاً: أهم المبادئ:

١- الاختيار: وهو من أهم مبادئ علم الأسلوب لأنه يقوم عليه تحليل الأسلوب عند المبدع؛ فإن العملية التركيبية للغة تخضع لعنصرين هما: الاختيار ضمن القطاع العمودي - الرأسي - وهو العملية التي يقوم بها المبدع عندما يستخدم لفظة من بين العديد من البدائل الموجودة في معجمه الخاص فاستخدام هذه اللفظة من بين سائر الألفاظ، هو ما يسمى (الاختيار)، أي إنه استبدل بالكلمة القريبة منه غيرها لمناسبتها للمقام والموقف، ويتصل بهذا المبدأ شيء آخر يسمى (محور التوزيع) وهو ضمن القطاع الأفقي في ترتيب المفردات داخل الجملة الواحدة، وترتيب الجمل في العبارة، وترتيب العبارات لتكون نصاً بشكل عام على مستوى الوظيفة النحوية.^(٣)

٢- الانزياح: ويسمى العدول، الانحراف، الاتساع، والانتهاك، ولهذا المبدأ أهمية خاصة في علم الأسلوب، ينطلق من تصنيف اللغة إلى نوعين لغة مثالية معيارية نمطية متعارف عليها، ولغة إبداعية مخالفة للنمط المعياري، فالانزياح هو: الخروج عن اللغة المألوفة، أو الخروج عن المعيار لغرض قصْد إليه المتكلم، أو جاء عفو الخاطر، شريطة عدم الخروج عن الحدّ المقبول به ضمن قواعد اللغة، وليس كل انزياح يُعتد به فإذا شاع حتى صار قاعدة فإنه لا يُعدُّ ظاهرة أسلوبية^(٤).

(١) علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته، ١٦.

(٢) ينظر: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨: ١٩٩١م، ٥٢، وعلم الأسلوب مبادئ وإجراءاته، ١٧.

(٣) ينظر: في التطبيقات الأسلوبية، صالح عطية مطر، مكتبة الآداب - ميدان الأوبرا - القاهرة، ٢٠٠٤م، ٩.

(٤) ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ١٨٠-١٨١، ومنه أيضاً: ١٩٥، ١٩٦.

رابعاً: المناهج:

المناهج وعمل الباحث الأسلوبي: تعددت المناهج لدراسة الأسلوبيات،^(١) بين منهج وصفي بحث، وآخر إحصائي، وآخر مقارن، لكن ((الطابع المميز لمعظم الدراسات الأسلوبية هو الوصفي الذي يتم فيه بحث حالات الأسلوب في فترة محددة أو لدى مؤلف معين))^(٢)، وعلى الباحث الأسلوبي أن يبين مدى الارتباط بين التعبير اللغوي والشعور النفسي؛ فـ((وظيفة علم الأسلوب الأدنى هي استخدام مفاهيم علم اللغة العام لمعرفة الخصائص الجمالية التي يتميز بها النص الأدبي))^(٣) وهناك نزعة تكتفي بالوصف والتحليل، بينما هناك نزعة أخرى أكثر تأثراً بالتقاليد النقدية تعتمد على أحكام القيمة بالإضافة إلى الوصف، أي أنها تطلق أحكام تقييمية^(٤)، وللمنهج الإحصائي أهمية خاصة معتدة بها في عمل الباحث، ترجع إلى أنه منهج يحقق بعداً موضوعياً، يمكن بواسطته تحديد الملامح الأساسية للأساليب، أو التمييز بين السمات والخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية والسمات التي ترد في النص وروداً عشوائياً،^(٥) ولكنه ليس جوهر العمل الأسلوبي إنما يعد من قبيل الإجراءات الثانوية، و((محكوماً بالحاجة التي تتبع من طبيعة النص))^(٦)، وللمنهج المقارن ضرورة عملية؛ فاستخلاص هذه المميزات تتطلب المقارنة باللغة القياسية المستعملة في عصر إنشاء النص، إذ لا يتأتى وصفه إلا بالاعتماد على عمليات تجريبية مقارنة^(٧).

(١) ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ٩١.

(٢) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ١٦٦.

(٣) الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، ٤، و: مدخل إلى علم الأسلوب، ٣٩.

(٤) ينظر: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ١٦٧.

(٥) ينظر: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب- مصر، ط٣: ١٩٩٢م، ٥١.

(٦) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبدالمطلب، الشركة المصرية العالمية، لونغمان، مصر، ١٩٩٤م، ٢٠١.

(٧) ينظر: مدخل إلى علم الأسلوب، ٣٧، وعلم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ١٣٧.

الفصل الأول

المستوى الصوتي

أهمية الدراسات الصوتية:

تُعَدُّ الدراسات الصوتية من الدراسات الأساسية في علم اللغة الحديث، واللبننة الأولى في بنائه^(١)، وبعبارة دي سوسير: ((إن دراسة الأصوات هي الخطوة الأولى نحو معرفة الحقيقة))^(٢)، ويختص علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا)^(٣)، ((ببحث العناصر الصوتية ضمن مجموعة من العلاقات التي يفرضها نظام اللغة المدروسة، وصولاً إلى بيان الوظيفة التي تؤديها العناصر مجتمعة... ثم يمكن بحث الجزئيات من خلال علاقاتها المختلفة))^(٤) فاللغة ليست تلاصق جزئيات متشابهة، بل هي مجموعة أجزاء يرتبط بعضها ببعض ويعاضد بعضها بعضاً، فالمادة الأولية للغة تتمثل في الصوت المنطوق الذي يحمل معنىً من خلال وضعه في شكل تنبجي محدد معين، مكونة كلمات، أو مجموعة من الكلمات^(٥)، وتعتمد الأسلوبية الصوتية-حسب رأي ترويتسكوي* - ((على مفهوم المتغيرات الصوتية الأسلوبية، وبمقدار ما يكون للغة حرية التصرف ببعض العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية، تستطيع اللغة أن تستخدم تلك العناصر لغايات أسلوبية... إن في حوزة اللغة نسقاً كاملاً من المتغيرات الأسلوبية الصوتية، ويمكن أن نميز من بينها الآثار الطبيعية: النبر، المد، التكرار، المحاكاة الصوتية، الجناس، التناغم))^(٦).

إن الأصوات اللغوية لا تُحلَّل مفردة إلا بنوع من التجريد؛ فلا توجد أصوات لغوية منعزلة، لأن الصوت لا يستعمل منفرداً، بل على شكل كلام مكون من مركبات من الأصوات اللغوية، ضمن سلسلة من الحركات النطقية المعقدة^(٧).

(١) ينظر: البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ط٦، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨م، ٩٣.

(٢) علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، تر: د. يوثيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ط٣: ١٩٨٥م، ٥١.

(٣) هذا المصطلح غير متفق عليه من الجميع ولكنه هو المشهور، ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة - مصر، د - ط، ٢٠٠٠م، ٩.

(٤) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر - دمشق - سوريا، ط٣، ٢٠٠٨م، ١٤٠.

(٥) ينظر: أسس علم اللغة: ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس، ١٩٧٣م، ٤١، و: م، ن، ١٤٠.

* نيقولا ترويتسكوي: (١٨٩٠-١٩٣٨م) روسي، عالم باللغات واللسانيات أخذ ينمي الأفكار الخاصة بـ"الفونيم" ظهر بتصور جديد هو "الفونولوجيا" وقد ميز بين "الفونولوجيا" وبين "الفونيتيك" أي علم الأصوات اللغوية: ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، د.ط: د.ت، ٣٤٤.

(٦) الأسلوبية، بيير جبرو، ٦٠.

(٧) ينظر: علم الأصوات، ٤٧٤، و: دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د.ط،

وفي نصوص البحث يمكن الوقوف على أبرز الأساليب اللغوية التي ظهرت فيها علاقة الصوت بالمعنى، ومعرفة أهم سماتها ذات الإيحاءات التعبيرية، عبّر، تحليل هذه النصوص تحليلًا صوتيًا، ثم ملاحظة المهيمنات الصوتية التي تقرض بُروزها وتُميّزها في داخل النص، وتتوضّح معالِمها كظاهرة أخذت سمًا اسلوبياً خاصاً، ثم وصّف دلالاتها التعبيرية، حسب الآراء التي نص عليها علماء اللغة، والأصواتيون منهم بخاصّة، وما توصلت إليه بحوث الباحثين في هذا الشأن، ومن ثم عرض المعاني المتوافرة في النص، والتي أشار إليها الشراح والعلماء، للتعرف على كيفية خدمة الإيحاءات الدلالية في التعبير عن المعاني.

إن ملاحظة المهيمنات لها أشكال ذات مراتب؛ منها البروز والطغيان السمعي اللافت^(١)، ثم الإحصاء والتكرار العالي النسبي^(٢)، وكلها مع الأخذ بنظر الاعتبار "التزامن مع لغة العصر"، صوتاً ونظاماً، ومحاولة محاكاتها حسبما وردت كفيّاتها عن علماء ذلك العصر، ((لأن اللغة المنطوقة عرضة للتطور))^(٣)، مع أن للقران الكريم الفضل الكبير في بقاء أصوات اللغة العربية الفصحى ثابتة، على صورتها الأولى إلى حد كبير، عن طريق الحَضّ على ضَبْط أصواته والدقّة في تَلْفُظِها^(٤)، ومن جهة ثانية، إن النصوص المكتوبة التي وصلتنا قاصرة عن تمثيل اللغة المنطوقة تمثيلاً دقيقاً، وهي عاجزة عن نقل الملامح السيميائية للكلام كالحركات الجسمية، ونغمات الأصوات^(٥).

(١) إن الملاحظة بواسطة الأذن الإنسانية هي أكثر ضبطاً للاستخدام اللغوي من الآلات الصناعية؛ فمادة بحثه إنما هو الكلام الحي، ينظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ٧٠، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط٢، ٢٠٠٧م، ١٦، وقوله: ((ولا يزال المُحدّثون يولون رهافة السمع أهمية في إدراك خصائص الأصوات)).

(٢) وليس الاعتماد عليه كأصل، إنما؛ ((محكوم بالحاجة التي تتبع من طبيعة النص ذاته، أو الأديب)): البلاغة والأسلوبية، ٢٠١.

(٣) أسس علم اللغة، ٦١.

(٤) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، عمان - الأردن، ط٢: ١٩٦٤م، ٥٦.

(٥) ينظر: مبادئ اللسانيات، ٦٥، ٦٦، و: البلاغة والأسلوبية، ٢٠٠.

المبحث الاول: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الحروف:

إن الوحدة الأساسية أو المادة الخام لعلم الأصوات العام هي الصوت المفرد (phone) [الوحدة الصوتية]^(١) الذي يعرف بأنه: ((أي صوت لغوي مفرد بسيط يمكن تسجيله بالآلات الحساسة في المعمل))^(٢)، ويرى أصحاب نظرية السمات الفارقة ((أنه من الضروري أن تتميز الوحدات الصوتية أو الفونيمات في لغة ما بعضها من بعض بوجود صفة فارقة واحدة على الأقل))^(٣).

ولأصوات الحروف في اللغة العربية مميزات وخصائص في جرسها المنغم، ولكل منها جرس خاص به يختلف في صفاته حسب المخارج ونغمة الصوت عن غيرها، جرس ذو إحياءات من شأنها أن تؤثر في تعميق الدلالة بالمعنى، وفي دقة التوجه إليه، وتهئية النفس لقبوله^(٤)، والعرب قديما أدركوا ذلك ((فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف))^(٥)، وقد صنف علماء اللغة العربية -قديما وحديثا- الأصوات اللغوية إلى أصناف ومجاميع ذات صفات خاصة، ولاحظوا ملامح القوة ولامح الضعف في هذه الصفات، وكذلك لاحظوا الإحياءات الدلالية الخاصة لكل مجموعة، ولكل عنصر، ومن أبرز هذه الصفات والملاح، والتي بينها العلماء مفصلاً؛ **الجهر** وضدّها **الهمس**، والجهر من صفات القوة، كما أنّ الهمس من صفات الضعف والهمس بمعنى "الصَوْتُ الخَفِيّ"، وأحرفها عشرة يجمعها القول: (سَكَتَ فَحَنَّهُ شَخَصَ)، والشدة وضدّها الرخاوة، والشدة من صفات القوة وهي امتناع الصوت أن يجري في الحروف، وحروفها ثمانية يجمعها القول: (أَجِدُ قَطٍ بَكَتَ)، كما أنّ الرخاوة من صفات الضعف، وبينهما **المتوسطة** وهي خمسة يجمعها القول (لِنْ عُمَرِ)، **والمرققة** وضدّها **المفخمة**، والتفخيم من صفات القوة وهي سبعة يجمعها القول (قَطْ خُصَّ ضَغَطٍ) وأعلاها الطّاء، وأصوات **صفيرية**: وهي السين، والزّاي، والصّاد. **والنفثي** صفة الشين، وهما صفتا قوة ووضوح، وأصوات **القلقلة**: والقلقلة شدة في الصوت، وصفة قوة وهي خمسة يجمعها القول: (قُطِبُ جَدٌّ) وهو صوت

(١) الفونيم مصطلح إنكليزي يصعب ترجمته للعربية بكلمة مفردة، ويسمى عند بعض الإنكليز (phonetic unit) ويترجم إلى (الوحدة الصوتية)، ينظر: علم الأصوات، ٤٨٢.

(٢) أسس علم اللغة، ٤٧.

(٣) علم الأصوات، ٤٨٩.

(٤) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ٢٦١.

(٥) الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د. ط، ١٩٥٧م، ٦٦، ١.

يشبه النبر حال سكونِه^(١)، وأصوات المدّ: وهي الحروف الهوائية ولها وظيفة فنية صوتية او وظيفة موسيقية فإن هذه الحروف هي التي تفسح المجال لتنوع النغمة الموسيقية للكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة لسعة إمكانياتها الصوتية ومرونتها.^(٢)

إن حضور أصوات ذات صفة معينة في النص بكثافة أعلى من غيرها، وغلبتها إحصائياً، لا تعني بالضرورة طغيان الملامح التعبيرية لهذه الصفة، وتُميّز انطباعاتها الإيحائية في هذا النص؛ فهناك جملة من الأمور لها الأثر الأساس، أو المساعد في عملية التشكيل الأسلوبي، وبها تمتاز دلالات على حساب أخرى، ف((التحليل الصوتي يقوم أساساً على إدراك الخصائص الصوتية للغة العادية، ثم ينتقل من ذلك إلى تلك التي تتحرف عن النمط العادي، لاستخلاص سماتها التي تؤثر بشكل واضح في الأسلوب))^(٣) فمثلاً، وعلى قول إبراهيم أنيس: ((أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة في الكلام لا تكاد تزيد على الخمس أو عشرين في المئة منه، في حين أن أربعة أخماس الكلام تتكون من أصوات مجهورة))^(٤)، وكذلك ينبغي معرفة نسبة دخول كل صوت في تركيب الكلام، فالأصوات الصائتة أكثر دخولا من بقية الأصوات في الكلام، ثم تليها المتوسطة الشدة^(٥)، ولنظام توزيع وحدات الصوت على النص لها شأن في عملية إبراز صفة الصوت؛ فإن تقاربت من بعضها وتالت بسلاسة، أو تجانست مع صوت آخر لمرات عديدة ألمحت بالصفة، وإلا فلا،^(٦) ولنظام ترتيب الحروف داخل الكلمة الواحدة قيمة في تعيين فعالية دلالة الصوت؛ كما رأى ذلك ابن جني إذ قال: ((تقديم ما يضاهي أول الحدث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه))^(٧) وعلى رأي: ((إن العربي قد درج على وضع الحروف الموحية بأصوات في مقدمة المصادر التي تدل معانيها عليها. فهي في هذا الموقع البارز أوحى ما تكون بخصائصها الصوتية الأصلية، ثم يسوق الحروف الأخرى للتأليف بينها

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تح: علي محمد الضَّبَّاع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت، ٢٠٢/١ - ٢٠٣، و: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة، القاهرة، د. ط، د. ت، ٦٧.

(٢) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية، ٢٥٦.

(٣) البلاغة والأسلوبية، ٢٠٦.

(٤) الأصوات اللغوية، ٢٣.

(٥) ينظر: مبادئ اللسانيات، ١٢٢، ١٣٢.

(٦) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان - بيروت، ط ٢: ١٩٨٤م، ٨٨.

(٧) الخصائص، ٢/ ١٦٤، وينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٤٢/١.

في اللفظة الدالة على صوت بالصورة التي تتوافق جملتها الصوتية مع طبيعة الصوت الذي يريد التعبير عنه))^(١) وأمور أخرى غير ما ذكرت لها الأثر في بناء الأسلوب داخل النص، وعلم الصوتيات الحديثة ((يرى في الوحدات الصوتية (الفونيمات) أو الحروف عناصر ذات معنى، ولكنها لا تكتسب معناها إلا بدخولها في نظام أشمل منها))^(٢)، وفي الأمثلة الآتية محاولات لملاحظة مثل هذه الخصائص، وكيف أخذت سمًا مميزًا في النص، والإيحاءات التعبيرية المتولدة منها، وكيفية توظيفها في خدمة المعاني، والمقاصد التي يرمي إليها الإمام (عليه السلام):

١ - من وصف أحوال الملائكة قوله (عليه السلام): ((ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا، وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجْلَ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ، وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ، وَسَرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا))^(٣).

إنَّ موضوع النص هو الحديث عن الملائكة وما اكتنفته خلقتهم من تعظيم وإجلال، وعلو المقام، وقداسة المكان وسعته، وبداعة الهيئة، وللتعرف على مقاصد الإمام (عليه السلام) سيتم تحليل النص صوتياً ثم محاولة وصفه من جهة المنشئ، وعبرَ الخطوات الآتية:

- التحليل الصوتي للنص: وفيه إجراءان:

الأول: الكتابة العروضية للنص أو (الكتابة اللفظية)^(٤).

((ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُو لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِو وَعِمَارَتِصْ صَفِيحِلْ عَعَلَا مِمْلَكُوتِهِي خَلَقَمْ بَدِيعَمْ مِنْ مَلَائِكَتِهِي مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ عَجَوَائِهَا وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ فُرُوجِ زَجْلُلْ مُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِلْ قُدُسْ وَسُتْرَاتِلْ حُجْبُ وَسَرَادِقَاتِلْ مَجْدُ وَوَرَاءَ ذَالِكُرْ رَجِيجِلْ لَذِي تَسْتَكُّ مِنْهُلْ عَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورِنْ تَرْدَعُلْ عَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَا حُدُودِهَا))

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م، ١٠٨.

(٢) تحليل الخطاب الأدبي، ٤٩.

(٣) نهج البلاغة، ١٦٧، ١٦٦.

(٤) وذلك لتوضيح الأصوات المنطوقة فعلاً، إذ ليست العبرة الصوتية فيما يكتب؛ بل ما يلفظ، وقد تم مراعاة قواعد التجويد في توصيفها: كالإدغام والإقلاب ومد الصلة الصغرى لحركة هاء الضمير في "سبحانهو" و"سماواتهيو" لوقوعها بين متحركين. وهذا مثال يدل على غيره من الأمثلة اللاحقة دون تكرار الكتابة اللفظية فيها.

الثاني: جدول إحصاء الأصوات لبيان الكثافة الإحصائية للصفات البارزة في النص نسبة إلى مجموع أصوات النص من غير الحركات، والصف العمودي منه يتضمن تقسيم أصوات النص على صفات الشدة والرخاوة والتوسط واللين، أما الصف الأفقي فيتضمن تقسيم الأصوات على صفتي الجهر والهمس، أما الجدول الصغير المؤلف من عمودين فقط فيتضمن ذكر صفات القلقة والصفير والتفخيم، مع تكرارها ونسبها المئوية نسبة إلى مجموع الأصوات الكلي.

الصفة	الجهر ٧١%	الهمس ٢٩%	المجموع	الصفة	التكرار
الشدة ٢٧,٥%	١١٤ ج ١١ د ٧ ق ٦ ب ١١ ٤٦ =	ك ٧ ت ١٦ = ٢٣	٦٩	القلقة، ب ٢ ج ١٢ د	٢% ٥
الرخاوة ٢١,٥%	ذ ٢ ز ١ ض ٠ ظ ١ غ	ف ٩ ح ٨ ث ١ هـ ١٢ ش ١ خ ٣ ص ٣ س ١١ ٤٨ =	٥٣	الصغير س ١١ ص ٣ ش ١	٦,٥% ١٥
التوسط ٢٩%	ل ٢٢ ن ١٠ ع ٧ م ٢١ ر ١٢	—	٧٢	التفخيم ص ٣ ظ ١	١,٥% ٤
اللين ١٨,٥%	ألف ٢٦ و ١١ ي ٩	—	٤٦		
نصف لين ٣,٥%	و ٧ ي ١	—	٨		
مجموع	١٧٧	٧١	٢٤٨		

- **ملاحظة المهيمنات الصوتية:** في هذا النص القصير؛ المؤلف من ثلاث وخمسين كلمة، وفي أربعة أسطر فقط، يلاحظ تقارب كبير بين مجموع تكرار الأصوات الجامعة لصفتي القوة (الجهر والشدة) وبين مجموع تكرار الأصوات الجامعة لصفتي الضعف (الهمس والرخاوة) بواقع (٤٦)/(٤٨)، ويلاحظ لصوتي الجيم والسين بروز وطغيان سمعي واضح، جاء نتيجة التكتيف الكمي العالي للصوتين، إذ تكرر كل واحد منهما إحدى عشرة مرة، ورغم تكرار بعض الأصوات بمثل هذا العدد أو أكثر منه، إلا أنهما كانا الأبرز جرسا، والجيم أبرز وقعا من السين، وأعلى ظهورا، ويعود ذلك إلى قوة جرس الجيم لما يمتاز به من الصفات القوية - كما تم بيانه في صفات الأصوات-، من جهة، وإلى تقارب وحداته مع بعضها وازدحامها ضمن جمل قليلة وكلمات متتالية من جهة ثانية، بينما بقية الأصوات القوية، أو العديدة، تفرقت وحداتها إلى عموم النص^(١)، ويلاحظ أيضاً مجيئ صوت الفاء قَبْلَ صوت الجيم وقريباً منه، في خمس مرات

(١) إن مجرد ارتفاع أعداد بعض الحروف لا تشكل بروزا صوتيا أو سمة اسلوبية؛ كون طبيعتها من الحروف الأكثر دخولا في الكلام؛ كحرف اللام والراء والنون والميم، ينظر: الأصوات اللغوية، ٥٤، ٥٥.

متتالية، ضمن أقل من سطر واحد، مع توسط في بعضها لأحد صوتي المد (الألف والواو) بين الفاء والجيم، (فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا، وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ)، ما وَلَدَ تَجَانَساً صوتياً^(١)، وأما بروز صوت السين؛ رغم تفرق وحداته إلى مجاميع ثلاثة، وضعف بعض صفاته (الهمس والرخاوة)، فلعدة أسباب؛ الأول: ما يمتاز به من صفة الصغير وهي صفة وضوح وقوة^(٢)، والثاني: إن عددا من الألفاظ التي احتوت صوت السين في النص ابتدأت به، وهذه الميزة الموقعية تحوّل دون تسلط الأصوات القوية على خصائصه الصوتية^(٣)، والثالث: عاضده صوت الصاد في ألفاظ؛ (الصَّفِيح، الأَبْصَار) بصفته الصغير وبموقعه القريب -بعد كل ثلاث وحدات متتالية من صوت السين- في الجملتين الأولى والاختيرة. ويلاحظ كذلك كثرة الأصوات اللينة وبخاصة الألف وانتشارها على معظم الكلمات، ونسبتها جميعا، قرابة ١٩%، من مجموع الأصوات، والهمزة أيضا لها حضور وكثافة، ورغم تفرق وحدات صوته في النص، إلا أن قوة نبره جعل له شيئا من البروز والظهور.

- إحياءات الأصوات المهيمنة في النص:

صوت الجيم: بصفاته القوية (الجهر والشدة والقلقلة)، ذو إحياء بالعظمة والضخامة والقوة والامتلاء، والشدة والفعالية المادية والمعنوية^(٤). **وصوت السين:** بصفاته الرقيقة؛ كونه مهموسا رخوا، إضافة إلى صفته الصغيرية، فهو ذو إحياء بالسَّعة والتحرك والطلب والانبساط والامتداد. وقيل: توحى بالامتداد الدقيق^(٥). **وصوت الفاء:** مهموس رخو، ذو إحياء بالبعثرة والتشتت والانفراج^(٦)، وقيل: ((تعبّر عن النفاذ بقوة -كالطرد والإبعاد- إلى ظاهر الشيء مع اتساع النفاذ أو انتشاره))^(٧).

(١) وهو ((تكرار صوت أو أكثر في الكلمات المتوالية، وهو مظهر من مظاهر موسيقى الكلام)): معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ٨٨.

(٢) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ١٧٩.

(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٨٤.

(٤) ينظر: م، ن، ٨١.

(٥) ينظر: م، ن، ٨٢، ٨٥، والمعجم الاشتقاقي المؤصل، ١ / ٣٠.

(٦) ينظر: م، ن، ٩٧.

(٧) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١ / ٣٤.

وأما صوت الهمزة: فليس لها معنى لغوي مستقل بل يظهر معناها في غيرها وهو يوحي بالنتوء والبروز^(١)، وأصوات اللين: ذات إحياء بالامتداد والانتقال نحو الاتجاهات فصوت الواو يوحي بالفعالية والبعد نحو الأمام، و((الألف اللينة التي تقع في أواسط المصادر أو أواخرها، يقتصر تأثيرها في معانيها على إضفاء خاصية الامتداد عليها في المكان أو الزمان))^(٢).

- المعاني التي جاءت في النص: جاءت مفردات النص بثلاث مجموعات رئيسية من المعاني وهي: الأولى: (العظمة والزلزلة والاضطراب والجلالة والانسداد والكف)، الثانية: (السعة والفسحة والخلو وامتداد الزجل)، الثالثة: (الانفراج والفرجة بين الشيئين والفتق)^(٣).

- وصف النص: يلاحظ -وبسهولة- تشابه دلالات هذه الأصوات الثلاثة؛ الجيم والسين والفاء، وتناسب إحياءاتها المذكورة آنفاً، وإلى حد بعيد، مع المجموعات الثلاث لمعاني مفردات النص على التوالي؛ وقد آزرت الأصوات اللينة هذه المعاني بإحياءاتها الدالة على الطول والامتداد. وهذا الأسلوب يحمل في طياته اهتمام المبدع بدعم المعاني التي يريد نقلها إلى المتلقي، وهذا الاهتمام ناشئ من أهمية القصد الذي يرمي إليه في نقله هذا الموضوع، فبيان عظمة مجموعة من المخلوقات كالملائكة والسموات العليا، التي كانت غائبة عن معرفة الناس، وإشعارهم بالمسافة الشاسعة بين أنفسهم وبين هذه المخلوقات، يجعلهم يتصاغرون أمامها، ثم يتصاغرون أكثر أمام خالق هذه المخلوقات.

٢- من وصف العالم ما قبل خلق السماوات والأرض قوله (ﷻ): ((إِذْ لَا سَمَاءَ دَأَتْ أَبْرَاجٍ، وَلَا حُجُبَ دَأَتْ إِرْتَاجٍ، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ، وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، وَلَا فَجٌّ ذُو عَوَجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ دَأَتْ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ))^(٤).

(١) ينظر، المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٢٦ / ١.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٧٤، ٧٥.

(٣) ((الصفوح الأعلى: سطح الفلك الأعظم. والفروج: الأماكن الخالية. والفج: الطريق الواسع بين جبلين. الجوّ وهو ما أوسع من الأودية. الفجوة، وهي الفُرجة بين الشيئين، والزجل: الصوت. والرجيح الزلزلة والاضطراب، وتستكّ الأسماك: تتسّد. وسبحات النور بضم السين والباء: عبارة عن جلالة الله وعظمته. وتردع الأبصار: تكفها)). شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي بغداد، ط ١، ٢٠٠٧ م، ٦ / ٤٤٥، وينظر: شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٨٩ هـ)، دار الثقلين، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م، ٣٦٨ / ٢.

(٤) نهج البلاغة، ١٥٧.

النص في معرض تعظيم الله تعالى عبّر بيان قِدَمِهِ على المخلوقات جميعاً، وتناول الزمن الذي سبقَ خلق الخلائق، وربما يَصْحُ تسميته - تَجَوُّزاً- بعالم العَدَم، من قبيل: ما كان بالنسبة إلينا عدماً هو بالنسبة إلى الله تعالى غير معدوم، كما أنَّ الموت بالنسبة إلينا هي انعدام الحياة، ولكنها عند الله تعالى غير عديمي، مُفاداً من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: من الآية ٢]، والخطوات الآتية تفصّل كيفية توظيف الأصوات لدعم المعاني في النص.

الصفة	الجموع	الجموع	الهس ١٢%	الجموع	الصفة
الشدة ٢٤%	٥ ج ١٢ د ٣ ط ٤ ب	٣٠	ك ٥ ت	ج ٢٦ د ١ ب ٩	القلقلة ٨,٥%
الرخاوة ١٩%	ذ ٧ ز ١ ض ١ ظ ٠ غ ٠	١٦	ف ٢ ح ٢ ث ١ هـ ١ ش ١ خ ٠ ص ٠ س ٢	٢ س ٢	الصفير ٢%
التوسط ٣٣%	ل ١٢ ن ١ ع ٨ م ٣ ر ٤	٢٩	—	ض ١ ر ١ ع ١ أ	التفخيم ٣%
اللين ١٥%	ألف ٢٠ و ٣ ي ٠	٢٣	—	٣	
نصف لين ٩%	و ٨ ي ١	٩	—		
المجموع	٩٤	١٣	١٠٧		

- التحليل الصوتي: جدول إحصاء الأصوات يبين الكثافة الإحصائية للصفات البارزة في

النص، الصف العمودي يتضمن صفات الشدة والرخاوة والتوسط لأصوات النص وفيه أخذت الأصوات اللينة ثلث كمية الأصوات، ثم أقل منها أصوات الشدة إذ أخذت ربع كمية الأصوات، أمّا الصف العمودي فيتضمن تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة، وقد بلغت الأصوات المجهورة نسبة عالية جداً، كما موضح في الجدول، أمّا الجدول الصغير فيبين النسبة العالية، لأصوات القلقلّة (٨,٥%) الداخلة في النص؛ وهي نسبة عالية قياساً إلى نصوص أخرى.

- ملاحظة الأصوات المهيمنة: في هذا النص المكون من إحدى وثلاثين كلمة يلاحظ

غلبة الأصوات ذات الصفات القوية؛ المجهورة، والشديدة، ويبرز صوت الجيم من بين بقية أصوات النص باثني عشر تكراراً، ستة منها جاءت مقلّلاً بسبب السكون للوقف العارض، ومما زاد في أسباب قوة هذا الصوت ووضوحه؛ هو التزام الألف قبله في نهايات الفقرات الستة مشكلاً معه المقطع الصوتي الطويل المغلق /ص ح ح ص/ (١): (راج، تاج، ساج، داج، جاج، جاج؛)

(١) هذه العلامات تعني: "ص" الحرف الصامت. "ح" الحركة القصيرة كالفتحة، "ح ح" الحركة الطويلة كالألف.

وهو من المقاطع قليلة الشيوع، لصعوبة النطق بها، وهي منبورة دائماً، ولا تكون إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف وعدم الإعراب^(١)، فضلاً عن الكمية العالية لصوت الألف بعشرين تكراراً، دخل به عشرين كلمة أي دخل ثلثي كلمات النص.

- **إحياءات الأصوات المهيمنة:** صوت الجيم: - كما سبق في المثال الأول - بصفاته القوية (الجر والشدة والقلقلة)، هو ذو إحياء بالعظمة والضخامة والقوة والامتلاء...^(٢)، ويعاضده صوت الألف بإحياءاته بالامتداد والطول، ولا سيما الألف في نهايات حرف النفي (لا/ص ح ح/ موحية بالامتداد الطويل المفتوح.

- **المعاني التي جاءت في النص:** جاءت مفردات النص بمعاني الأشياء العظيمة والكبيرة وذات الحدث الجلل؛ كأبراج السماء: (أركان السماء)، والحجب ذات الإرتاج: (حجب النور المضروبة بين العرش الإلهي والملائكة)، والبحار والجبال والفجاج والأرض^(٣).

- **وصف النص:** جاءت الإحياءات القوية لصوت الجيم، مع إحياءات الألف بالسعة والامتداد مهيئة النفس لقبول هذه المعاني الجليلة والعظيمة، فإن هذه العظمة البالغة التي تمتاز بها الكون من سماوات وأبراج، وأرضين وبحار وغيرها، كلها صاغرة أمام الله تعالى وكانت فراغاً قبل الخلق.

٣- ومن وصف أحوال أهل الجنة، وأحوال أهل النار، قوله (الْمَلَكُوتُ): ((فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَنُتَابَهُمْ بِجَوَارِهِ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النَّزْلُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَنُنْزِلُهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِي بِالْأَقْدَامِ، وَالْبَسَهُمُ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمَقْطَعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُقْصَمُ كُبُولُهَا. لَا مَدَّةَ لِلدَّارِ فَتَقْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.))^(٤)

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، ٩٣، ومناهج البحث في اللغة، ١٤٥، ١٤٦، وعلم الأصوات، ٥١٠-٥١٢.

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٢٧ / ١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٦ / ٤٢٣.

(٤) نهج البلاغة، ٢١٤.

- التحليل الصوتي للنص: جدول يبين الكثافة الإحصائية لبعض الصفات البارزة في النص.

الصفة	الجهر ٨٠%	الهمس ٢٠%	المجموع
الشدة ٢٤%	١٩ء ج ٣ د ١٤ ق ١٣ ط ٨ ب ١٥	ك ٢ ت ١٣	٨٧
الرخاوة ١٩%	ذ ١ ز ٤ ض ٢ ظ ٢ غ ٢	ف ١٤ ح ٣ ث ٢ هـ ٢٢ ش ٣ خ ٣ ص ٥ س ٦	٦٩
التوسط ٣٣%	ل ٤٧ ن ٢٤ ع ١١ م ٢٢ ر ١٨	_____	١٢٢
اللين ١٥%	ألف ٤٦ و ٢ ي ٨	_____	٥٦
نصف لين ٩%	و ٢١ ي ١١	_____	٣٢
المجموع	٢٩٣	٧٣	٣٦٦

الصفة	المجموع
القلقلة	٥
١,٥%	ق ٣ ط ١ د ١
الصفير	١٥
٤%	ش ٣ ص ٥ س ٦
التفخيم	٤٣
١٢%	خ ١ ق ٧ ر ١٠ ص ٥ ض ٢ ط ٨ ظ ٢ ألف ٨

- ملاحظة الأصوات المهيمنة: يلاحظ في النص هيمنة الأصوات ذات الصفات القوية؛ وبخاصة الأصوات التي تجمع صفتي الجهر والشدة معاً، وهي حروف القاف والطاء والباء والdal والهمزة، وهي أقوى الأصوات سمعاً، حيث ألفت هذه الأصوات بمفردها: (٢٠%) من مجموع أصوات النص، وبإضافتها إلى الأصوات متوسطة الشدة؛ وهي العين واللام والنون والميم والراء، وهي ((من أوضح الأصوات الساكنة في السمع))^(١) ألفت: (٥٣%) من مجموع أصوات النص.

ولإحاطة الموصوفين في النص، يمكن تقسيم النص على قسمين: أهل الطاعة، وأهل المعصية، وعمل مقارنة نسبية بينهما في تكرار صفات الحروف من حيث القوة والضعف، وكما مبين في الجدول الآتي:

عدد الأصوات	صفة الصوت الموصوف	الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	توسط	اللين	نصف لين	التفخيم	القلقلة
١٣١	النسبة عند "أهل الطاعة"	٧٥%	٢٥%	١٩%	٢٤,٥%	٣٣%	١٥%	٨,٥%	٩%	٠%
٢٣٥	النسبة عند "أهل المعصية"	٨٣%	١٧%	٢٦,٥%	١٥,٥%	٣٣,٥%	١٥,٥%	٩%	١٣%	٢%

(١) الأصوات اللغوية، ٥٥.

يتبين من هذا التقسيم أن نسبة الأصوات القوية التي استعملت في وصف "أهل المعصية" كانت أعلى من نسبتها المستعملة في وصف "أهل الطاعة"؛ سواء المجهورة منها أو الشديدة، أو المفخمة، أو المقلقلة^(١)، والعكس بالعكس في الأصوات المهموسة والأصوات الرخوة وكذلك المرفقة، أما الأصوات المتوسطة الشدة، والأصوات اللينة؛ فقد تقاربت إلى حد كبير جداً.

إن المُبرِّز في هذه الأصوات؛ تجاور حرف القاف واقتترانه مع حروف الإطباق، وأبرزها؛ هي القاف مع الطاء، إذ إن الوحدات الأربع لحرف الطاء التي جاءت ضمن وصف أهل المعصية، اقترنت أصواتها دائماً بصوت "القاف" ضمن كلمات متقاربة، في أقل من سطرين، وصوت القاف تجاور أيضاً مع الصاد والضاد، ضمن كلمتين منفردتين هما؛ (قَصِيفٌ، يُقْضَا)، وكذلك اقترنت ثلاث وحدات من صوت الباء، مع ثلاث وحدات من صوت اللام ضمن ثلاث كلمات متتالية (كَلَبٌ وَلَجِبٌ، وَلَهَبٌ)، -وهذا يسمى بالجناس المزدوج-^(٢) وقد اجتمعت جميع حالات القلقة في وصف أهل المعصية.

- إحياءات الأصوات المهيمنة: عدَّ "إبراهيم أنيس" حروف الإطباق وحرفي القاف والهمزة من الحروف التي تتطلب نطقها جهد عضلياً أكثر وأنها تُعدُّ ((حروفاً رديئةً للموسيقى تأبأها الآذان ولا تستسيغها... والكلمة التي تتضمن أكثر من حرف من الحروف السابقة، ولو لم يتجاوزا تعدُّ من الكلمات العسيرة النطق التي لا نستريح لموسيقاها))^(٣). إنَّ أصوات القاف والطاء والباء والذال بصفاتها القوية؛ الجهر والشدة والقلقة، تَكُونَتْ لها إحياءات على النحو الآتي:

صوت القاف: وكونه أطلق الحروف وأضخمها جرساً وأصحُّها^(٤)، هو ذو إحياء بالانفجار والقوة والقساوة والصلابة والشدة؛ كالقطع والقبض وغيرها، ويُعدُّ من الأصوات الموحية بأصوات الأشياء في الطبيعة^(٥).

(١) التفخيم جاء ذاتياً من الأصوات المطبقة الأربعة، وموقعياً من بعض حالات أصوات الخاء والقاف والألف. وأما القلقة فجاءت من حالة سكون بعض أصواتها؛ القاف والذال والطاء.

(٢) وهو أن يلي أحد المتجانسين الآخر ويسمى أيضاً؛ «مكرراً» و«مردداً»، كقولهم: ((من طلب وجدَّ وجدَّ)): تحقيق الفوائد الغيائية، محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الكرمانى (ت ٧٨٦هـ)، تح: د. علي بن دخيل الله العوفي، نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١: ١٤٢٤هـ، ٢/ ٨١٣.

(٣) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط ٢: ١٩٥٢م، ٢٦.

(٤) ينظر: كتاب العين، ١/ ٥٣، و: تهذيب اللغة، ١/ ٣٨.

(٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٠٨ - ١١٠.

وصوت الطاء: فضلاً عن صفات القوة سابقة الذكر، فله صفة الإطباق، وكونه أعلى أصوات التقخيم، فهو ذو إحياء بالزيادة والضخامة والفلطحة، وجرسه أشبه ما يكون بضجة الطبل^(١)، وفي المعجم الاشتقاقي ((يعبر عن نوع من الضغط بغلظ وثقل مع حدة مخالطة))^(٢).

وصوت الباء: ((بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعاً بعد ضمة شديدة، فهو أوحى ما يكون بمعاني البعج والحفر، والقطع والشق، والتحطيم والتبديد، والمفاجأة والشدة، وذلك حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث))^(٣).

وصوت الدال: يدل على الصلابة والقساوة وأصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين^(٤)، وفي المعجم الاشتقاقي ((الدال: تعبر عن امتدادٍ طولي دقيق مع انحصار، أي احتباس عن العَرَض))^(٥).

وأما صوت الهمزة: ف((الضغط الذي تعبر عنه الهمزة ينصبُّ (في الاستعمالات اللغوية) على ما تعبر عنه الحروف التي تصبحها في نفس الكلمة،... وليس لها معنى لغوي مستقل بل يظهر معناها في غيرها))^(٦)، وهو ((يُوحى بالبروز والنتوء))^(٧).

- **المعاني ووصف النص:** إن الإحياءات التعبيرية للأصوات المهيمنة؛ القاف والطاء والباء والدال، فضلاً عن الإحياء العام للنص بسبب غلبة الصفات القوية للأصوات، وتجاور حروف الإطباق مع حرف القاف، وبخاصة في وصف أهل المعصية؛ قد تركزت في الإحياءات بالمعاني العنيفة والشديدة كالقسوة، والصياح العالي والضجيج، والضخامة، وهي قد تناسبت وإلى حد بعيد مع المضامين والمعاني التي جاءت في النص؛ وهي أنواع من العذاب الشديد؛ كوضع القيود في الأيدي، والأقدام، وإلباس ثياب النار والقطران، والعذاب بالنار والحر الشديد، والحبس،

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٩١، ٩٢.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١ / ٣٢.

(٣) الخصائص، ٢٦٢.

(٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٥٢، ٥٣.

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١ / ٢٨.

(٦) م، ن، ١ / ٢٦.

(٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٣٢.

والصوت الشديد والصياح العالي، فالحال كلها؛ ضنك وضيق وقيد وشدة، ويتبين من ذلك قصد الترهيب من عذاب جهنم وتصويره بأشدّ حالات القسوة والألم.

والملاحظ أن الأصوات الموحية بالشدة عمّت النص؛ حتى في وصف حال أهل الطاعة فقد أختار لهم الإمام (عليه السلام) الألفاظ ذات المعاني الضنكة والشديدة، والأصوات الفخمة؛ (الظعن - التغير - الأفزاع - الأسقام - الأخطار - الأسفار) ولكن؛ بسلبها عنهم، وذلك باستعمال أسلوب النفي -ست مرات متتالية من أصل ثمانية أفعال-، لنفي هذه الأحوال عن المتقين، (لَا يَظَعْنَ النَّزْلُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَتَوْبَهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ)، فحصلت على مقدار من الأصوات الفخمة، فمبدع النص لم يُمهّل المتلقي فرصة للاستبشار بألفاظ ذات بسطة وانشراح للقلب، وهذا ما يناسب مقام الإنذار والوعيد.

٤- من وصف لبعض مشاهد يوم القيامة، قوله (عليه السلام): ((فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلَمُ لَهُ الْأَفْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَرْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرُّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا رَقْرَقًا، وَمَعْهَدُهَا قَاعًا سَمَلَقًا، فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمَ يَدْفَعُ، وَلَا مَعْدِرَةَ تَنْفَعُ))^(١).

- التحليل الصوتي للنص: جدول يبين الكثافة الإحصائية لبعض الصفات في النص.

الصفة	الجهر ٦٩%	الهمس ٣١%	المجموع
الشدة ١٧%	٢٤ ج ٢٣ د ٦ ط ٣ ب	٨ ك ٣ ت	٣٠
الرخاوة ٢٧%	٢ ذ ١ ز ١ ض ٠ ظ ١ غ	٩ ف ١٢ ح ١ ث ٠ هـ ٩ ش ٨ خ ٤ ص ٩ س ٣	٥٠
التوسط ٣٣%	ل ١٨ ن ٦ ع ٩ م ١٥ ر ١٢	٦٠	
اللين ١٢%	ألف ١٤ و ٢ ي ٦	٢٢	
أنصاف اللين ١١%	و ١٢ ي ٧	١٩	
المجموع	١٢٤	٥٧	١٨١

القلقلة ٣%	٢ ب ٢ ق ١ د	٥
التقشي ٥%	٨	
الصفير ٧%	١٣	
التفخيم ٢٠%	٣٦	
خ ٢ اق ٢ ص ٩ ط ٣		
ظ ١ ا ٥ ألف ٣ ب ١ و ٢ ٢٤		
ل ٢ ت ١ م ٢ ي ٢		

- ملاحظة الأصوات المهيمنة: يلاحظ في النص المكون من اثنتين وأربعين كلمة، في ثلاثة أسطر فقط، بروز ثلاث صفات قوية في النص وهي: التقشي والصفير والتفخيم؛ فالتقشي الناتج من صوته الوحيد الشين، برز كوشوشة منتشرة ألقت بظلالها على النص، حيث تكرر

(١) نهج البلاغة، ٤١٤، ٤١٥، و [سورة إبراهيم، جزء من الآية: ٤٢].

ثمان مرات، وتركزت أربع وحدات منه مضعفاً ضمن كلمتين متتاليتين في وسط النص، (الشُّمَّ الشَّوَامِخُ)، ووحدتان في كلمتين متتاليتين (شَفِيعٌ يَشْفَعُ)، وأما صفة الصفير الناتج من حروفها (السين، الزاي، والصاد) وتكرار بلغ ثلاث عشرة مرة، وأبرزها صوت الصاد بتكرار تسع مرات، تارة بَرَزَ بالتضعيف وتارة بالتواشج مع صوتي السين والشين، وذلك في المقطع: (وَتَذِلُّ الشُّمَّ الشَّوَامِخُ، والصُّمُّ الرَّوَّاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَفْرَقاً)، وصوت الشين من أقرب الأصوات إلى أصوات الصفير صفة؛ حتى عدّه بعضهم منها، أما صفة التفخيم وهي الأعلى نسبة من بين الصفات البارزة، بلغت حُمسَ مساحة النص؛ والتي نتجت من عدة مستويات لصفة التفخيم، أعلاها من أصوات الإطباق^(١)، ثم الأصوات التي تفخم في حالات موقعية^(٢) محددة، ثم التي تفخم بتأثير قوة المجاورة، حيث أخذت بعض أصوات الألف والهمزة والتاء والباء والواو والياء، هذه الصفة من تجاورها - القبلي أو البعدي - للأصوات المفخمة.

- **إحياءات الأصوات المهيمنة:** صوت الشين: يوحى بالتفشي والبعثرة والانتشار والتشتت والاضطراب بما يحاكي بعثرة النفس عند خروج صوته^(٣)، وفي المعجم الاشتقاقي المؤصل ((الشين: تعبّر عن تسيّب وتفرّق أي انتشار وتفشّ وعدم تجمع أو تعقد. ... وهذا المعنى للشين يلتقي مع الشعور بتكونها بخروج الهواء متفشيا منتشراً بعد المضيق الذي يعترضه بسبب ارتفاع وسط مقدم اللسان قرب طرفه إلى ما يحاذيه من الحنك، وقد وصفوها بالتفشي، وهو أقوى أوصافها، ويمثل معناها))^(٤).

صوت الصاد: في المعجم الاشتقاقي: ((تعبّر عن كون الشيء غليظاً قوياً في ذاته خالصاً مما يخالطه))^(٥)، وصوتي السين والطاء قد مرّ بيان إحياءاتهما في المثالين الأول والثالث.

- **المعاني التي جاءت في النص:** النص يتناول مشاهد القيامة والنفخ بالصُور وجلالة وقعه على الناس، وذكر مجموعة مشاهد تبين قوة الجلالة والهيبة لذلك اليوم المهلل الذي لا يمكن تصويره في الحياة الدنيا، فعدم وجود الشفعاء أو المدافعين من مختصات عذاب الآخرة.

(١) (الطاء والصاد والضاد والظاء) بتكرار (١٣ مرة).

(٢) وهي أصوات الخاء والقاف والغين والراء.

(٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٨٨.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١ / ٣١، ٣٢.

(٥) م، ن، ١ / ٣١.

- وصف النص: ومن الواضح أن المقام مقام تهويل وتخويف ووعيد فجاءت إحياءات الأصوات مفخمة وقوية وعالية لتناسب معاني شخوص الأبطال: أي بقائها مفتوحة لا تطرف، وبُكْم الألسن، بسبب الأهوال التي تراها، والصوت العالي لنفخ الصور الذي يؤدي إلى تدكدك الجبال، واستواء المنازل والمرتفعات بسطح الأرض، وهلاك المهج.^(١)

وقد نجد في وصف أحوال أهل البرزخ ارتفاعاً في نسبة استعمال الأصوات الضعيفة؛ كالمهموسة والرخوة على حساب الصفات القوية، وذلك في المعاني التي جاءت على لسان الحال لأهل القبور أنفسهم، في قوله (عليه السلام): ((فَلَوْ كَانُوا يَنْطِفُونَ بِهَا لَعَيُوا ... وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النَّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَضِرُ، وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَيْسْنَا أَهْدَامَ الْبَلَى، وَتَكَاءَنَا ضَيْقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَتْنا الْوَحْشَةُ، وَتَهَكَّمتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَأَمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ مُنْسَعاً!))^(٢)، إذ جاءت الأصوات القوية بنسبة قليلة جداً نسبة إلى الضعيفة منها.

تبيّن من خلال هذا المبحث أنّ هنالك اعتناءً بالجانب الصوتي عند تأليف الكلام، فقد برز فيه استعمال ظاهرة مناسبة الصوت للمعنى؛ عبّر اطراد بعض الأصوات ضمن التشكيل الصوتي للنصوص، أصوات ذات علاقة بمعانيها ودالة عليها ومعززة لها؛ كما في إبرا بعض الأصوات الموحية بالسعة والامتداد، (السين والألف والواو) في وصف خلق الملائكة ومواقعهم من الفضاء الفسيح إذ لوحظ التكثيف الكمي العالي لهذه الأصوات وضمن ترتيبات وأنماط متناسقة إلى حدّ ما، وأصوات أخرى (الجيم والهمزة) موحية بالعظمة والقوة، مناسبة قوة وعظمة الملائكة، وأمّا في وصف البرزخ وكذلك وصف عذاب جهنم، برز صفات القوة: كالتفخيم والصفير والتنفسي، وناسبت أهوال البرزخ وعذابات الجحيم، وأحياناً قليلة لوحظ ارتفاع نسبة الأصوات المهموسة والرخوة عند الكلام على لسان حال أهل القبور، وكذلك لوحظ ارتفاع نسبة صفات الهمس والرخاوة في وصف أحوال أهل الجنة نسبة إلى وصف أحوال جهنم أيضاً، وأمّا في خلق السموات والأرضين؛ فبرزت الأصوات الموحية بالشدة والقوة بصوت (الجيم)، والنبر على المقطع الطويل المغلق /ص ح ح ص/، والإيحاء بالامتداد بصوت الألف.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٣٢٩/١٠.

(٢) نهج البلاغة، ٤٥٣.

المبحث الثاني: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الكلمات:

لأصوات الكلمات جُزس في نغمها وإيقاعها الذي يحصل نتيجة التلاؤم بين حروفها، من خلال صفاتها ومخارجها، وأنواع حركاتها وسكناتها، وترتيبها، وتتابعها^(١)، ويمكن ملاحظة بروز الملامح الصوتية المتميزة كملامح تعبيرية، في مستوى الكلمات من خلال مجانسة الكلمات بعضها مع بعض، وقد برز من التجنيس في نصوص البحث نمطان مختلفان، الأول: مجانسة أصوات حروف كلمتين فـ((المتجانسان هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى))^(٢)، والثاني: تجانس الأوزان الصرفية والمقطعية للكلمات دون أن يجمع طرفي التجانس تشابهً لفظيً.

أولاً: التجنيس اللفظي:

إن اشتراك مجموعة من الأصوات اللغوية فيما بينها، في صفة خاصة، أو تقارب مخارجها، جعل بعض العلماء والباحثين في اللغة - قديماً وحديثاً - يبحثون عن إمكان إيجاد علاقة تقارب بين أصوات المفردات لتقارب معانيها، فقد تنبّه ابن جني إلى ذلك، وعقد في كتابه الخصائص فصلاً خاصاً لذلك وعنوانه: ((باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني... [وقال] وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع))^(٣)، وجاء بشواهد على ذلك مثل؛ (أَزَّ، وهزَّ)، و(العَسْف والأسْف)، ومن المحدثين "د. محمد حسن جبل" وقد بنى معجمه الاشتقاقي على فكرتين؛ الأولى: المعنى المحوري، ((وهو ربط مفردات كل تركيب [مادة] بمعنى عامٍّ واحد))^(٤) والثاني: فكرة الفصل المعجمي ويقصد بها التراكيب التي تبدأ بحرفين يعينيهما مُرتَّبَيْن، وتنتهي الفكرة إلى ((أن الحرفين الأول والثاني الصحيحين بترتيبهما من كل تركيب، يستصحبان المعنى الذي كانا يعبران عنه، وهما في صورة الثلاثي المضعّف المؤتلفة (الحروف))^(٥)، ويرى أن ((أطراد معنى التركيب ذي الأحرف المعينة بترتيب بعينه في مفردات

(١) ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار الفاروق، عمّان - الأردن، د. ط: ٢٠١٣م، ١٠٠.

(٢) علم البديع، عبد العزيز عتيق، النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د. ط: د. ت، ٢٢٦.

(٣) الخصائص، ١٤٧/٢، وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ٩٤.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٥/١.

(٥) م، ن، ١٩ / ١.

هذا التركيب يثبت ارتباطاً محدوداً بين أحرف هذا التركيب ومعناه^(١)، والبلاغيون كانت نظرتهم لمثل هذا التجانس بين المفردات المتشابهة أوسع -لفظاً ومعنى-؛ فقد اهتموا بتجانس الألفاظ، سواء تقاربت المعاني أم ابتعدت أو تضادت، وبشروط وضعوها هم، وعرفت الظاهرة لديهم بالجناس اللفظي، وصار من فنون البديع اللفظية في الدرس البلاغي العربي، وعرفه ابن المعتز بقوله: ((التجنيس وهو أن تجيء الكلمة تُجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها))^(٢). وعرفه السكاكي بأنه: ((تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى))^(٣). وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً، المختلفان معنى يسميان "ركني الجناس"، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما يعرف به المجانسة^(٤).

إن أهمية الجناس تتجلى في بناء شكل النص الأدبي وما يخلفه من تأثيرات وإحياءات دلالية وجمالية في وجدان المتلقي؛ بسبب الموسيقى المتولدة من تكرار ركني الجناس، ومعاودة نغمة الإيقاع، والجرس الصوتي^(٥)؛ فالجناس دعامة قوية تؤكد المعنى الذي تريد أن تثبته، عبر إحداث الأثر في المتلقي، وجعله يتوقف عند هذا الاستعمال، فلا يتخطى هذه العناصر وإهمالها دون النظر في النص، ومعانيه، وظلال المعاني التي اسبغها الجناس^(٦)، وهو يحفز حاسة التوقع عند المتلقي -وهو توقع يقتضي أن ينتج من التماثل السطحي للألفاظ تماثلاً عميقاً في المعاني- ولكن هنا يخالف الناتج هذا التوقع إذ يقود التماثل إلى التخالف وبهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية التي تؤكد شعرية الصياغة^(٧)، فأهمية المعاني هي من تحدد مقبولية التجنيس، وقد بين ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني بقوله: ((إن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١/ ٢٣.

(٢) كتاب البديع، عبدالله بن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، دار المسيرة - بيروت- لبنان، ط ٣: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ٢٥، ومن العلماء من يسميه تجنيساً، ومن يسميه مجانساً ومن يسميه جناساً: ينظر: علم البديع، ١٩٦.

(٣) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢، ١٩٨٧م، ٤٢٩.

(٤) ينظر: علم البديع، ١٩٦.

(٥) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م، ١/ ٨٣.

(٦) ينظر: معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، تر: د. حميد لحداني، دار النجاح البيضاء، ط ١: ١٩٩٣م،

٢١، و: المعنى وظلال المعنى: محمد يونس علي، نشر: جامعة الفاتح، الجماهيرية العظمى، ١٩٩٣م، ٢٢٠.

(٧) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٧م، ٢٧٣، ٣٧٤.

المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده ما كان فيه إلا مستحسن، ولما وجد فيه معيب مستهجن^(١)، ولهذا الفن أنواع عديدة بين حدودها علماء البلاغة؛ منها التام وغير التام، وفصلوا في تفرعاتهما، ونجد في نصوص البحث، من أنواع الجنس غير التام الكثير، إذ يختار الإمام (عليه السلام) لركني الجنس من الألفاظ ما يجعلهما يتواءمان توأمة بالأصوات ذات علاقة بالمعاني، ومن أمثلتها:

١- في معرض التحذير من الشيطان وطرقه قوله (عليه السلام): ((أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْدَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا))^(٢).

اللفظان (نَفَذَ - نَفَثَ) يكونان التفاتة موسيقية بتجانس أصوات حروفهما^(٣)، بما يسمى بالجناس المضارع^(٤)؛ فهما متفقان بحرفيهما؛ (النون، والفاء) ومختلفان بالحرف الثالث (الذال - الثاء)، والاختلاف بين صوتي الحرفين دقيق جداً؛ فهما من مجموعة الحروف اللثوية - بين طرف اللسان والثنايا العليا التي حروفها (الذال والطاء والظاء)، إذ ((لا فرق بين الذال، والطاء إلا في أن الثاء صوت مهموس... فالذال إذن صوت مجهور نظيره المهموس هو الثاء))^(٥)، واللفظان من أمثلة الألفاظ المشتركة في معنى كلي لاشتراك حرفين من أصولها، حسب النظرية الثنائية لأصل الألفاظ^(٦)، فالمعنى الكلي للحرفين (النون، والفاء) وما يتلثهما، نحو (نفث، نفج، نفح، نفخ، نفذ، نفذ، نفر،...)، تتضمن كلها معنى الخروج والانتقال أو الإخراج^(٧)، وذكر د. محمد حسن جبل: إنه ((تعبير النون عن امتداد جوفي لطيف، والفاء عن نفاذ بقوة وطرْد وإبعاد، والفصل منهما يعبر عن خلاء للشيء، ينتشر فيه... وفي (نفث) تعبر الثاء عن انتشار رقاق كثيفة، ويعبر التركيب عن كون المبعد قطعاً كثيرة لها غلظٌ ما كُنْفَاثَةُ السواك،... وفي (نفذ) تعبر

(١) أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، نشر: دار المدني بجدة، ط: ١: ١٩٩١م، ٨.

(٢) نهج البلاغة، ١٤٢.

(٣) الحرف أعم من الصوت، ينظر: مبادئ اللسانيات، ١٤٥.

(٤) وهو ما اتفق فيه ركنا الجنس، أي لفظاه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في نوع حرف واحد، وكان الحرفان متقاربين في المخرج، ينظر: علم البديع، ٢٠٥.

(٥) الأصوات اللغوية، ٥٠.

(٦) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ٨٦.

(٧) ينظر: م، ن، ٨٨.

الذال عن نفاذ بغلظ، ويعبر التركيب عن الاختراق أو الجواز بقوة وغلظ يتمثل في صلابة النافذ (أو قوة الدفع أو سعة الثقب))^(١)، ويُلاحظ أنَّ جَرَسَ النَّاءِ يَحْكِي معنى النَّفْثِ؛ كما قال ابن جني: ((النَّاءُ حرف مهموس وهو أحد حروف النفث))^(٢) وقال أيضاً: ((والتَّاءُ للنَّفْثِ والبِثِّ للتراب...))^(٣) و((النفث هو انتشار الصوت عند النطق بالفاء والتَّاء))^(٤).

وفي النص استعمل الإمام (عليه السلام) صوت (الذال) المجهور -وهو صفة قوة-، مع صدر الإنسان، وصوت (التَّاء) المهموس -وهو صفة ضَعْف-، مع أذن الإنسان، فتلاءم فرق الصفتين للصوتين مع الفرق المعروف بين غشاوة الصدر الغليظة، وغشاوة الأذن الرقيقة والهمس الخفيف، هذا من الناحية المادية، وأمَّا من الناحية المعنوية؛ فيبدو أنَّ هناك مجانسة أيضاً، فكثيراً ما يُقال أنَّ الإنسان يَعْقِدُ على ما يَسْمَعُهُ من كلام بسهولة -وهو بوساطة الأذن-، وأمَّا الْعَقْدُ القلبي فيكون فيه صعوبة وتَقَلُّبٌ، والقلب يُرْمَزُ إلى مكانه في الصدر، إنَّ مثل هذه الإشارات الدقيقة تبين مدى اهتمام الإمام (عليه السلام) بالتحذير من الشيطان ومكائده، وتلمح إلى خطورة هذه الأمور.

وأشبه بهذا المثال التقارب بين صوتي الذال والتَّاء في لفظتي (العذاب، العتاب) المتجانستين في وصف أحوال أهل الجنة في قوله (عليه السلام): ((قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ))^(٥)، إلا أنَّ التَّاء فيه صفة الشدة بينما التَّاء فيه الرخاوة كالذال، ودلالة شدة التَّاء تناسب الشدة الحاصلة في معنى العتاب.

وأما الفعلان المتعديان بالهمزة؛ (أَعْدَرَ، أُنْذَرَ) يشكّلان الجنس اللاحق^(٦)، لاختلافهما بحرف واحد فقط، وهو الحرف الأول -بعد همزة التعدية- من كل منهما؛ (العين، والنون)، وهذان الحرفان رغم اختلافهما بالمرحج إلا أنَّهما متفقان بصفتين كونهما مجهورين ومتوسطين بين الشدة والرخاوة، واللفظان من الألفاظ المتلازمة الذكر مع بعضهما إلى حد كبير؛ فيجريان مجرى

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٤ / ٢٢٣١، وينظر: كتاب العين، ٨، ١٨٩.

(٢) سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١، ٢٠٠٠ م، ١٧١.

(٣) الخصائص، ٢ / ١٦٤.

(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ١٧٣.

(٥) نهج البلاغة، ٣٧٦.

(٦) وهو ما كان الحرفان المختلفان فيه متباعدين في المخرج، وحرف العين من مخرج الحلق، بينما النون من مخرج الذلق والخيشوم، ينظر: علم البديع، ٢٠٥.

الأمثال، فد)) قولهم: أَعْذَرَ مَنْ أُنْذَرَ، أي: هو من أصحاب العُذْرِ أي تَحَمَّلَ ما لا يُلام معه إذا عاقب، أو صار له حَاجز عن اللوم لذلك))^(١)، و((الإنذار بمعنى التحذير من مكروه سيقع))^(٢)، وهكذا مُدَاقَّة في الاستعمال تُظهِر مقاصد المنشئ من حرص على التحذير والنصح لعظيم خطر إبليس وجنوده، ودِقَّة حُرُصهم على الإيقاع ببني آدم في أشراكهم الخفية والظاهرة.

٢- وفي خبر تفاخر إبليس بأصله وطعنه بأصل آدم (ﷺ)، قوله عليه السلام: ((فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جِدَّكُمْ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَّرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ))^(٣).

النص يتضمن نصح الإنسان وإرشاده إلى اتخاذ الوسائل المناسبة للوقوف بوجه إبليس، ويطلب من المتلقي الموقف الجادَّ والحازم باتخاذهِ عدوًّا، ويذكر بتفضيل إبليس مادته "النار" على مادة آدم (ﷺ) "الطين"، فجاء النصُّ مدعوماً بتوافقات صوتية، ففي النص حالتان من الجناس غير التام؛ فالتجانس بين اللفظين (حَدَّكُمْ، جِدَّكُمْ) يسمى بالجناس المصحف^(٤) لفرق النقطة بين الحاء والجيم- وهذا التصنيف البلاغي صوري فقط لا صوتي-، وأما الفرق الصوتي بينهما في المخرج والصفات؛ فالحاء حلقي المخرج، مهموس رخو، والجيم شجري من وسط اللسان، مجهور شديد^(٥)، ولكن بتطابق بقية الأصوات وهيئاتها، أعانت الدلالة على التقارب بين المعنيين: فَ"حَدَّكُمْ" الحدُّ: بأس الرجل ونفاذه في نجدته، وجِدَّكُمْ بالكسر: الاجتهاد: نقيض الهزل^(٦).

وأما التجانس بين اللفظين (حَسَبِكُمْ، نَسَبِكُمْ) من الجناس اللاحق، لابتعاد مخرجي الحرفين الأولين، المختلفين، (الحاء والنون) فالحاء حلقي، والنون ذلقي^(٧)، ويختلفان كذلك في بعض الصفات المهمة فالحاء مهموس رخو، بينما النون مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، والعلاقة

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٣/ ١٤٣٢، وينظر: غريب الحديث للخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، تح: إبراهيم كريم الغرابوي، دار الفكر-دمشق، د.ط: ١٤٠٢هـ، ٢ / ٣٥٩.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٤ / ٢١٧٣.

(٣) نهج البلاغة، ٣٨٥.

(٤) ((وهو ما اتفق فيه ركن الجناس، أي في عدد الحروف وترتيبها واختلافا في النقط فقط))، علم البديع، ٢١٠.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية، ٢٢، و ٢٥.

(٦) ينظر: كتاب العين، مادة: (حد): ٢٠/٣، ومادة (جد)، ٧/٦، والمعجم الاشتقاقي المؤصل، ١/ ٢٨٥.

(٧) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ٤٦، ٤٧.

المعنوية الرابطة بين اللفظين أضافت تماسكا وتلاحما بينهما؛ فكلا اللفظين يشيران إلى الأصل والانتماء^(١)، ما جعل التجانس محكما يستوقف السامع ليتأمل في الروابط بينهما، فاهتمام المنشئ بالموضوع ظهر عبر اهتمامه بالشكل اللفظي، الذي يُعدّ داعماً إيحائياً واضحاً وصريحاً.

٣- ومن ذكر مصائد إبليس، قوله عليه السلام: ((فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَةُ الْكُبْرَى))^(٢).

اللفظان (عَاجِلِ، وَآجِلِ) يُكوّنان جناساً مضارعاً، فالحرفان المختلفان بينهما -العين والهمزة- متقاربان في المخرج إلى حد كبير^(٣)؛ إذ يُبدّل بينهما فيلفظ العين همزة، عند أصحاب بعض اللغات كالإنكليزية، والتركية، والفارسية مثلاً، أو عند الأطفال إلى مرحلة عمرية معينة، أو عند أصحاب بعض العاهات النطقية في الحلق، وقد فصل ابن جني تفصيلاً في القول بإبدال أحدهما بالآخر، وقال: بأنَّ ((العين أخت الهمزة))^(٤)، وهما من الأصوات القوية؛ فكلاهما مجهور، وذو وضوح سمعي عالٍ، وليس من الأصوات الرخوة، فقرب المخرجين وتشابه بعض الصفات بينهما؛ جعل اللفظين في النطق كاللفظ الواحد، وهذا ما يجعل السامع يتوقف عند هذا الاستعمال، ((فلا يتخطى هذه العناصر وإهمالها دون النظر في النص، ومعانيه، وظلال المعاني التي اسبغها الجناس))^(٥) وهو ما يحفز حاسة التوقع عند المتلقي وهو توقع يقتضي أن ينتج من التماثل السطحي للألفاظ تماثلاً عميقاً في المعاني - ولكن هنا يخالف الناتج هذا التوقع إذ يقود التماثل إلى التخالف وبهذا تتكاثر المنبهات التعبيرية التي تؤكد شعرية الصياغة^(٦)، فاللفظان من الألفاظ المتضادة، ((العاجل ضد الآجل))^(٧)، والمتلازمة الذكر مع بعضهما كثيراً؛ إذ نقول: "عاجله كذا وآجله كذا"، ويجريان مجرى الأمثال، فنقول في الشيء المتوقع حدوثه في المستقبل ولكن توقيته مجهول: "سيكون هذا الأمر عاجلاً أم آجلاً".

(١) ينظر: كتاب العين، مادة (حسب): ٣ / ١٤٨، ومعجم مقاييس اللغة، مادة: (أصل)، ١ / ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة، ٣٩٣.

(٣) فهما حرفان حلقيان إلا أن العين من وسطه والهمزة من أقصاه، ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ٤٦.

(٤) الخصائص، ٢ / ١٤٨، و: ينظر: سر صناعة الإعراب، ٢٣٥-٢٤١.

(٥) المعنى وظلال المعنى، ٢٢٠.

(٦) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى، ٢٧٣، ٢٧٤.

(٧) المعجم الاشتقاقي المؤصل، ٣ / ١٤١٢.

٤- ومثل هذا الجناس يلحظ تكراره في كلامه (عليه السلام)، كما في المجانسة بين اللفظين (الأهوال - الأحوال)، فبعد تلاوته (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرَ ۖ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ﴾ [سورة التكاثر: ١-٢]، ذَكَرَ أحوال الموتى مستنكرا الافتخار بهم، الذين أصبحوا في القبور جمادا لا يشعرون، إلى أن قال (عليه السلام): ((لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ)).^(١)

فاللفظان (الأهوال - الأحوال) أيضا يُكوّنان جناسا مضارعا، فالصوتان المختلفان بينهما -الهاء والحاء- متقاربان في المخرج^(٢)، ويزاد على المثال السابق؛ أنهما متحدان في الصفات فيجمعهما صفات الهمس، والرخاوة -ومتتاليان في الترتيب بالرخاوة-^(٣) والترقيق والاستقالة، والصوتان من أمثلة ما يُبدّل بينهما عند أهل بعض اللغات والأطفال، فيقال: (الهمد لله) بدل (الحمد لله)، وقد نقل ابن جني عن أبي علي الفارسي أن علة الإبدال هي قرب المخرج^(٤)، وهي العلة التي بسببها صنفهما الفراهيدي مما لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية^(٥).

٥- وصف خلق السماوات من زبد الماء بعد تصفيقه بالريح العقيم، قوله (عليه السلام): ((ثُمَّ أَنشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَهَا... فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيكِ الْمَاءِ الزُّخَارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ، ... حَتَّىٰ عَبَّ غُبَابُهُ، وَرَمَىٰ بِالزَّبَدِ رُكَامَهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ، فَسَوَّىٰ مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ))^(٦).

فاللفظان؛ (مُنْفَتِقٍ، مُنْفَهَقٍ) يكونان جناسا لاحقا لاختلاف حرف واحد بينهما -التاء والهاء-، وهما بعيدتان في المخرج؛ فالهاء حلقي مهموس رخو، والتاء لثوي مهموس شديد، ورغم اختلاف المخرج وبعض الصفات إلا أن موقعية الاختلاف -وسط الكلمتين- أَخَفَّتْ بعض معالم الاختلاف على السامع؛ لأن البروز السمعي والوضوح يَكُون للصوت الأول ثم للصوت الأخير،

(١) نهج البلاغة، ٤٥٢ و ٤٥٣.

(٢) فكلاهما من حروف الحلق فالهاء من أقصاه والحاء من وسطه، ينظر: الأصوات اللغوية، ٧٦.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، ٢٦.

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب، ١٨٠.

(٥) ينظر: كتاب العين، ٣، ٥.

(٦) نهج البلاغة، ٤٧.

فينمحي ملامح الصوت وسط الكلمة إلى حد ما^(١)، وتَقَارُبُ المعنيين تتناسب مع تَقَارُبِ اللفظين كثيراً؛ فالْفَتْحُ: انفصال رَثَقٍ كل شيء متصل، والْفَهْقُ: اتساع كل شيء^(٢).

وأشبه بهذا المثال الاختلاف بين صوتي الجيم والواو في وسط لفظتي (أَعْجَزُ، أَعْوَزُ) المتجانستين، وذلك في وصف يوم الحساب في قوله (ﷺ): ((اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخُرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِيهِ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَعَازِيهِ أَعْوَزُ))^(٣) مع تقارب المعنيين؛ فالعَجَزُ والعَوَزُ معروفتان أنهما من صفات النقص والضعف.

فمن خلال هذه الأمثلة يلاحظ الرعاية في اختيار الألفاظ المتجانسة ذات العلاقات بين المعاني، كما في تجنيس: (نَفَذَ - نَفَثَ)، (حَدَّكَمَ - حَدَّكُمْ)، (حَسَبَكُمْ - نَسَبَكُمْ)، مع وصف الشيطان؛ فالفرق بين إحياء الصوتين المختلفين في (نَفَذَ في الصدور - نَفَثَ في الأذان)، قوة وضعفاً، ناسبَ فرق المعنيين، وتجنيس (مُنْفَتِقٍ، مُنْفَهِقٍ) مع خلق السماء، و(العَذَابُ - العِتَابُ) مع الجنة، وتجنيس الألفاظ المتقاربة المخرج، مثل: (الأهوال - الأحوال)، (أَعْجَزُ، أَعْوَزُ) مع وصف البرزخ و(عَاجِلٍ، وَآجِلٍ) مع وصف الشيطان.

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ١٠٨.

(٢) ينظر: كتاب العين، مادة (فتق): ٥ / ١٣٠، ومادة (فهق): ٣ / ٣٧٠.

(٣) نهج البلاغة، ٢٣٤.

ثانياً: تجنيس الوزن الصرفي أو المقطعي للكلمات:

ينظر الصرفيون إلى وزن الكلمة باعتبارين الأول: باعتبار أصواتها؛ وهو المقابلة بين أصول أصوات الموزون وأصوات الميزان الصرفي؛ (الفاء والعين واللام)، والزوائد بالزوائد، والثاني: باعتبار إيقاعها؛ ويقوم الوزن الإيقاعي على النظام المقطعي للأصوات أي على ((نوع المقطع، وتوزيعه في داخل الصيغة الموزونة، ولذلك لا ينظر فيه إلى المحاذاة اللازمة في الوزن الصوتي، بل إلى محاذاة أخرى، هي مقابلة المقطع القصير بقصير مثله، والطويل المقفل بمثيله، والمفتوح بنظيره في الميزان، دون النظر إلى عناصر المقطع الواحد، من الأصول أو من الزوائد، ومن الطبيعي أن تشترك عدة أوزان صوتية في إيقاع واحد، يضمها في مجموعة واحدة))^(١)، فمثلاً لفظتي: (كَوَاكِب، و ثَوَاقِب)، تختلفان في الوزن الصوتي (الميزان الصرفي): (فَعَالِل، فَوَاعِل) ولكن تتفقان في الوزن المقطعي: /ص ح/ص ح ح/ص ح ص/، كما أن من العلماء من رأى تكلفاً في تطبيق الميزان الصرفي على الكلمات ودعا إلى اتباع الوزن المقطعي.^(٢)

وأهمية هذا الاختيار -فضلاً عن التجانس الصوتي وتقارب المعاني- يكمن في الاشتراك في دلالة الصيغة وتفضيلها على غيرها، ويعد تفضيل صيغة على أخرى مؤشراً اسلوبياً^(٣). ويلاحظ في نصوص البحث استعمال خاصية تألف الأوزان الصرفية والمقطعية في خدمة بناء التوازن الصوتي للكلمات غير المتماثلة في أصوات حروفها ولا في فواصلها^(٤)، ودَعَمَ الإيقاع الموسيقي لها، لتقاربها في المعاني، كما تُبَيِّنُهُ الأمثلة الآتية:

١- في وصف طرق الشيطان، قوله (الطَّيْلَانُ): ((وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِهِ، وَالْإِعْصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ... وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ))^(٥).

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ٤٩، ٥٠.

(٢) ينظر: الصرف وعلم الأصوات، دريزة سقال، دار الصداقة العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م، ٢٧.

(٣) ينظر: البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، ترجمة، مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، بغداد-العراق، ط ١: ١٩٨٦م. ٧٣-٧٤.

(٤) وهذا غير "سجع الموازنة"؛ لأن ذلك يشترط في كونه يقع في نهايات الفواصل فضلاً عن اشتراكه في الوزن، بينما هذا لا يشترط وقوعه في الفواصل، وكذلك هو غير "الجناس" لأن ذلك فيه شرط الاشتراك في نوع الحروف.

(٥) نهج البلاغة، ٢٧٨.

وقد جاء هذا الكلام في معرض الاستعانة بالله على الشيطان، وجاءت الكلمات الدالة على سُبُل الشَّيْطَانِ على وزنٍ مقطعيٍّ واحدٍ؛ وهو: /ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ (فَعَالِل)، رغم اختلاف إحدى الكلمات في الوزن الصرفي: (حَبَائِل = فَعَائِل) - والحبائل جمع حَبَالَة وهي شبكة الصياد-، وكما موضح في الجدول الآتي:

الكلمة	الوزن الصرفي	وزن المفرد	الوزن المقطعي	دلالة الصيغة
مَدَاحِر	مَفَاعِل	مَفْعَل	/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ فَعَالِل	مَفَاعِل: منتهى الجموع وتدل على الكثرة المبالغة فيها
مَزَاجِر	مَفَاعِل	مَفْعَل		
مَخَائِل	مَفَاعِل	مَفْعَل		
مَدَارِج	مَفَاعِل	مَفْعَل		
حَبَائِل	فَعَائِل	فَعَالَة		

وقد ذكر د. عباس الفحام أن صيغة (مَفْعَل ومَفْعَلَة) من الأبنية النادرة، وعدَّ استعمالها بصيغة الجمع من مميزات أسلوب الإمام (عليه السلام) توخياً للتوازن الإيقاعي إلى جانب دلالتها على الكثرة والمبالغة، وأنه ((أسلوب شمل الفن الخطابي بشكل خاص كونه يعتمد على السماع والتأثير))^(١)، وهي بمعاني: ((مداحر: جمع مذحر وهو الأمر الذي يسبب طرد الشيء وإبعاده من مادة "دحور" بمعنى الطرد والابتعاد. مزاجر: جمع مزجر بمعنى المانع من الشيء من مادة زجر بمعنى المنع، مخاتل: جمع مختل المكيدة وهي الوسيلة التي يتم بها الخداع من مادة ختل))^(٢).

٢- وفي بيان دور الشيطان في إذكاء الحمية الجاهلية قوله (عليه السلام): ((فَاطْفَنُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ الْحِمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ))^(٣).

لقد جاءت الكلمات الدالة على دور الشَّيْطَانِ في إذكاء الحمية الجاهلية، على وزن مقطعي واحد؛ وهو: /ص ح/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ وهو مطابق للوزن الصرفي لجميعها، وكما موضح في الجدول الآتي:

(١) بلاغة النهج في نهج البلاغة، د. عباس علي الفحام، دار الرضوان - عمّان - الأردن، ط ١: ٢٠١٤م، ٢٤٩.

(٢) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة، ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة، بيروت، ط ١: ٢٠١١م، ٧/٦.

(٣) نهج البلاغة، ٣٨٥-٣٨٦.

الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن المقطعي	دلالة الصيغة
خَطَرَات	فَعَلَات	ص/ح/ص/ح/ص ح ح ص / =فَعَلَات	الجمع
نَحَوَات	فَعَلَات		
نَزَعَات	فَعَلَات		
نَفَثَات	فَعَلَات		

٣- وفي بيان خطوات الشيطان في إذكاء الفتنة بين الناس، قوله (الطَّاعِنِينَ): ((حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَانْجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَفْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الدَّلِّ، وَأَحْلُوكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَنُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَغَنَّا فِي غِيُونِكُمْ، وَحَزَّاءَ فِي حُلُوفِكُمْ، وَدَقَّاءَ لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصَدَّاءَ لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوَّقًا بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ)).^(١)

لقد جاءت الكلمات الدالة على خطوات الشيطان في إذكاء الفتنة بين الناس، على وزن مقطعي واحد؛ وهو: ص/ح/ص/ح/ص ح ح ص/، وهو مطابق للوزن الصرفي لجميعها، وكما موضح في الجدول الآتي:

الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن المقطعي	دلالة الصيغة
طَغَنَّا	فَعَلَاءَ	ص/ح/ص/ح/ص ح ح ص / =فَعَلْنُ	صيغة المفعول المطلق لتوكيد مضمون الجملة ^(٢) -محذوف العامل-
حَزَّاءَ	فَعَلَاءَ		
دَقَّاءَ	فَعَلَاءَ		
قَصَدَّاءَ	فَعَلَاءَ		
سَوَّقًا	فَعَلَاءَ		

وكذلك الكلمتين (وَلَجَاتٍ، وَرَطَّاتٍ) رغم اختلاف وزن المفرد منهما ((وَلَجَاتٍ: بمعنى الملاجئ والكهوف جمع "وَلَجَةٍ" على وزن "دَرْجَةٍ" ما يلجأ إليه المارة عند المشاكل. وَرَطَّاتٍ: بمعنى المشاكل والمهالك جمع "وَرَطَةٍ" على وزن "غَفْلَةٍ")^(٣)، وكما موضح في الجدول الآتي:

(١) نهج البلاغة، ٣٨٥.

(٢) ينظر: معاني النحو، ١٥٢-١٥٣.

(٣) نفحات الولاية شرح نهج البلاغة، ٢٨١/٧، وينظر: تهذيب اللغة، ١١/١٣١.

الكلمة	الوزن الصرفي	الوزن المقطعي	دلالة الصيغة	المفرد	وزن المفرد
وَلَجَاتٍ	فَعَلَاتٍ	ص/ح/ص/ح/ص/ح/ص/	صيغة الجمع	وَلَجَةٌ	فَعَلَةٌ
وَرَطَاتٍ	فَعَلَاتٍ	= فَعَلَات	للكثرة	وَرَطَةٌ	فَعَلَةٌ

أي أن اختيار صيغة الجمع أدى إلى التوازن الصوتي، وهنا يتبين دور أسلوبية الاختيار الاستبدالي للمنشئ في تفعيل طاقات اللغة، ويتبين أيضا هنا تداخل المستويات اللغوية مع بعضها لإتمام المعنى التعبيري؛ فصيغة الجمع تصنف ضمن المستوى الصرفي، لكنها أدت دور الوزن الإيقاعي الذي يصنف ضمن المستوى الصوتي.

تبيّن في هذا النوع من التوازنات الصوتية المقطعية، أنّ هذه الظاهرة جاءت في وصف عالم الجنّ حصراً، دون بقية العوالم، إذ وصفت أفعال الشياطين بأنماط وأوزان دالة على الجمع، والمبالغة في الجمع، وحدّرت من خواتهم التي تستدرج ببني آدم (الجنّة)، وتغرّفهم في المهالك.

المبحث الثالث: التعبيرات الصوتية ضمن مستوى الجمل:

الكلام المفيد يبدأ من مستوى الجمل، وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله ((والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب))^(١)، فضلاً عن إفادة المعنى فإن تجمع الكلمات في جمل، تكسبها جرساً موسيقياً آخر، زيادةً على ما كان لها من موسيقى فردية، ضمن تنويعات لفظية متعددة ذات قيمة شكلية في الأداء^(٢)، و((ذلك مثل تشابه بعض الكلمات في الوزن وفي المكان من الجملة، أو تجانس فقرتين أو جملتين في عدد الكلمات، وفي وزن كل منهما، أو في التجانس في الكلمتين الأخيرتين في جملتين، أو في التشابه الذي يبرز في فترات متكافئة، أو في التدرج المتعادل))^(٣)، وأكثر هذه الأشكال يمكن أن نجعلها تحت مسمى فني وهو الإيقاع الكلامي.

الإيقاع في اللغة: الوُقع : وقعة الضرب بالشيء ووقع المطر، ووقع حوافر الدابة، يعني ما يسمع من وقعه^(٤)، وأما في الاصطلاح: ((بمعنى الجريان والتدفق والمقصود به عامة التواتر المتتابع بين حالتين الصوت والصمت أو النور والظلام أو الحركة والسكون أو القوة والضعف))^(٥)، إنَّ الإيقاع الموسيقي أفادَ من معنى الجريان والتدفق، أي التسلسل المنتظم الخاضع لِمُدَدٍ متساوية يقع بين حالتين متناوبتين كتناوب الليل والنهار، فحركية الإيقاع قائمة على التردّد، أو التكرار، أما الإيقاع في الكلام ف((هو الوحدة النغمية التي تتكرر على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو أبيات القصيدة))^(٦) فهو يعتمد تكرار الوزن الذي يُعدُّ أهم العناصر المُشكِّلة للإيقاع، فالوزن صنو الإيقاع ولا يمكن تجريدُه منه لأن أحدهما يُكَمِّلُ الآخر كما أنَّ الوزن ((وظيفة للإيقاع وصورته وجزء منه))^(٧) ولتردّد هذه الصيغ تأثير على المتلقي،

(١) أسرار البلاغة في علم البيان، ٤.

(٢) ينظر: البلاغة والأسلوبية، ٢٩٠.

(٣) الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو - القاهرة، د. ط: ١٩٤٩م، ٣٧.

(٤) ينظر: كتاب العين، مادة (وقع) : ١٧٦/٢.

(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ٧١.

(٦) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة نهضة مصر، القاهرة (د،ت)، ٤٣٥، ٤٣٦.

(٧) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدالية والبنية الإيقاعية، أ.د. محمد صابر عبيد، من منشورات اتحاد

الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠١م، ٢٥.

بسبب الانتظار والتوقع، ((فآثار الإيقاع والوزن تتبع من توقعنا سواء كان ما نتوقع حدوثه يحدث أو لا يحدث))^(١).

والبلاغيون العرب اهتموا بتصنيف هذه الأوزان على نظام تقابل الفقرات، أو تواطؤ فواصلها، وأبرزها السجع: ((وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو معنى قول السكاكي: هو في النثر كالفافية في الشعر))^(٢)، وجعلوا للسجع أنواعا؛ فالمطرف: وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا، واتفقت روياء، والسجع المتوازي: وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي، والمُرصع ويُعدُّ أفضلها: وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها، وأدنى منه بقليل ما تساوت وتقابلت عدد كلماته وإن اختلف الروي في غير الفاصلة وهو مستحسن كذلك؛ ((وعلمته أن السمع أليف الانتهاء إلى غاية في السجعة الأولى، فإذا زيد عليها ثقل عليه الزائد، لأنه يكون عند وصولها إلى مقدار الأولى كمن توقع الظفر بمقصوده من فهم المراد له ولم يجده أمامه))^(٣)، وثم في مرتبة أقل، الموازنة؛ ((وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية... فإن كان ما في إحدى القرينتين أو أكثره مثل ما يقابله من القرينة الأخرى في الوزن، خصّ باسم المماثلة))^(٤) ويُسمى أيضا أسلوب الازدواج^(٥)، ومن الإيقاعات اللفظية؛ "الإلزام" أو "لزوم ما لا يلزم"؛ ((وهو أن يجئ قبل حرف الروى -أو ما في معناه من الفاصلة- ما ليس بلزوم في السجع))^(٦) ولمعرفة مواقع الوقفات والسكنات في الفقر أهمية خاصة لمعرفة مواقع الفواصل؛ لأن الأسجاع مبنية على سكون الأعجاز^(٧)، وما يتبع ذلك من إحياءات تدعم الدلالة المعنوية.

(١) مبادئ النقد الأدبي، أريشاردز، ترجمة: د. مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر - القاهرة، ١٩٦٣م، ١٨٨.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، بهاء الدين السبكي، (ت: ٧٧٣هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١: ٢٠٠٣م، ٢ / ٢٩٩.

(٣) م، ن، ٢٠ / ٣٠٠.

(٤) م، ن، ٢ / ٣٠٣، ٣٠٤.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ١: ١٩٩٥م، ٤ / ٥٩٥.

(٦) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢ / ٣٠٧.

(٧) ينظر: علم البديع، ٢٢٣.

تُعَدُّ نصوص نهج البلاغة عامّة من النصوص التي ((تحتشد بإيقاعات هائلة تتناول كل مفردة ومركبة حتى لا تكاد تجد من بين آلاف المفردات والتراكيب مفردة أو تركيباً خالياً من إيقاع ملحوظ))^(١)، وقد برز في نصوص البحث تشكيلات كبيرة من هذه الأنماط، يمكن ملاحظتها، ووصف الأساليب اللغوية التي تشكّلت منها، وإبراز أهم سماتها، وذلك من خلال المحاولات التحليلية في النصوص الآتية.

أولاً: - في عالم الجن:

١ - في التحذير من عمل الشيطان، ووصف مكره الإنسان، قوله (عليه السلام): ((أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْدَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنِّي، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعِظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَعْلَقَ رَهِيْنَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَغْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ))^(٢).

يُلاحظ في هذا النص أن كل إيقاع من إيقاعاته مكون من فاصلتين متعادلتيْن^(٣)، في عدد الكلمات ونوعها من حيث الموقع في تركيب الجملة؛ فالفعل الماضي يقابله الفعل الماضي وحرف الجر يقابله حرف الجر والاسم المجرور يقابله مثله، وهكذا بقية التراكيب في جميع الفقر، فضلاً عن تقارب أوزان معظم الكلمات المتقابلة، وتواطئ فواصل كل إيقاع على روي واحد - عدا الأول - وكما موضح في الجدول الآتي:

-	أَعْدَرَ	بِمَا	أَنْذَرَ	و	اِحْتَجَّ	بِمَا	نَهَجَ	-
نَفَذَ	فِي	الصُّدُورِ	خَفِيًّا	و	نَفَثَ	فِي	الْأَذَانِ	نَجِيًّا
-	-	أَضَلَّ	وَأَرْدَى	و	وَعَدَ	فَمَنِّي	-	-
-	زَيَّنَ	سَيِّئَاتِ	الْجَرَائِمِ	و	هَوَّنَ	مُوبِقَاتِ	الْعِظَائِمِ	-
-	-	اسْتَدْرَجَ	قَرِينَتَهُ	و	اسْتَعْلَقَ	رَهِيْنَتَهُ	-	-
أَنْكَرَ	مَا	زَيَّنَ	و	اسْتَغْظَمَ	مَا	هَوَّنَ	و	حَذَّرَ
						مَا	أَمَّنَ	

(١) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت - لبنان، (د.ط): ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٢١١. وينظر: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، علاء حسن الأسدي، مؤسسة المحبين - مطبعة الرسول، قم - إيران، ط ١، ٢٠٠٦م، ٤١.

(٢) نهج البلاغة، ١٤٢.

(٣) - عدا الأخير فتلائي الفواصل - ومتعادلة أيضاً.

وهذا الشكل من الإيقاع المتكافئ يمثل أعلى أنواع الإيقاع عند البلاغيين، ((فأحسن السجع وأشرفه منزلة للاعتدال الذي فيه؛ هو ما تساوت فقراته في عدد الكلمات))^(١)، وتوازن هذه الجمل وتواترها في مُدَدٍ متعادلة، يشبه إلى حد بعيد التوازن المتناظر بين الصدر والعجز في أبيات القصيدة، وهي تخلق لدى المتلقي حالة من الإحساس بالتوازن نحو ما يسمع، مما يسهل عملية الاتصال ونقل الأفكار بينه وبين المنشئ، فالاعتدال والتوازن من كل شيء مقبول ومرغوب^(٢).

وبالنظر الدقيق إلى كيفية صناعة هذه الإيقاعات يتبين أن لاختيار أسلوب العطف دوراً مميزاً في عملية توازنها؛ فالفقرة القرينة بموقع المعطوف على الفقرة الأولى في جميع هذه الإيقاعات، وحيث يستساغ عطف الفعل على مثله، أو الاسم على مثله؛ فيُشعر المتلقي بالتوازن بين كفتي الإيقاع الواحد لفظاً ومعنى، فيسهل فهمه للمعاني؛ لقوة الرابط بينهما، ولكون العطف بحرف الواو وهو يفيد مطلق الجمع، - فلا يوجد رابط ترتيبي أو تعلق سببي بين المتعاطفين؛ أي يمكن حذف المعطوف من كل الإيقاعات المثبتة في الجدول السابق دون خلل بالمعنى التركيبي للجمل-، فيدل أن اختيار أسلوب العطف بالواو أفاد مراعاة الإيقاع المؤثر في المتلقي وذلك لأهمية موضوع التحذير من حَبائل الشيطان وطرق إغوائه بالإنسان، فضلاً عن المعاني التي تحملها مفردات هذه الجمل، ومن جهة ثانية: إن حكم المعطوف عليه يسري على المعطوف، فيُشعر المتلقي بتكرار الحكم معنى وإن لم يُذكر لفظاً؛ فلا يضطرب الإيقاع لديه لذكر ألفاظ الحكم في الفقرة الأولى دون الفقرة القرينة من الفاصلة؛ فمثلاً حكم أداة الشرط في الجملة: (حَتَّى إِذَا اسْتَرَجَّ قَرِينَتُهُ، وَاسْتَعْلَقَ رَهِينَتُهُ) وإن كان يلحظ منه طول طرف وقصر الطرف الآخر لكن التأثير المعنوي للحكم سارٍ على الطرفين المتعاطفين بالتساوي، بسبب ما يثيره التعبير بحرف الواو العاطفة من الشعور بالاشتراك؛ ف-((حق ارتباط جملتين أن يكونا كالشريكين أو النظيرين))^(٣).

ومثل هذا الأسلوب وما فيها من الدقة الصوتية كمّاً ونوعاً يُلاحظ مطرداً في تشكيل الإيقاعات في النصوص المتعلقة بالشيطان وأحواله، كما يتبين في الأمثلة التالية.

(١) علم البديع، ٢٢٠.

(٢) ينظر: م، ن، ٢١٥.

(٣) جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، محمد عبدالمطلب، لونجمان، القاهرة، ط١: ١٩٩٥م، ١٧٧.

٢- في التحذير من الوقوع في شَرِك الشيطان في قوله (فَاللَّهُ الْغَنِيُّ): ((فَاللَّهُ الْغَنِيُّ)) كِبَرِ الحَمِيَّةِ، وفَخْرِ الجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَفَحُ الشَّنَنَانِ، وَمَنَافِحُ الشَّيْطَانِ، اللَّاتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَّةَ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَّةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُوساً فِي قِيَادِهِ، أَمراً تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبَرًا تَضَايَقَتْ (الْصُّدُورُ بِهِ) (١).

فقد جاء كذلك بناء الإيقاعات من خلال الفقر المتعادلة مع قرائنها؛ في عدد الكلمات، ونوعها من حيث الموقع في تركيب الجملة، وتقارب أوزانها، فضلا عن تجانس أصوات بعض المفردات المتقابلة؛ (تَشَابَهَتْ، وَتَتَابَعَتْ)، (الْقُلُوبُ، الْقُرُونُ)، (الشَّنَنَانِ، الشَّيْطَانِ)، وكذلك أَسْهَمَ أداة العطف الواو في بناء الإيقاعات وتوازنها، وكما موضح في الجدول الآتي:

	كِبَرِ	الْحَمِيَّةِ	و	فَخْرِ	الْجَاهِلِيَّةِ	
	مَلَفَحُ	الشَّنَنَانِ	و	مَنَافِحُ	الشَّيْطَانِ	
	الْأُمَّمَ	الْمَاضِيَّةِ	و	الْقُرُونِ	الْخَالِيَّةِ	
	حَنَادِسِ	جَهَالَتِهِ	و	مَهَاوِي	ضَلَالَتِهِ	
ذُلًّا	عَنْ	سِيَاقِهِ	-	سُلُوساً	فِي	قِيَادِهِ
تَشَابَهَتْ	الْقُلُوبُ	فِيهِ	و	تَتَابَعَتْ	الْقُرُونُ	عَلَيْهِ
و	تَضَايَقَتْ	الْصُّدُورُ	بِهِ			

٣- في وصف سلوك الشيطان ضد أعوانه وقرنائه، قوله (فَاللَّهُ الْغَنِيُّ): ((اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لَأَمْرِهِمْ مِلَاكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِالسِّنْتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلْزَلُ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!)) (٢)

يتضح كذلك التوازن بين كفتي الإيقاعات في عدد الكلمات ونوعها من حيث الموقع في تركيب الجملة وتقارب أوزانها، وأثر واو العطف في بناء الفقرة القرينة واعتدالها، كما موضح في الجدول الآتي:

(١) نهج البلاغة، ٣٨٦-٣٨٧.

(٢) م، ن، ٦٣.

اتَّخَذُوا	الشَّيْطَانَ	لَأَمْرِهِمْ	مَلَائِكًا	و	اتَّخَذَ	هُمْ	لَهُ	أَشْرَاكَ
فَبَاضَ	وَفَرَّخَ	فِي	صُدُورِهِمْ	و	دَبَّ	وَدَرَجَ	فِي	حُجُورِهِمْ
	فَنَظَرَ	بِأَعْيُنِهِمْ		و	نَطَقَ	بِالسِّنِّتِهِمْ		
	فَرَكِبَ	بِهِمْ	الزَّلَّلَ	و	زَيَّنَ	لَهُمْ	الْخَطَلَ	
شَرِكَهُ	الشَّيْطَانُ	فِي	سُلْطَانِهِ	و	نَطَقَ	بِالْبَاطِلِ	عَلَى	لِسَانِهِ

وهناك أمثلة أخرى غير قليلة تُبيِّن استخدام هذا النوع من الإيقاع الدقيق في وصف أحوال الشيطان ومكره بالإنسان^(١)، ما يدلُّ على دقَّة تعامل الشيطان مع الإنسان في اختياره للحيل المناسبة لإيقاع به، وما يستلزم من الإنسان من دقة الحذر منه، ومن خطواته، وهذا الأسلوب يكشف مقصد الإمام (عليه السلام) من اهتمامه بالتحذير لخطورة أمر الشيطان وكيد بني آدم.

ثانياً: - في وصف الجنة قوله (عليه السلام):

١ - ((دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلٌ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ^(٢) سَاكِنُهَا))^(٣).

٢ - ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا)) [الزمر ٧٣]، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُخِرْ حَوْصُ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ^(٤).

يلاحظ في النص الأول تشكُّل إيقاعات الأسجاع عبر إلحاق أداة جمع المؤنث السالم إلى الصفتين (مُتَفَاضِل، مُتَفَاوِت)، في الفاصلتين الأولى والثانية، وإلحاق ضمير الغائبة إلى الفاعل؛ (نَعِيم، مُقِيم، خَالِد، سَاكِن) في بقية الفواصل، مع ملاحظة عدم اتفاق روي أربعة من الفواصل قبل الإلحاق وهي: (مُتَفَاضِل، مُتَفَاوِت، خَالِد، سَاكِن)، ويلاحظ كذلك تساوي طول الفقر المتقابلة في جميعها، وكما موضح في الجدول الآتي:

(١) ينظر: نهج البلاغة، ٦٣، ٣٨٢-٣٨٨، ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) مضارع بَسَّ كَسَمِعَ وهو الضَّرُّ والشدة والحاجة: تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله العلوي، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١: ٢٠٠١م، ٣/ ١٤٥.

(٣) نهج البلاغة، ١٤٨.

(٤) م، ن، ٣٧٦.

الفقرة الأولى	القريئة	نوع مقطع الفاصلة
دَرَجَاتٌ مُتَقَابِلَاتٌ	مَنَازِلُ مُتَقَابِلَاتٌ	طويل مغلق / ص ح ح ص /
لَا يَنْقُطِعُ نَعِيمُهَا	لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا	متوسط مفتوح / ص ح ح /
وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا	لَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا	متوسط مفتوح / ص ح ح /

وفي النص الثاني يلاحظ بناء الفواصل من الحروف الأصلية دون إضافات، مع تنوع في الإيقاعات والتقفية:

١- السجع المتوازي، (مَابًا، ثَوَابًا)، لتماثل الوزن والتقفية.

٢- لزوم ما لا يلزم، (النَّارِ، الدَّارِ)، (دَائِمٍ، قَائِمٍ)، (العَذَابِ، العِتَابِ) .

ومن حيث تساوي طول الفقر وعددها، تنوعت بين متساوٍ ومختلف كالآتي:

قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ	و	انْقَطَعَ الْعِتَابُ		طويل مغلق / ص ح ح ص /
زُحِرْخُوا عَنِ النَّارِ	و	اطْمَأْنَنْتُ بِهِمُ الدَّارُ	و	طويل مغلق / ص ح ح ص /
الْجَنَّةُ مَابًا	و	الْجَزَاءُ ثَوَابًا		متوسط مفتوح / ص ح ح /
فِي مُلْكٍ دَائِمٍ	و	نَعِيمٍ قَائِمٍ		متوسط مغلق / ص ح ح ص /

ثالثاً: - في وصف جهنم، قوله (الْجَنَّةِ):

١- ((وَاتَّقُوا نَاراً حَرَّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحُلِيِّتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ)).^(١)

٢- ((فَاخْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ)).^(٢)

٣- ((فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا، سَاطِعٍ لَهْبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكِ وَفُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيْعَةٍ أُمُورُهَا)).^(٣)

يلاحظ في النصين الأول والثاني وفيما يخص متعلقات (النار)، أنه تم بناء جميع فواصل الإيقاع من مقاطع صوتية طويلة مغلقة: /ص ح ح ص/، وكلها تشكلت من خبر المبتدأ، وتم

(١) نهج البلاغة، ٢٣٤.

(٢) م، ن، ٥١٠.

(٣) م، ن، ٣٧٦.

اختيار الألفاظ المنتهية بحرف الدال، وعلى وزن فعيل: (شديد، بعيد، حديد، صديد)، (بعيد، شديد، جديد)، /ص ح/ص ح ح ص/، وإلى جانب تألف الفواصل، أفادت هذه المقاطع إحياء بالقوة؛ وذلك لوقوع النبر عليها من جهتين لازمتين؛ الأول كون المقاطع طويلة مغلقة فلا تكون إلا منبورة،^(١) والثاني لصفة القلقة لصوت الدال عند الوقف عليه، فضلاً عن الإحياء بالامتداد والمبالغة لصوت الياء الطويلة.

بينما النص الثالث جاءت مقاطع فواصله المتعلقة بالنار من نوع المتوسط المفتوح /ص ح ح/ وكان لأسلوب بناء تركيب الجمل الأثر البارز في تماثل هذه الفواصل الاثنتي عشرة؛ إذ جاء المبتدأ في جميعها متأخراً والخبر مقدماً – والتقديم لا بنية التأخير –^(٢) (ونارٍ شديدٍ كلبها، عالٍ لجبها، ساطعٍ لهبها، متغيظٍ زفيرها، متأججٍ سعيرها،... إلخ)، مراعاةً للفواصل التي سهّل بناؤها من الحروف الأصلية للمبتدآت المتأخرة وإضافتها إلى الضمير (ها)^(٣) العائد في جميعها إلى النار، ما شكل أسجاء متألّفة، وداعماً صوتياً لافتاً ومؤثراً في المستمع، وإلا فأصل الجمل هي: (نارٍ كلبها شديد، لجبها عالٍ، لهبها ساطع، زفيرها متغيظ، سعيرها متأجج، خمودها بعيد، وقودها ذاك، وعيدوها مخوف، قرازها عم، أقطارها مظلمة، قدورها حامية، أمورها فظيعة)، وواضح ما في الأخير من انعدام الإيقاع المتوازن، وما كان ليحصل هذا التألف الصوتي المؤثر لولا التقديم والتأخير، ومن إحياءات المقاطع المفتوحة بحركات طويلة هي السعة والامتداد، فضلاً عن تغيير الدلالة؛ إذ أنّ تقدم الخبر وتحوّله إلى صفة للنار، أعطى أهمية لهذه الصفات؛ فالنار مؤرد خوف الإنسان وصفاتها تكون كذلك أيضاً، وتقديم المهم في الكلام دليل اهتمام المتكلم لذلك.

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، ٩٣، مناهج البحث في اللغة، ١٤٥، ١٤٦.

(٢) قسم الجرجاني التقديم إلى ضربين: التقديم على نية التأخير، ((وذلك كل شيء أقررت على حكمه الذي كان عليه ... ضرب عمراً زيداً، ... [والثاني] تقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تُثقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له باباً غير بابهِ وإعراباً غير إعرابه... "ضربتُ زيداً" و"زيدٌ ضربه")): دلائل الإعجاز، ١٠٦-١٠٧، وفي المثال اكتسباً حكماً جديداً فالخبر المرفوع تقدم ليصير نعتاً مجروراً للاسم المجرور "نارٍ"، وتأخر المبتدأ ليصير فاعل لاسم الفاعل، ينظر: معجم إعراب ألفاظ نهج البلاغة، أم البنين خالقيان، طهران - بنياد نهج البلاغة، ط١: ١٣٩١هـ، ٣٨٠.

(٣) هاء الوصلة وألف الإطلاق، وإن لم يُعتدّ بهما عند العروضيين في تشكيل القافية، إلا أنهما فونيمان صوتيان لا يمكن تجاهلهما من حيث وظيفة الصوت ومن حيث بناء الوزن والمقطع الأخير.

ومن حيث تساوي طول الفقر: يلاحظ في النصوص الثلاثة تساوي طول الفقر المتقابلة:
(حَرْهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحُلِيِّهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ)، (دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا
دَعْوَةٌ، وَلَا تُقَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ)، (شَدِيدٌ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا،....).

رابعاً: - في وصف خلق السماء، وخلق آدم (عليه السلام):

١- في خلق السماوات: قوله (عليه السلام): ((فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً،
وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَسَمَكاً مَرْفُوعاً، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا، وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا. ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ
الْكَوَاكِبِ، وَضِيَاءِ النُّوَابِ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وَقَمَراً مُنِيراً: فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ،
وَرَقِيقٍ مَائِرٍ)).^(١)

في الفواصل الثلاثة الأولى المتقابلة نجد التناغم الإيقاعي بينها حاضراً بقوة ووضوح، رغم
اختلاف نوع حروف رويها، وذلك بسبب تقابل كلماتها وتماتلها في الوزن، إذ جاءت جميعها على
وزن واحد، كما يوضحه الجدول الآتي:

الفواصل	سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً	عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً	سَمَكاً مَرْفُوعاً
حرف الروي	الفاء	الظاء	العين
الوزن	(فُعْلَى + هُنَّ + فَعْلًا + مَفْعُولًا)	(فُعْلَى + هُنَّ + فَعْلًا + مَفْعُولًا)	(فَعْلًا + مَفْعُولًا)

وهذا التشكيل يسمى بالمماثلة، أو الازدواج^(٢)، فهو ذو أهمية أساسية لإنشاء التوازنات في
الفواصل، وبخاصة عند تشكيلها من مفردات مختلفة في حروف رويها.

وبقية الفواصل أيضاً جاءت متماتلة الكلمات، ولكن متفقة الروي، كما في الجدول الآتي:

١	بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا	وَلَا دِسَارٍ يَنْتَظِمُهَا	الميم والهاء
٢	بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ	وَضِيَاءِ النُّوَابِ	الباء
٣	سِرَاجاً مُسْتَطِيراً	وَقَمَراً مُنِيراً	الياء والراء
٤	فَلَكَ دَائِرٍ	وَسَقْفٍ سَائِرٍ	الآلف والهمزة والراء

(١) نهج البلاغة، ٤٦.

(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢/ ٣٠٣، ٣٠٤.

٢- صفة خلق آدم عليه السلام قوله (ﷺ): ((ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا، ثُرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزِبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ، وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ : أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ، لَوَقَّتِ مَعْدُودٍ، وَأَجَلَ مَعْلُومٍ))^(١).

في بعض فقرات هذا النص يلاحظ بناء إيقاعاتها من إضافة تاء التأنيث الساكنة أو من إضافة ضمير الغائبة إلى الكلمة الأصلية، وبعضها بدون إضافة، علاوة على تماثل الوزن الصرفي أو المقطعي في جميعها:

الفقرة الأولى	الحرف الأصلي	الفقرة المقابلة	الحرف الأصلي	نوع الإيقاع
سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ	الصاد	وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزِبَتْ	الباء	سجع مرصع
أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ	الكاف	وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ	اللام	سجع مرصع
حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا	اللام	وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا	الخاء	موازنة
صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ	اللام	وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ	اللام	سجع مرصع
لَوَقَّتِ مَعْدُودٍ	الذال	وَأَجَلَ مَعْلُومٍ	الميم	سجع موازنة

خامساً: - في وصف الملائكة قوله (ﷺ):

١- ((مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضْمِنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَبُّ الْمَنُونِ؛ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَبْغِدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ))^(٢).

(١) نهج البلاغة، ٤٩.

(٢) م، ن، ٢١٠.

يلاحظ بناء أغلب إيقاعات النص من إضافة الفقرات المختلفة التقفية والأوزان إلى ضمير المخاطب (الكاف) - التي يعود للخالق سبحانه- وإنشاء السجع المطرف على روي الكاف:

أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ	وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ		
أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ	وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ	وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ	
عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ	وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ		
وَاسْتَجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ	وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ	وَقَلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ	

إن ذكر المسائل الخاصة بالملائكة التي أصل علمها من الله تعالى، قد بينها الإمام (عليه السلام) للناس بأسلوب الخطاب الموجه إلى الله تعالى، ضمن كلام له ((في بيان قدرة الله وانفراده بالعظمة))^(١)، فالإلى جانب الأثر التعليمي، أورث استعمال أسلوب الخطاب تناغما موسيقيا، بين فقر الكلام التي كانت مختلفة الروي والوزن وكثيرة الفقر، فألف بينها تأليفا سائغا، ليتحاشا ملل المستمع من التنافر الصوتي، المؤثر سلبا على قبوله للمعاني.

وورد في النص إيقاع من نوع "الموازنة" لاتفاق الوزن واختلاف الروي؛ بحرفي الباء والميم في الجملتين: "لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضَمُّوا الْأَرْحَامَ" والحرفان مجهوران ومتقاربان في المخرج-شفيان-، ولتساوي طول الجملتين وتشابه أوزان أجزائهما أثر كبير في تتابعهما بسلاسة وخفة؛ وهذا النمط يسمى أيضا "الازدواج"، والعلاقة القوية بين معنيي الفاصلتين (الأصْلَابَ، الْأَرْحَامَ)، زادت من تأثير الإيقاع وقبوله لدى المستمع.

٢- ((وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْغُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةً دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ))^(٢)

هذا النص المكون من خمس فواصل تم بناؤه من تأخير فاعل اسم الفاعل على متعلقاته في الجمل الوصفية المتتالية وإضافته إلى ضمير الغائب المذكر مع ميم الجمع (هم) ما جعل روي الفواصل تتماثل فضلا عن تماثل الوزن الصرفي لصيغة الجمع للفاعل فكانت على وزن

(١) نهج البلاغة ، ٢٠٩.

(٢) م، ن، ٤٨.

(أفعال)، رغم اختلاف وزن المفرد منها، أي ان عاملي الجمع وتأخير الفاعل، كان لهما الأثر الأساس في بناء هذا الإيقاع وتماتله، وكما موضح في الجدول الآتي:

الفواصل	الفاعل المؤخر	مفرده	وزن المفرد	طول الفقرة بالكلمات
الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضَيْنِ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ	أقدام	قَدَم	فَعْل	خمس
وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَافُهُمْ	أعناق	عُنُق	فُعْل	خمس
وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ	أركان	رُكُن	فُعْل	أربعة
وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ	أكتاف	كَتِف	فَعْل	أربعة
نَاكِسَةً دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ	أبصار	بَصَر	فَعْل	ثلاثة

أي أن أسلوبية التغيير والاختيار شملت المحورين العمودي والأفقي.

سادساً: - ومن وصف الموت وأحوال الموتى وأهل القبور قوله (عليه السلام): ((قَدْ شَخَّصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا)).^(١)

اختيار الأصوات المتقاربة المخارج والصفات إذ أن الفاصلتين؛ (الأجْدَاثِ، الْغَايَاتِ)، تناغمتا رغم اختلاف الوزن والروي، فقرب مخرجي حرفي الروي (الثاء، التاء) وهما من مقدم اللسان وصفة الهمس فيهما، فضلاً عن المقطع الصوتي الأخير وهو الطويل المغلق، /ص ح ح ص/، وتساوي طول الفقرتين.

إنَّ هذه الاستعمالات الدقيقة في بناء فواصل الجمل في الأمثلة السابقة، واختيار المفردات ذات الأصوات المتقاربة في صفاتها من جهة، والمناسبة لمعانيها من جهة أخرى؛ دليل اهتمام المنشئ على الموضوعات التي بث فيها، وعاكس عن شخصيته؛ إذ تظهر توجهاته العقيدية في الاهتمام بالدار الحقيقية للإنسان -الآخرة- مشوقاً إلى الجنة، ومخوفاً من أهوال البرزخ وعذاب جهنم، والترهيد بالدنيا، والانتباه إلى نفاذها، وعدم الغفلة من الوقوع بِشَرَكِ الشيطان والحذر منه، وإلى جانب ذلك كلُّه تتجلى رؤيته في تعظيم الله تعالى، عِبَرِ تعظيم خَلْقَةِ الملائكة وشؤونهم، وتعظيم خَلْقِ السموات والأرضين وبقية الأفلاك.

(١) نهج البلاغة، ٢٩١.

الفصل الثاني

المستوى التركيبي

أهمية التراكيب:

التركيب في اللغة: مصدر الفعل المضعف (رَكَّبَ) وهو من: ((ركبهُ تركيباً وضع بعضه على بعض فتركب وتراكب))^(١)، والمُرَكَّبُ اسم مفعول بمعنى تركيب شيء في شيء فهو ((المثبت في الشيء، كتركيب الفصوص))^(٢)، وبين التهانوي أن ((التركيب لغة الجمع. وعرفاً مرادف التأليف وهو جعل الأشياء المتعددة بحيث يطلق عليها اسم الواحد))^(٣)، أما في اصطلاح اللغويين: فهو ((الأساس الذي يقوم عليه علم النحو، الذي هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية في الإعراب والبناء وغيرهما))^(٤).

وكثيراً ما يعبر عن هذه التراكيب بمصطلح الجمل ويستعملان كمترادفين لتداخل المفهومين وتقارب دلاليتهما؛ فكلاهما يقابلان المفرد ويشملان الكلام الذي ضمَّ بعضه الى بعض، كما يتبين ذلك عند كثير من النحاة، كالزمخشري في قوله: ((والكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداها إلى الأخرى... وتسمَّى الجملة))^(٥)، والعلاقة التركيبية بين مفردات الجمل تقوم على مفهوم الاسناد؛ وهو ((عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة أي على وجه يحسن السكوت عليه))^(٦) وعلى هذا الأساس قسم النحاة البنية الأساس للتركيب النحوي -بحسب أركانها الإسنادية- على (تركيب اسمي) و(تركيب فعلي)^(٧).

وقد اهتم الدرس النحوي في بداياته بالمبنى، أما المعنى فلم يكن يقصدها الا تبعاً لذلك^(٨)، فقد نشأ البحث النحوي من خلال اللفظ المفرد وكيفية وقوعه في التركيب، وما يجري عليه من تغيير في آخره، وما يتبع هذا التغير من إفراز دلالي يتصل أساساً بالمعنى النحوي،

(١) الصَّاح " تاج اللغة وصِحاح العربية"، مادة (ركب) . ينظر: لسان العرب، مادة (ركب) .

(٢) كتاب العين، مادة (ركب): ٣٦٣ / ٥.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٤٣٣ / ١.

(٤) التعريفات، ٢٥٩ / ١.

(٥) شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء، موفق الدين المعروف بابن يعيش، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ٧٠ / ١، وقد ذهب ابن يعيش وغيره من النحاة الى ذلك: ٧١ / ١، أما اعترض ابن هشام فعلى جعل (الجملة) مرادفاً (للكلام): ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، نشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط٥: ١٩٧٢م، ٤٩٠ / ٢.

(٦) التعريفات، ١٠ / ١.

(٧) ينظر: الكتاب، (كتاب سيبويه)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣: ١٩٨٨م ٢٣ / ١.

(٨) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩٤م، ١٢.

وهذا المعنى النحويّ المحدود يمثل أحد الأقسام الوظيفية للمعنى اللغوي العام، إذ تتعاون مستويات الدراسة اللغوية فيما بينها على إفراز المعنى الذي من طريقه تتم عملية التواصل في مستواها العادي المؤلف.^(١)

أما البلاغيون فقد نظروا إلى التركيب النحوي ككل وما يؤديه من معاني خاصة تحت عنوان علم المعاني، و((هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال))^(٢)، وهو يتصل بأهم أساليب التعبير وصياغة الكلام، ضمن موضوعات؛ الخبر والإنشاء، التقديم والتأخير، والذكر والحذف،.. وغيرها^(٣)، ف((الخبرة بالتركيب هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها))^(٤)، ولذا رأى الدكتور أحمد مطلوب أن ((الدرس النحوي أولى بهذه الموضوعات لولا انصراف النحاة إلى العناية بالإعراب والبناء، والعوامل والتقدير))^(٥)، وقد تنبه عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك قديماً وإلى أهمية معاني التراكيب عندما رأى ((النظم توحي معاني النحو في معاني الكلم))^(٦).

وفي النص الأدبي يبرز مجال العمل الإبداعي الفني عبّر تجاوز الرتب المحفوظة لكثير من عناصر التركيب في المستوى العادي المؤلف، إلى أنماط جديدة ((تمثل نوعاً من العدول عن النمط المؤلف، أو انتهاكاً للأداء العادي وبقدر ما ينجح المبدع في تجاوز هذه الإطارات المحددة بقدر ما يساهم في تأكيد الخواص الجمالية للصياغة الأدبية))^(٧)، وتقوم عملية التحليل الأسلوبي برصد هذه السمات ووصف الاختيارات التي قام بها المبدع، ومسبباتها والمقاصد من ورائها ((فالمقدرة الفنية للمبدع تتمثل في النظر إلى الوجوه التي تتصل بما يطرأ على الجملة من تغير لأن هذا التغير يتبعه بالضرورة تغير في الدلالة))^(٨).

(١) ينظر: جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم، ١٥٤، ١٥٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، شرح وتعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ط ٣: ١٩٩٣م، ١ / ٥٢.

(٣) ينظر: م، ن، ٥٥، و: أساليب بلاغية، أحمد مطلوب، نشر: وكالة المطبوعات - الكويت، ط ١: ١٩٨٠م، ٦.

(٤) جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم، ٢٧١.

(٥) أساليب بلاغية، ٦، وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ١٨.

(٦) دلائل الإعجاز، ٣٦١.

(٧) جدلية الافراد والتركيب في النقد العربي القديم، ١٥٣، وينظر منه: ١٥٩.

(٨) م، ن، ١٥٤. وينظر: دلائل الإعجاز، ٨١.

المبحث الأول: الخبر والإنشاء:

الكلام لا يخرج عن قسمين، -الخبر والإنشاء- ومحصور بهما ((ووجه الحصر أن الكلام : إما خبرٌ أو إنشاء، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج))^(١). فالخبر هو ((كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته))^(٢) أما ((الإنشاء كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته))^(٣) إن القول بعدم احتمال الأسلوب الإنشائي للصدق والكذب ((إنما هو بالنظر إلى ذات الأسلوب بغض النظر عما يستلزمه، وإلا فإن كل أسلوب إنشائي يستلزم خبراً يحتمل الصدق والكذب))^(٤)، وعليه يقسم هذا المبحث عليهما كمطلبين.

المطلب الأول: الخبر:

إن الكلام الخبري هو الأكثر دوارناً في اللغة العربية من الكلام الإنشائي، وهو أول معاني الكلام وأقدمها، والذي تستند سائر المعاني إليه وتترتب عليه، وهو ينقسم حسب مدار الفائدة في الحقيقة على الإثبات والنفي^(٥)، وقد يحتاج الخبر إلى مؤكدات لأغراض معينة وقد لا يحتاج، وعلى هذه التقسيمات تناول البلاغيون الخبر في النصوص الأدبية من ثلاث جهات؛ المثبت والمؤكد والمنفي^(٦).

وبما أن الخبر المثبت - في بعض صفاته - يمثل الاتجاه المألوف أو المحايد للكلام، والمنفي منه يمثل الاتجاه السالب؛ والمؤكد منه يمثل الاتجاه الموجب؛ سيتناول هذا المطلب الخبرين المنفي والمؤكد كقسمين رئيسيين.

الخبر المؤكد + + + + + الخبر المثبت - - - - - الخبر المنفي
←-----→

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، ٥٥/١، ٥٦.

(٢) أساليب بلاغية، ٨٩.

(٣) م، ن، ١٠٧.

(٤) علم المعاني، عبد العزيز عتيق، (ت ١٣٩٦هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ١: ٢٠٠٩م، ٧٠.

(٥) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، ٢٥٨، و: أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت ٥٤٢هـ)، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١: ١٩٩١م، ١ / ٣٩٠.

(٦) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٤٤

القسم الأول: الجملة المؤكدة:

التوكيد أسلوب لغوي فائدته ((التحقيق وإزالة التجوز في الكلام))^(١) و((تمكين المعنى في نفس المخاطب، وإزالة الغلط في التأويل))^(٢) وما علق في نفسه من شكوك أو خالجه من شبهات، وللتوكيد طرائق مختلفة؛ وأدوات مختلفة شدة وضعفاً، وفق الحاجة، ومناسبات القول، مراعيًا حال المخاطب^(٣).

فالتوكيد يؤطر العلاقة بين المتكلم والسامع، فالمتكلم يقصد معنى ويريد إثباته أو نفيه مراعيًا ما لدى السامع من استعداد للقبول أو الشك أو الإنكار، وقد يدفع بالتوكيد غفلة السامع أو ظنه بالمتكلم الغلط أو التجوز،^(٤) وقد فصلّ البلاغيون الخبر حسب مؤكداته إلى ثلاثة أضرب؛ الأول: الابتدائي، وهو الخبر الذي يكون خالياً من المؤكدات؛ لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه، والثاني: الطلبي، وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته، فيحتاج المتكلم مؤكّداً واحداً ليدفع به التردد والشك، أما الثالث: الإنكاري، وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكّد بأكثر من مؤكّد^(٥).

ولكن إيراد الخبر لا يكون دائماً جارياً بمقتضى الظاهر، فقد تجد اعتبارات بلاغية تحمل المتكلم إلى إيرادها على صورة تخالف الظاهر، فقد ينزل خالي الذهن منزلة المتردد الشاكّ إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر ومضمونه، فيأتي بأداة واحدة للتأكيد، وقد يجعل غير المنكر كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه، فيأتي بأكثر من مؤكّد، أو العكس فينزل المنكر منزلة خالي الذهن رجاء ردعه^(٦)، وأبرز الأساليب والأدوات التي جاءت بها الجمل المؤكّدة في نصوص البحث، هي كالاتي:

(١) أسرار العربية، أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تح: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل- بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ٢٨٣.

(٢) شرح المفصل للزمخشري، ٢ / ٢٢١.

(٣) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، الرائد العربي، بيروت، ط ٢: ١٩٨٦م، ٢٣٤، ٢٣٧.

(٤) ينظر: م، ن، ٢٢٧.

(٥) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ١ / ١٢٠.

(٦) ينظر: أساليب بلاغية، ١٠٢، و: علم المعاني، ٦١، ٦٢.

أولاً: (قد): للتحقيق، تفيد تأكيد مضمون الجملة؛ أي أنها حق ولا محالة حاصلة^(١)، وقد جاء استعمالها متفاوت العدد في موضوعات البحث، وكما موضح في الجدول رقم (١) الآتي:

العوالم	البرزخ	الملائكة	جهنم	الجن	الخلق	الجنة	المجموع
قد	١٢	٥	٣	٢	٢	١	٢٥

يبين هذا الجدول اختلاف استعمال المؤكدات بحسب الموضوعات وكما توضحه الأمثلة الآتية:

١- من تأكيد تحقق أخبار يوم الحساب وأهواله، قوله (ﷺ): ((وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشِ الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعاً، قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ))^(٢)، إذ جاءت الجملة الفعلية الماضية في النص مؤكدة بـ(قد) لإفادة تحقيق مضمونها وهو (إلجام العرق للأولين والآخرين في يوم الحساب) وهو مبلغ من التعرق كبير جداً^(٣) لا يتحقق في عالم الدنيا، ففيه من الغرابة والبعد عما ألف عليه الطبع البشري من التعرق المحدود، المعروف لديه، فالمعنى يَصْعُبُ أن يتمكن في نفس السامع بسهولة، ما يجعله يبقى في دائرة الحيرة والشك، فاحتاج الكلام إلى مؤكد يناسب مبلغ حاجته من التأكيد لدفع الشك وإثبات التحقيق.

٢- ومن التأكيد على عظيم خلقة الملائكة، قوله (ﷺ): ((وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ))^(٤)، إن العظمة التي حَفَّتْ بها وصف الملائكة؛ من أحجام كبيرة وأطوال عظيمة فيها من الغرابة والبعد عما هو مألوف لدى البشر وَيَصْعُبُ أن يتقبله بسهولة، فيحتاج إلى أن يُلقى إليه الخبر بمؤكد يناسب ترده وشكه، فجاءت الأداة (قد) تأكيداً على تحقق مضمون الخبر في كل من الجملتين الفعليتين.

٣- ومن التأكيد على شدة حر جهنم وتحقيقها، قوله (ﷺ): ((وَالْبَسَهُمُ سَرَابِيلَ الْقَطْرِانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ))^(٥)، فمهما يسمع الإنسان

(١) ينظر: علم المعاني، ٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ١٩٤.

(٣) ((إلجام العرق: سال منهم حتى بلغ إلى موضع اللجام من الدابة وهو الفم)): شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٦٨/٧.

(٤) نهج البلاغة، ١٦٨.

(٥) م، ن، ٢١٤.

بشدة حرارة جهنم إلا أنه يغفل عنها لأنها في غير عالمه القائم، حتى وإن حاول استحضارها وتصورها لا يتم له ذلك بسهولة لغرابتها عنه، فأنزله الإمام (عليه السلام) منزلة المتردد والشاك بالخبر، فجاء بأداة التوكيد (قد) لتوكيد مضمون الجملتين، تثبيتاً للخبر، ودفعاً للشك.

٤- ومن التوكيد على تحقق الأمان من العذاب بمجرد الدخول إلى الجنة، قوله (عليه السلام): ((لَوْ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ))^(١)، فمقام الخائف من العذاب يحتاج إلى ما يؤكد تحقق الأمان وحصوله القطعي، وهو عادة ما يتحقق بالأداة (قد).

ثانياً: كَأَنَّ: ((للتشبيه المؤكد نحو: كأن زيداً أسدً، فإن أصله: إنَّ زيداً كالأسد، فقدمت الكاف، وفتحت الهمزة، وصار الحرفان حرفاً واحداً مدلولاً به على التشبيه والتوكيد))^(٢)، وأشار عبدالقاهر الجرجاني إلى الفرق بين المعنيين بقوله: ((فَتَقَبَّدُ تَشْبِيهَهُ أَيْضاً بِالْأَسَدِ، إِلَّا أَنَّكَ تَزِيدُ فِي مَعْنَى تَشْبِيهِهِ بِهِ زِيَادَةً لَمْ تَكُنْ فِي الْأَوَّلِ، وَهِيَ أَنْ تَجْعَلَهُ مِنْ فَرْطِ شَجَاعَتِهِ وَقُوَّةِ قَلْبِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَرُوعُهُ شَيْءٌ، بَحِيثٌ لَا يَتَمَيَّزُ عَنِ الْأَسَدِ، وَلَا يُقَصَّرُ عَنْهُ، حَتَّى يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ أَسَدٌ فِي صُورَةِ أَدَمِيٍّ))^(٣)، وقد وردت هذه الأداة في موضوعات عالم البرزخ دون غيره، وبكثافة ملحوظة، وفي أغلبها جاءت متلوة بأداة تأكيد التحقيق: (قد)، كما موضح في الجدول رقم (٢) الآتي:

العوالم	البرزخ	الملائكة	الجن	النار	الخلق	الجنة	المجموع
كَأَنَّ	٣	٠	٠	٠	٠	٠	١٠
كَأَنَّ + قد	٧	٠	٠	٠	٠	٠	

هذا الجدول ذو دلالة واضحة جداً على إيلاء الإمام (عليه السلام) موضوع عالم البرزخ أهمية كبيرة ويمكن الكشف عنها بالوقوف على دلالة أداة التشبيه وما أثارته في النصوص التي وردت فيها من دلالات خاصة، مستفيداً من سياقات هذه النصوص، وكما توضحه الأمثلة الآتية:

١- تشبيه حياة الإنسان وعمارته للدنيا، بالعدم، وهو ما جاء ضمن وصف أحوال الموتى في القبور في قوله (عليه السلام): ((فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا))^(٤)،

(١) نهج البلاغة، ٣٧٦.

(٢) شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله ابن مالك، (ت ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة، ط: ١٩٩٠م، ٦/٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ٢٥٨.

(٤) نهج البلاغة، ٣٧٢.

في هاتين الجملتين أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين حقارة الزمن الذي عاشه هؤلاء الأموات في الدنيا، نسبة إلى ما سيعيشونه في عالمهم الجديد الآخرة، فنفي عمارتهم للدنيا: (لم يكونوا للدنيا عُمَاراً^(١))، وادعى أن حياة الآخرة هي المستولية على حياتهم كلها: (الآخرة لم تنزل لهم داراً)، ولكن لقائل أن يقول: إنَّ الإنسان رغم قِصَرِ حياته في الدنيا إلا أنها كانت محققة في يوم ما ولا يمكن نفيه نفياً محققاً، ولأجل ذلك، وليتمكن المعنى الجديد في ذهن السامع -الحي- الذي لا يزال ينعم في الدنيا ولا يرى غيرها ولا يمكن أن ينكر حقيقتها، جاءت أداة التشبيه المؤكدة (كأنَّ) لتناسب المعنى فالتشبيه هنا تقريب للخبر وليس تحققاً له،^(٢) فالمقام لا يناسبه بقية الأدوات التي تفيد التحقق وحصول الشيء، لأن مضمون الخبر - أي: نفي عِمارة الدنيا - لا يمكن أن يتحقق^(٣)، ومما يلفت النظر في الجملة الثانية أن دلالة (لم) وهي للنفي في الزمن الماضي المنقطع، ولكن بدخولها على الفعل السلبى (يزال) حولت المعنى إلى إثبات - نفي النفي إثبات - في الماضي المتصل بالحال، فأغنت عن أن يقال: [وَكأنَّ الآخرة كانت ولا تَزَالُ لَهُمْ دَاراً]، وهذه فيها من الثقل والطول الملحوظ، فضلاً عن بقاء (لم) لتقابل مثيلتها (لم) في الجملة الأولى.

إن استعمال أكثر من أداة للتوكيد ذو دلالة بلاغية مؤداها أن السامع منكر للخبر أو بمنزلة المنكر، فيدفع المتكلم الإنكار بزيادة المؤكدات شدة وضعفاً وبما يلائم كل مقام، ويلاحظ كثيراً جمع الإمام (عليه السلام) أداة التوكيد (قد) مع (كأن) رغم ما بينهما من تنافر وتغاير؛ ف(قد) دليل تحقق حصول الخبر، بينما (كأن) تُقَرِّبه من الحصول فضلاً عن إثباته عدم الحصول في الحال، وذلك باستعمال فني دقيق، كما في المثال التالي:

(١) ((عُمَار: جمع عامر: من مادة عِمارة وعمران)): نفحات الولاية شرح نهج البلاغة، ١٩٦/٧.

(٢) إذ يميز النحاة بين نوعين من استعمال كأنَّ: الأول: ((أنها تأتي للتحقيق والوجوب، وجعلوا من ذلك قول الشاعر [في رثاء "هشام"]: فأصبح بطن مكة مقشعراً *** كأن الأرض ليس بها هشام ... إذ محال أن يقول الإنسان: كأن الأرض ليس بها هشام، على جهة التشبيه، وهشام ليس بالأرض، [والثاني]: تكون للتقريب، وذلك في نحو: كأنك بالشتاء مقبلٌ، ... وقول الحسن البصري: "كأنك بالدنيا لم تكن، وبالأخرة لم تنزل". والمعنى على تقريب إقبال الشتاء، ... وتقريب زوال الدنيا، وتقريب وجود الآخرة)): التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: د. حسن هنداي، دار القلم - دمشق، ط ١: (د. ت)، ٥ / ١٤ و ١٦.

(٣) فحياة الدنيا وعمارتها سواء إن قلَّت أم عظُمت فهي موجودة وثابتة وليست معدومة ولا يمكن نفيها.

٢- قوله (عليه السلام): ((فَكَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ))^(١)، فيلاحظ اهتمام الإمام (عليه السلام) كثيرا بالعالم التالي لعالم الدنيا ويحاول تصويره بالشكل الموحش، بيانا على جلالة الحقيقة التي لا مفر منها، وتنبيهها على الغفلة العظيمة للإنسان عن بيته الحق ومصيره المحتوم، فشبّه كل امرئ حيٍّ بمن هو ساكن تحت التراب، وقرب له مصيره الذي هو غافل عنه، وفائدة إضافة (قد) كمؤكد ثانٍ يظهر عبْرَ الفرق بين هذا المثال والسابق له، فالمثال الأول: الخبر فيه لم ولن يَحْصُلْ -وهو نفي عمارة الإنسان للدنيا- فجاء بمؤكد التشبيه دون التحقيق، بينما المثال الثاني: الخبر فيه لم يحصل للمخاطبين ولكنه سيحصل محققا -وهو بلوغ منزل الوحدة كناية عن الموت-، وهنا أفاد استعمال (قد) تحقق الحصول وإن كان لاحقا.

٣- وفي قوله (عليه السلام): ((وَكَانَ الصَّيْحَةُ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةُ قَدْ غَشِيَتْكُمْ))^(٢). وقوله (عليه السلام): ((وَكَانَهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا، وَكَانَهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَالِهَا))^(٣).

فتعدّد أساليب التوكيد بأدوات خاصة وهي: (كَانَ) التي تفيد التشبيه المؤكد، و(قد) لإفادة تحقق إتيان الصَّيْحَةِ، وتحقيق غشي الساعة وأشراطها، ما يوضح اهتمام الإمام (عليه السلام) بإيقاظ الناس عن غفلتهم عن العالم الذي ينتظرهم بعد الموت ولا محالة من تحققه. ومع الأخذ بنظر الاعتبار الترتيب الزمني للعوالم يلاحظ أن عالم البرزخ هو أقرب العوالم إلى عالم الدنيا زماناً، وملاحظة عدم استعمال التشبيه مع منازل الجنة والنار وهما بعيدتان زماناً، تبرز أهمية الأداة (كَانَ) دون بقية الأدوات في خصوص توكيد الأمر القريب إلى حدٍّ يُتَوَقَّعُ حصوله في أية لحظة، فضلا عن أهمية الموضوع عند الإمام (عليه السلام) والذي أفصح عنه بدمجه لهاتين الأداتين المتنافرتين، فزادت الأداة (قد) التقريب قوة بدلالة التحقق في قطع حصول الخبر قريبا.

ثالثاً: (إِنَّ) المكسورة الهمزة المشددة النون، وهي تنصب الاسم وترفع الخبر، وفائدتها التأكيد لمضمون الجملة أو الخبر، وينوب عن تكرير الجملة مرتين، ((وهذا الإيجاز أو الاقتصاد في ألفاظ الجملة مع حصول الغرض من التوكيد هو الذي يعطي مثل هذه الجملة قيمتها

(١) نهج البلاغة، ٢٩٥.

(٢) م، ن، ٢٩٥.

(٣) م، ن، ٣٧٦.

البلاغية، على أساس أن البلاغة هي الإيجاز^(١)، وقد وردت بنسبة قليلة ومتفاوتة العدد في موضوعات البحث، وكما موضح في الجدول رقم (٣) الآتي:

العالم	الجن	البرزخ	جهنم	الملائكة	الجنة	الخلق	المجموع
(إنَّ)	٦	٣	٠	١	٠	٠	١٠

يلاحظ من الجدول ترتيب حاجة الكلام إلى هذا النوع من التوكيد ذو الدلالة على تكرار الخبر، ما يظهر أولويات اهتمام الإمام (عليه السلام) بهذه الموضوعات، وكما توضحه الأمثلة الآتية:

١- في توكيد حرص الشيطان على النيل من الإنسان، قوله (عليه السلام): ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً))^(٢)، فالتوكيد بالأداة (إنَّ) يقوم مقام تكرار الجملة مرتين، وكأنه قال: [الشَّيْطَانُ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ، الشَّيْطَانُ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ]، وأنزل المخاطبين منزلة الشاك بتسهيل الشيطان طرقه للإنسان؛ أما لحقيقة جهل بعضهم أو لما بدر من المخاطبين من غفلة عن ذلك، بدلالة الموقف الذي أطلق فيه الإمام (عليه السلام) هذا الكلام^(٣).

٢- ومن توكيد الورد على منازل الآخرة قوله (عليه السلام): ((فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كُنُودًا، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَّهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا))^(٤)، فإطلاق الخبر مؤكداً لم يكن لشكَّ المخاطبين بهذه المنازل، فهي مما تتلى آناء الليل وأطراف النهار في القرآن الكريم، بل لغفلة الناس عنها ولعدم اعتبارهم من بالموتى.

ويلاحظ في موردين فقط استعمال التوكيد بالقسم (لَعَمْرِي) مع الأداة (لقد) في جملة واحدة، وذلك عند التوكيد على شدة عداوة إبليس لبني آدم (عليه السلام)، وذلك في قوله (عليه السلام): ((فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، وَ)) قَالَ رَبِّ بِمَا

(١) علم المعاني، ٥٥.

(٢) نهج البلاغة، ٢٣٦.

(٣) فالموقف كان جواباً لسؤال السائل عن مسألة التحكيم في معركة النهروان، وشكّه في معرفة الإمام بصلاح قبول التحكيم أو رفضه، ينظر: م، ن، ص ٢٣٥.

(٤) م، ن، ٤٢٨.

أَغْوَيْنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾)) إذ جاء في جملة واحد أربعة مؤكدات متتالية (لعمري لقد)؛ وصيغة (لعمري): من صيغ القسم وهو مكون من مؤكدين هما: لام الابتداء، -وتفيد تأكيد مضمون الجملة- والقسم في (لعمري)، و (لقد): مكون من مؤكدين أيضا هما: لام جواب القسم، و (قد) التي للتحقيق، وكلها تفيد التوكيد،^(٢) وهذا الضرب من الخبر إنكاري.

وبالتأمل قليلا في النص يُلاحظ أن هذه الشدة من المؤكدات قد وازنت شدة المؤكدات التي أفصح عنها إبليس، فذكر بها الإمام (عليه السلام) مباشرة بعد جملة المقسوم عليها، وبشهادة القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فجاء على لسان إبليس مؤكدات القسم واللام الواقعة في جواب القسم، ونون التوكيد الثقيلة في الفعلين (لَأُزَيِّنَنَّ) (وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ) فضلا عن التوكيد المعنوي (أَجْمَعِينَ)^(٣) وهذا إنما يدل على شدة غفلة الإنسان عن عدوه المبين، ويدل على حرص الإمام (عليه السلام) على تنبيه الغافلين، وقصده إلى إثارة مشاعر العداوة تجاه إبليس، فقد أكد (عليه السلام) على ذلك في موضع آخر وبالمؤكدات الأربعة نفسها، وهو قوله (عليه السلام): ((فَلَعَنُ اللَّهُ لَقَدْ فَخَرَّ عَلَى أَصْلِحِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسْبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ))^(٤).

إذ جاء النص بأربعة مؤكدات متتالية أيضا وفي بداية جملة واحدة فقط؛ (لعمرو الله لقد)، وجاء القسم هنا مضاف إلى لفظ الجلالة وهو أشد قسما من الإضافة إلى ضمير المتكلم، وهذا التشديد بكثرة المؤكدات لها دلالة واضحة في اللغة، فكلما أراد المتكلم زيادة توكيده للخبر زاد من إدخال المؤكدات المناسبة في كلامه بما يلائم إنكار السامع، أو ما يظهر منه ما يُنزله منزلة المنكر^(٥).

(١) نهج البلاغة، ٣٨٤، و [سورة الحجر: ٣٩].

(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه، ٢٣٧، و: علم المعاني، ٥٤، و: أساليب بلاغية، ٩٥.

(٣) ((بما: الباء للقسم وما مصدرية أي أقسم بإغوائك إياي وجملة لأزينن جواب القسم... وقيل الباء للسببية وكلاهما جائز، لأزينن اللام جواب القسم أو هي موطئة للقسم إن كانت الباء سببية... وأجمعين تأكيد للضمير)): إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ط٣: ١٩٩٢م، ٥ / ٢٣٩.

(٤) نهج البلاغة، تح: العطار، ٣٨٥.

(٥) ينظر: علم المعاني، ٥٤.

إن أغلب حالات التوكيد جاءت في موارد يكون فيها الخبر مما هو خارج عن حدود طبيعة الإنسان وقابلياته القاصرة على ما ألفه وأحاط به في عالم الدنيا المحدود؛ فالإنسان لا يمكنه تصور عظمة الملائكة وعلو مقاماتهم، ولا شدة حرارة جهنم وأحوال أهلها، ولا أهوال البرزخ، ولا طول عبادة إبليس، ما يحتاج إلى تثبيت الخبر في نفسه بالتوكيد المناسب، وقسم آخر من الأخبار في موارد غفلة الإنسان عن الخبر؛ كالغفلة عن عداوة إبليس وجنوده، والغفلة عن مصير الموت المحتوم، ووحشة القبر، وهذا مما يحتاج إلى إزالة الغفلة بالتوكيد المناسب.

العوالم الأدوات	البرزخ	الجن	الملائكة	جهنم	الخلق	الجنة	المجموع
قد	١٢	٢	٥	٣	٢	١	٢٥
إنَّ	٣	٦	١	٠	٠	٠	١٠
كَأَنَّ	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٣
كَأَنَّ + قد	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٧
لعمري + مضاف + لقد	٠	٢	٠	٠	٠	٠	٢
المجموع	٢٥	١٠	٦	٣	٢	١	٤٧

هذا الجدول هو مجموع للجدول السابقة لأدوات التوكيد، وإنَّ الأرقام التي وضَّحَ تُبيِّن الموضوعات التي أحتاجت التوكيدَ كمَّا ونوعاً، ووفق ما يراه الإمام (عليه السلام)؛ ((فالحكم على الخبر إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر))^(١)، ويبرز احتياج موضوع عالم البرزخ إلى مؤكدات أكثر وأنواع خاصة منها، من احتياج بقية موضوعات العوالم مجتمعة، ثم ما يتعلق بعالمي الجن والملائكة بنسبة الثلث، ما يُنبئُ عن دواعي لتوكيد موضوعاتها، عند الإمام (عليه السلام).

(١) علم المعاني، ٥٤.

القسم الثاني: الجملة المنفية:

النفي: هو: ((أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقاً لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب النفي وبإحدى طرائقه المتنوعة الاستعمال))^(١) وللنفي في العربية أدوات خاصة أهمها: لا، ما، لم، لما، لن، ليس، لات، إن^(٢)، ولكل منها استعمالاتها، ودلالاتها الخاصة، وقد برزت في نصوص البحث بعض من أدواتها بشكل ملفت، والتفصيل الآتي يوضح ذلك وبحسب الموضوعات وكثافتها:

أولاً: (لا) النافية: إنَّ أهم الأدوات الدالة على ((النفي هو: (ما) و(لا)، لأنهما الأصل في النفي، و(لا) أشمل نفيًا من أختها))^(٣)، فهي تنفي ((الجمال الإسمية، والفعلية المصدرة بفعل ماض، أو مضارع، وتقع جواباً مناقضاً لنعم، وتنفي المفرد من خبر أو حال أو صفة، وتدخل بين الجار والمجرور، وبين المتعاطفين، كائنة حرف عطف، أو غير عاطفة، نحو "أقبل محمد لا خالد" و "ما أقبل محمد ولا خالد"،^(٤) وقد وردت في نصوص البحث، وبأنماط مختلفة، وهي:

١- **الداخلية على الفعل المضارع:** قال ابن هشام أنه ((يتخلص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين، وخالفهم ابن مالك))^(٥)، الذي جاء بأمثلة كثيرة من القرآن الكريم وغيره، للدلالة على الحالية، إذ قال: ((وإذا نُفي المضارع بلا، لم يتعين الحكم باستقباله بل صلاحية الحال باقية))^(٦) فقارئ الأحوال قد تصرفها للاستقبال أو الحال أو الاستمرار، ((فهي لا تختص بزمن دون زمن))^(٧)، وقد برزت استعمالاتها في نصوص البحث بشكل متفاوت مع موضوعاتها، كما موضح في الجدول رقم (٤) الآتي:

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه، ٢٤٦.

(٢) ينظر: م، ن، ٢٤٨.

(٣) في النحو العربي نقد وتوجيه، ٢٤٨.

(٤) معاني النحو، ٤ / ٢٠٩.

(٥) مغني اللبيب، ٣٢٢/١.

(٦) شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ١ / ١٨.

(٧) معاني النحو، ٣/٣٦٦، وينظر منه: ٤/٢٠٦، فللحال: كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَ أَيْدِيهِمْ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [النمل: من ٢٠]، وللاستقبال: ﴿وَلَا تُشْكِلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: من الآية ١٣٤]، والمنقطع: ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا تُكَلِّمُ الْبَشَرَ كَلِمَةً وَلَا تَعْبُدُوا لِلدَّيَّاتِ مَا بَدَعُوا﴾ [الجمعة: من الآية ٧].

المجموع	الخلق	الجن	جهنم	الجنة	الملائكة	البرزخ	العوالم نمط النفي
٤٢	١	٣	٥	١٠	١١	١٢	لا+ فعل مضارع

يُبيّن الجدول استعمالها في عوالم متعددة وبنسب مختلفة، وقد جاءت بعدة دلالات هي:

أ- دلالة نفي المستقبل: كما تبيينها النصوص في وصف عالم الجزاء - الجنة والنار - وقد جاءت جميع الأفعال المنفية وفي جميع نصوصهما لإفادة نفي المستقبل، ففي وصف الجنة قوله (ﷺ): ((لَا يَنْقُطُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْئَسُ سَاكِنُهَا))^(١)، إذ نفت (لا) إسناد كل فعل إلى فاعله دون نفي الفاعل، لأن نفي الجملة ((يعني نفي الإسناد وإبطاله))^(٢)، ومثله كذلك قوله (ﷺ): ((حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النَّزَالُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَتَوَبُّهُمُ الْأَفْرَاعُ، وَلَا تَتَّالَهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ))^(٣)، فقد جاءت جميع الأفعال المنفية في موضوع الجنة مضارعة، وذات دلالة على النفي في المستقبل، فعدم وقوع هذه الأفعال نسبة إلى زمن عالم الدنيا - زمن الخطاب - قرينةً تصرف النفي إلى المستقبل، وتلاحظ هذه الدلالة كذلك في وصف الأفعال المنفية في موضوع جهنم كما في قوله (ﷺ): ((لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَفَادِي أَسِيرُهَا، وَلَا تُقْصَمُ كُبُولُهَا))^(٤). وقوله (ﷺ): ((دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تَسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةً، وَلَا تُفَرِّجُ فِيهَا كُرْبَةً))^(٥). إذ نفت (لا) إسناد الأفعال المضارعة إلى فواعلها أو مايقوم مقامها.

وقد وضح سيبويه دلالة هذا النمط من النفي بقوله: ((وإذا قال "هو يفعل" أي هو في حال فعل، فإنّ نفيه "ما يفعل"، وإذا قال "هو يفعل"، ولم يكن الفعل واقعا فنفيه "لا يفعل")^(٦)، وهذا لا يعني أنه ((يمنع من إيقاع غير (ما) موقع (ما) ولا من إيقاع غير (لا) موقع (لا)... ولكنه قصد في باب نفي الفعل التنبيه على الأولى في رأيه، والأكثر في الاستعمال))^(٧)، أي: مادام المطلوب

(١) نهج البلاغة، ١٤٨.

(٢) الجملة الخبرية في نهج البلاغة، د. علي عبدالفتاح، دار صفاء، عمّان - الأردن، ط١: ٢٠١٢م، ٢١٣.

(٣) نهج البلاغة، ٢١٤.

(٤) م، ن، ٢١٤.

(٥) م، ن، ٥١٠.

(٦) الكتاب، (كتاب سيبويه) (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط١: د- ت، ١١٧/٣.

(٧) شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ١/ ٢٠.

هو نفي المستقبل فلا يمنع من استعمال (لن) -التي لنفي المستقبل- مانع نحوي فيكون القول: [لَنْ يَنْقَطِعَ نَعِيمُهَا وَلَنْ يَظْعَنَ مُقِيمُهَا...], و[وَلَنْ يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَنْ تُقْصَمَ كُبُولُهَا...], ولكن التوجيه الإبداعي وقصد المبدع هو الذي اختار (لا) لما فيها من دلالات أخرى غير نفي المستقبل، فصلاحيّة الحال باقية^(١) وهي توحى بالإطلاق والعموم وذات دلالة بطول النفي وامتدادها، أفادتُها من قِدَمِها في الاستعمال؛ إذ كانت مستعملة قبل غيرها، وتدخل في جميع الأزمنة، وكذلك من إحياء صوت الألف بالامتداد والطول، بينما (لن) مختصة بالمستقبل^(٢).

وأما فائدة نفي هذه الأفعال عن عالم الجزاء، فيظهر عبْرَ التأمل في معانيها؛ فجميعها من أحداث وأحوال عالم الدنيا، ونُفِيت البتة وجودها في عالم الجزاء، وظهرت أيضا أنها موزعة على دعامتي الحياة الدنيا؛ -الخوف والرجاء- فنُفِيت عن أهل الجنة كل ما يُخاف منه في الدنيا، (السقم والهزم والفرع وغيرها)، ونُفِيت عن أهل النار كل ما يُرجى فيه في الدنيا، (الفدية والفرج والمهرب وغيرها)، فالإنسان في الدنيا متقلب بينهما؛ ففي سعادته خائفٌ من مُنْغَصَّاتِها، وفي عُسرته أملٌ بالخلاص منها، وعبّرَ نفي الاستقبال تم التوكيد على: ألا وجود لشيء من هذه المخاوف ولا الآمال أبداً في عالم الجزاء -الجنة والنار-.

ب- دلالة نفي الحال (المنقطع): ويتبين في وصف عالم البرزخ وبما يخص ذكر أحوال الموتى الماضين، كما في قوله (عليه السلام): ((لَا يُفْرَعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْرُثُهُمْ تَكَرُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفَلُونَ بِالرَّوَاكِفِ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْفَوَاصِفِ))^(٣)، إذ نفت (لا)، إسناد هذه الأفعال إلى مفاعيلها (أهل القبور)، في الزمن الحال -المنقطع-، بقرينة وقوع هذه الأفعال في زمن الخطاب، وهي مما ستنتقع في يوم القيامة وعند خروج الناس من القبر، وما يثير التساؤل هو أن الأفعال التي نفيت عن الموتى: (الفرع، والحزن، ..) ((ينافي ما نُقِلَ من عذاب القبر فإنه يستلزم الفرع والحزن))^(٤)، هكذا افترض الشارح البحراني سؤالا ثم أجاب عنه بقوله: ((إنما سُلِبَ عنهم الفرع والحزن من أحوال الدنيا المُشَاهِدَة لنا، وكذلك الحافلة بأهوالها وسماعها، وعذاب القبر ليس من

(١) ينظر: شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ١/ ١٨.

(٢) ينظر: معاني النحو، ٣/ ٣٦٧ - ٣٦٩.

(٣) نهج البلاغة، ٤٥٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ٤/ ٥٥.

ذلك القبيل، بل من أحوال الآخرة وأهوالها، ولا يلزم سلب الفرع الخاص سلب العام^(١)، ولذلك هي واقعة عند أهل الدنيا ولكنها منفية عنهم، وفائدة هذا النفي يتبين بمعرفة مقام الحال ومناسبة القول؛ فقد جاء هذا الكلام لتنبيه الناس الذين يتفاخرون بسلفهم الماضين في القبور إلى عدم جدوى التفاخر، وردعهم عن ذلك، عبّر بيان عجز الموتى وجهلهم بما يحيط بهم خارج القبر، وإظهارهم بمظهر الذلة لأن المقام للتوبيخ والاستنكار، وتأكيد؛ ما سبق هذا القول بقوله (عليه السلام): ((ذهبوا في الأرض ضلالا، وذهبتم في أعقابهم جهالا، تطأون في هامهم، وتستثبتون في أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا))^(٢) وهذا أسلوب غير مألوف فكثيرا ما يُذكر الموتى بما يصيبهم من أهوال وشدائد وعظائم البلى، بينما هنا وصفهم بعدم الفرع والحزن، مناسبة للمقام.*

ج- دلالة النفي المستمر: وكثيرا ما جاءت مثلها في وصف أحوال الملائكة، كقوله (عليه السلام): ((لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ، { بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْملُونَ }))^(٣) [الأنبياء: ٢٧] فنفي عنهم انتحالهم الخلق لأنفسهم وكذلك نفى عنهم ادعاء المشاركة مع الله في الخلق، ولم يكن قد ثبت لهم الانتحال أو ادعاء المشاركة مسبقا، فضلا عن إفادة (لا) النفي مستقبلا، وتأكيد ذلك هو وصف الإمام (عليه السلام) لهم بشهادة القرآن الكريم؛ بأنهم لا يسبقون ربهم بشيء من القول فكل عمل لهم تابع لله تعالى وبأمره يعملون^(٤) والمنفي عنهم لما كانت من أفعال القول والكلام (الانتحال، والادعاء) جاء التأكيد من سنخه، فنفي عنهم سبق ربهم بالقول، فأفاد نفياً مستمرا، مستغرقا الحال وممتدا في المستقبل، وهذا لا يكون إلا بأداة النفي (لا) دون غيرها.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ٥٥/٤، وهو كذلك رأي ابن أبي الحديد، ينظر شرحه للنهج: ١١/١٠١.

(٢) نهج البلاغة، ٤٥١.

* فائدة قرآنية : يمكن توجيه سبب نزول الآية مستندا بكلام الإمام (عليه السلام) إلى رأي التفاخر بالموتى؛ إذ أن هناك رأيان في سبب نزولها يذكرهما المفسرون أحدهما ((أن جماعة تفاخروا، فتعادوا الأحياء والأموال، وزاروا القبور فتعادوا الأموات تفاخرا)) فتح الرحمن في تفسير القرآن، ٧ / ٤٢٥، والآخر : أي: ((شغلكم عن الآخرة التغالب في الكثرة، والتفاخر بها... حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال ولحقتكم بالقبور)): تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٣٢ / ٢٨٢.

(٣) نهج البلاغة، ١٦٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٦ / ٤٤٦.

٢- الداخلة على الفعل الماضي: إن الأصل في نفي الفعل الماضي يكون بأداة النفي (ما)، وينفى بـ(لا) إذا تكررت، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا صَلَفَ وَلَا مَنَّ﴾ [القيامة: ٣١]، ولكن بمعنى (لم) أي (لم يصدق ولم يصل) أو كانت معطوفة على نفي سابق مثل: ما جاء الضيف، ولا اعتذر^(١)، وفائدته ((إشراك أكثر من طرف في النفي))^(٢)، ونمط نفي الفعل الماضي بتكرار الأداة (لا) لم يرد في نصوص البحث مطلقاً، إنما وردت بـ(لا) المعطوفة على نفي سابق، وانحصر هذا النوع بوصف الملائكة دون بقية العوالم، فقد جاء بثمان مرات في تنزيه الملائكة، عن صفات سلبية هي ثابتة لجنس الإنس، وذلك في قوله (عليه السلام):

((وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، ... وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكْنَانَةُ الْإِجْلَالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، ... وَلَمْ تَجِفَّ لَطُولُ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ السِّنْتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتْهُمْ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطَعَ بِهِمْ الْخَبَرُ إِلَيْهِ أَصَوَاتُهُمْ، ... وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيبِ، وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمِّ))^(٣).

إن مما يلفت النظر؛ هو تركيز هذا النمط من النفي على عالم واحد -الملائكة- وفي جميعها كان النفي السابق هو النفي بـ(لم)، وبالرجوع إلى هذه الجمل المنفية بـ(لا) وملاحظة معانيها وعلاقة كل منها مع سابقتها المنفية بـ(لم)؛ يتبين أن لكل من المتعاطفين فصلاً خاصاً بهما يتشاركان في معنى ما، فمثلاً في المقطع: ((وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ))، فالمعنى -حسبما أفادته الشروح- في الجملة الأولى: عدم نفاذ دواعي تضرعهم رغم طول رغبتهم؛ فلا يصيبهم الملل والكلل، أو اليأس، كما عند البشر، وفي الجملة الثانية: نفي انفلات قيد (ربق)^(٤) خشوعهم رغم عظيم زلفاهم؛ فلا يعترهم الاستخفاف بالمخشوع منه، كما عند البشر إذ يَخِفُّ هيبة وسطوة الملوك والسلاطين عند المقربين

(١) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، ٣٣/٥.

(٢) معاني النحو، ٢٠٥ / ٤.

(٣) نهج البلاغة، ١٦٨-١٧١.

(٤) الرِّبْقُ: الخيط في العنق، أو الحبل الذي يُجْعَلُ في أعناق البهائم: ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٢ / ٤٨١.

منهم نسبة إلى العامة، لأن سلطان الله لا يتناهى عظمة وعزّة وعرفاناً،^(١) فالمشترك بينهما هو نفي انتهاء العمل، ولكن لسببين مختلفين متباعيين؛ فعظيم الزلفى زهو ومطمع، بينما طول الرغبة تعب وكد.



وكذلك المقطع المذكور آنفاً: (وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَاةُ الْإِجْلَالِ نَصِيْباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ).

فالمعنى في الجملة الأولى: نفي استكثارهم لعباداتهم إذ لا يعتريهم العُجب، وفي الجملة الثانية: نفي تعظيمهم حسناتهم، وذلك لسطوة الاستكانة عليهم^(٢)، فالنتيجة واحدة ولكن لطرفين متضادين وهما: العُجب؛ ونفيه عنهم، والاستكانة؛ وإثباتها لهم، أي أنه لا العُجب حملهم، ولا الاستكانة تركتهم، لتعظيم عباداتهم.



وهكذا مع بقية الجمل المنفية المتعاطفة، فبالتأمل الدقيق يظهر القاسم المشترك المناسب للمعنيين، وذلك لغرض إشراك أكثر من جهة في النفي، أما فائدة كون المعطوف السابق منفياً بـ(لم) فلا إشراك الثاني بحكم زمن الأول وهو الماضي المنقطع ((إذ ما من معطوف إلا وهو على تقدير تكرار العامل))^(٣)، فضلاً عن انصراف (لا) إلى معنى (لم) بدخولها الفعل الماضي^(٤)؛ فالقائل: (لم يقرأ زيد ولا كتب عمرو) كأنه قال: (لم يقرأ زيد، ولم يكتب عمرو) ولكن هذا التعبير الأخير يكون فيه كل جملة ذات مغزى بمفردها، بينما بدخول (لا) تتضاف دلالة أخرى فضلاً عن دلالة كل منهما، ويوحي للسامع، قصد المنشئ جمعهما في مشترك معين.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ٣٧٤/٢ - ٣٧٥.

(٢) ينظر: م، ن.

(٣) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، إبراهيم الشاطبي، تح: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ٢٠٠٧م، ١٤٢/٥.

(٤) ينظر: الجملة الخبرية في نهج البلاغة، ٢٤٠.

٣- (لا) النافية العاطفة، وقد اشترط النحاة في عملها ((أن يتقدمها إثبات، والا تقترن بحرف عطف،... وأن يختلف المعطوف بعد (لا) عن المعطوف عليه قبلها))^(١)، وفائدة هذا النمط: يأتي للتوكيد^(٢)، ومن النحاة من اشترط أن يكون المعطوف بها مفردا ولو تقديرا، وقد نقل (ناظر الجيش) عن (ابن عصفور) مثالا في عطف الجمل وهو: (زيد يقوم لا يقعد)، ثم علله بقوله: ((وأما (لا يقعد) من قولك (زيد يقوم لا يقعد) فهو من عطف المفردات لا عطف الجمل))^(٣)، وعلى أي تخريج كان، فنجد مثل ذلك من عطف الجمل في نصوص البحث وباطراد في موضوعات مختلفة؛ منها: في وصف الملائكة ووصف الخلق، وكذلك في ذكر أحوال أهل القبور، كقوله (عليه السلام): ((فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ، وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ،... غَيِّبًا لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ،... جِيرَانًا لَا يَتَأَنَسُونَ، وَأَحِبَاءًا لَا يَتَزَاوَرُونَ))^(٤).

فيلاحظ في جمل النص مجيء صفات منفية (لَا يَنْمُونَ، لَا يُوجَدُونَ، لَا يُنْتَظَرُونَ، لَا يَحْضُرُونَ، لَا يَتَأَنَسُونَ، لَا يَتَزَاوَرُونَ) وقبلها صفات مثبتة معاكسة لها، والنفي أفاد التوكيد على دوام الصفة المثبتة واستمرارها، ((لأن العطف بها إنما جيء به على جهة التأكيد لصحة الاختصار على الأول دون الثاني))^(٥) ونظير ما تقدم قوله (عليه السلام): ((فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا... مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارِبُونَ))^(٦)، ويمكن عدُّ هذا الاستعمال من قبيل الانزياح وانتهاك المألوف، إذ يلاحظ فيها عطف الجمل بـ(لا)، وقد جاءت مثلها في عدة موضوعات منها في وصف خلق السماوات والأرض، قوله (عليه السلام): ((فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي))^(٧)، ومثله سيأتي في وصف الملائكة، والجدول الآتي يوضح ذلك:

العوالم والمنازل	البرزخ	الملائكة	الخلق	جهنم	الجنة	الجن	المجموع
لا العاطفة	٩	٤	٢	٠	٠	٠	١٥

(١) أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتي، النشر: مؤسسة مجد، بيروت، ط١: ٢٠٠٥م، ١٩٣.

(٢) ينظر: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) للشاطبي، ٥/ ١٤٤.

(٣) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، "ناظر الجيش" محمد بن يوسف الحلبي، تح: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ، ٧/ ٣٤٩٢.

(٤) نهج البلاغة، ٤٥٢.

(٥) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) للشاطبي، ٥/ ١٤٤.

(٦) نهج البلاغة، ٢٢٠.

(٧) م، ن، ٤٣٨.

ويلاحظ استعمال الإمام (عليه السلام) أشكالاً مختلفة من أدوات النفي وبتفاوت ملحوظ في الأنماط وفي الموضوعات. ويمتاز أسلوب النفي -فضلاً عن التعبير الإبداعي كما تبين آنفاً- باحتشاده وتكراره العالي وتتاليه بشكل لافت جداً قد يصل في بعض النصوص أن تدخل النفي في أغلب جملها، وتتنوع في أنماطها، ولا سيما في وصف عالم الملائكة فهو من أكثر العوالم التي حفلت بأسلوب النفي، فقد نجد الإمام (عليه السلام) ينظم وصفاً بالنفي بأنماط متنوعة ومتساوية الأعداد، وبمجموعها يتم كمال المعنى، كما في وصف الملائكة، وكان النفي وسيلة لتنزيههم عما يطرأ على الإنسان من نقص في كمالاته؛ الجسدية والعقلية والفكرية، وتنزيه الملائكة هو تعظيم لشأنهم، وتعظيمهم يأتي غالباً لإفادة تعظيم خالقهم، وكما هو واضح في قوله (عليه السلام):

((ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْغَلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهْوُ الْغُفُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ... لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ)).^(١)

إذ تكررت الأداة (لا) النافية اثنتي عشرة مرة؛ وبثلاثة أنماط مختلفة، كل أربعة تكرارات متتالية منها ضمن نمط واحد؛ فالأربعة الأولى منها جاءت لنفي الأفعال المضارعة عن فاعلها - الملائكة- بشكل نفي بعد إثبات، أي: نفي صفات -حركية جسمية- معينة؛ (لَا يَرْكَعُونَ، لَا يَنْتَصِبُونَ، لَا يَتَزَايِلُونَ، لَا يَسْأَمُونَ) بعد إثبات صفات^(٢) مغايرة لها؛ (سجود، ركوع، صافون، مسبحون)، ما أفاد تأكيد دوام الصفات المثبتة للملائكة واستقرارها، عبّر نفي الصفات المخلة بثباتها ودفع الشك الذي قد يساور المخاطب بتغير الصفة في المستقبل، وجاء في الشرح: ((فمنهم من هو ساجد أبداً لم يقم من سجوده ليركع، ومنهم من هو راكع أبداً لم ينتصب قط، ومنهم الصافون في الصلاة بين يدي خالقهم لا يتزايلون...))^(٣). وهذه من أقسام (لا) النافية العاطفة، التي تفيد التوكيد، وعلى قول من اشترط تأويل الجمل المعطوفة بالمفرد، فنقدّر هذه الجمل بـ: (راكعون، منتصبون، متزايلون، مسأمون)، ولكن الجملة أدق معنى من المفرد؛ فتقدير

(١) نهج البلاغة، ٤٨.

(٢) ينظر: إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه، د. زهير غازي زاهد، الناشر: التميمي، النجف، ط ١: ٢٠١٤م، ٧٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١/ ٥٧.

الجملة -مثلاً- "لا يركعون" بالمفرد: "لا راكعون" مجرد تأكيد على أن هذه المجموعة من الملائكة هم طائفة السجود وليسوا طائفة الركوع، ولا نحصل منه على كل الدلالة التي في "سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ" فهنا إضافة إلى الدلالة السابقة، تفيدنا بأن هذه الطائفة التي عملها السجود لا يَكُونُون ولا يَمْلُون من السجود فلا يُغَيَّرُون من وضع السجود ولو لبرهة من الزمن سواء إلى الركوع أم إلى غيره من الأوضاع، وهذه الدلالة هي الدلالة الأصلية والمقصودة هنا، أما دلالة كونهم "ليسوا طائفة الركوع" فهي دلالة عرضية وليست مقصودة؛ لأن المقام في تعظيم شؤونهم ورفعته، وليس مجرد التصنيف بدلالة -مثلاً- نفي حالة الركوع من الساجدين دون نفي حالات أخرى عنهم؛ وإلا لو كان للتصنيف لوجب بيان نفي الركوع وغير الركوع عن طائفة الساجدين.

والأربعة الثانية؛ لنفي وقوع الفعل المضارع (يغشى) على المفعول به -الملائكة- من قبل أربعة فواعل متعاطفة؛ (نوم العيون، وسهو العقول، وفترة الأبدان، وغفلة النسيان) -وهي حالات طارئة للإدراك العقلي عند البشر- وهذه أيضا تأكيد دوام الصفات -المذكورة سابقا- لهم في الحال والمستقبل؛ لأن غشيان النوم والسهو والفتور والغفلة مما يقطع دوام الصفات السابقة (السجود والركوع...) وتخل بثبوتها عندهم، ونفيها يقطع شك السامع بذلك. وهذه من أقسام (لا) المقترنة بحرف العطف، وكأن الكلام صار: [لا يغشاهم نوم العيون، ولا يغشاهم سهو العقول، ولا يغشاهم فترة الأبدان، ولا يغشاهم غفلة النسيان]، ولكن بإيجاز في اللفظ وبلاغة في المعنى كما تبين سابقا. ^(١)

والأربعة الأخيرة لنفي الأفعال المضارعة عن فواعلها -الملائكة أيضا - فنفي عنهم: (التوهم بتصوير الله سبحانه، وتمثيله بالمصنوعين، وتحديد به المكان، والإشارة إليه بالنظائر)، وهي خواطر ذهنية تُخِلُّ بالتوحيد الخالص لله تعالى، وهي غالبا ثابتة عندنا - نحن البشر - وتجول في خواطرنا كثيرا، فأفاد النفي هنا تنزيه الملائكة عن هذه الخواطر. وهذه من أقسام (لا) النافية التي ((لا عمل لها وهي الداخلة على الفعل المضارع)) ^(٢).

فالأداة (لا) بدخولها على الأفعال المضارعة في النص وبمختلف أنماطها أفادت نفي كثير من العوارض الجسدية والعقلية والفكرية التي تخل بدوام العبادة وكمالها، وتنزيها للملائكة عنها

^(١) ومثلها في عالم الملائكة ينظر: نهج البلاغة، ١٧١.

^(٢) أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتي، ١٩٢.

في المستقبل فضلا عن الحال، فكان اختيار الإمام (عليه السلام) للأداة (لا) دون غيرها مفيدا لذلك، إذ -كما مر- معنى القول: (لا يفعل) نفي لـ (هو يفعل)، ولم يكن الفعل واقعاً، فأفاد نفياً مستمرا.

ثانياً: (لم): أداة نفي مختص بالفعل، وبالمضارع منه خاصة، فلا تدخل على الفعل الماضي، وتدل على نفي وقوع الفعل في الزمن الماضي المنقطع^(١)، وذلك أن (فَعَلَ) غير مخصوص بزمن معين من أزمنة الماضي، ونفيه كذلك^(٢). وقد وردت مطردة في وصف عالم الملائكة دون بقية العوالم كما يتبين في الجدول رقم (٥) الآتي:

المجموع	الجن	جهنم	الجنة	الخلق	البرزخ	الملائكة	العوالم الأدوات
٣٢	٠	٠	١	٢	٤	٢٥	لم

في قوله (عليه السلام): ((مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمَنْنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَبُّ الْمُنُونِ)).^(٣)

جاء النفي هنا لبيان اختلاف الملائكة عن الإنسان في أصل الخلق والنشأة، ولدفع الشك والظن عن ذلك؛ نفى عنهم الإمام (عليه السلام) بعض أحوال خلق الإنسان كسكّنه في ظلمتي الأصلاب والأرحام والتثقل بينهما بواسطة ماء ضعيف^(٤)، وتعرضه لحوادث الدهر من بلى وموت^(٥)، وكل هذا النفي جاء بعد أن أثبت لهم كمالات مادية ومعنوية، كموازنة بين رفعة كمالاتهم المعنوية، مع رفعة خلقتهم المادية التي لم يصرح عنها الإمام (عليه السلام) تصريحاً، ولكنه دلّ عليها بنفي ضِعة الخِلة والنشأة عنهم، وذلك عبّر نفي خِلة الإنسان المادية عنهم، والتي جاءت بمفردات دالة على الوهن والضِعة^(٦)؛ لأن الملائكة ((هم أشرف الموجودات الممكنة

(١) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ٢٥٤.

(٢) ينظر: معاني النحو، ٢١٥ / ٤.

(٣) نهج البلاغة، ٢١٠، وينظر مثلاً في عالم الملائكة (١٩ مرة): ١٦٧ - ١٧١.

(٤) [المهين: الضعيف]، ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧هـ)، تح: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، دولة قطر: ط ١: ٢٠٠٩م، ٧ / ٢٤٩.

(٥) [قال الفراء: المنون يذُكّر ويؤنث، فمن ذكّرهُ أراد به الدهر، ومن أنث أراد المنية]، التفسير البسيط، ٢٠ / ٥٠٠.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٧ / ١٣٣، ١٣٤.

بكمال العبودية لله^(١) ونتج عنه كذلك مقارنة بين الإنسان وضعف خَلْقته وقلة علمه بالله تعالى، مع الملائكة وقوة خَلْقَتهم وكثرة علمهم بالله تعالى.

فالإمام (عليه السلام) ناسبَ بين اختصاص الأداة (لم) بالنفي في الزمن الماضي المنقطع، مع أحداث الخلق المنفية عن الملائكة ونظام نشأتهم التي حدثت في الماضي المنقطع، فليست هي مما تتجدد أو تستمر الى الحال أو المستقبل، أي أن وصفها لا يحتاج إلى أدوات أخرى مثل (لما) و(لن)، اللتان لم تستعملا في عموم نصوص البحث مطلقاً، حتى لمرة واحدة.

إنَّ الأعمَّ الأغلب من حالات النفي مع عالم الملائكة جاءت لتنزيههم عمَّا يعتري الإنسان من حالات الضعف والفتور عن أداء العبادة الحقَّة والكاملة تجاه الله سبحانه وتعالى، سواء كانت هذه العبادة جسمياً، أو معرفياً، أو نفسياً؛ كما تبين آنفاً في مثال (لا) العاطفة مع الملائكة، ويمكن ملاحظة جميع أمثلة أنواع النفي المذكور في البحث في الملحقين رقم (٥) ورقم (٦).

أمَّا مجموع ما حصل من حالات النفي في العالم الآخر بالأنماط البارزة المذكورة؛ فهو كما موضح بالجدول الآتي:

الأدوات	العوامل	الملائكة	البرزخ	الجنة	جهنم	الخلق	الجن	المجموع
لا	٢٣	٢١	١٠	٥	٣	٣	٣	٦٥
لم	٢٥	٤	١	٠	٢	٠	٠	٣٢
المجموع	٤٨	٢٥	١١	٥	٥	٣	٣	٩٧

هذا الجدول هو مجموع من الجدولين (٥) و(٦)، ومثال (لا) الداخلة على الفعل الماضي وأمثلة (لا) العاطفة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ٣٦٨/٢، وينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي، صححه إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية - طهران ط ٤: د.ت، ٦/ ٣٧٦.

المطلب الثاني: الإنشاء:

وهو قسمان طلبي وغير طلبي:

الإنشاء الطلبي، وهو ((ما يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنى، والنداء، ... أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعى مطلوباً، وله أساليب مختلفة))^(١) منها: صيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود، ولم ترد منها في نصوص البحث إلا ما ندر من القسم وقد تم دراستها ضمن أساليب التوكيد وعدّها منها^(٢)، ومن الباحثين من يرى أن ((الإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لقلة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية أخرى))^(٣).

إن نصوص موضوع البحث استعملت في جُلّها الأساليب الخبرية؛ وذلك لطبيعة محتواها الوصفية لشؤون وأخبار العالم الآخر وذكر أحوالها ومعالمها، كذكر ((ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم عليه الصلاة والسلام))^(٤) وخلق الملائكة وأخبار عصيان إبليس لأمر الله تعالى بالسجود لآدم وطاعة الملائكة للأمر، وكذلك ذكر أحوال العالم التالي لعالمنا الذي يبدأ من حلول الموت بالإنسان وأحواله في عالم البرزخ ثم قيام الساعة ... وكذلك عالمي الملائكة والجن، ورغم هذه الطبيعة الخبرية لموضوعات النصوص إلا أن الإمام (عليه السلام) قد استعمل بعض الأساليب الإنشائية لإضفاء مزيد من التعابير المؤثرة في المتلقي وهذه الأساليب هي: الأمر، الاستفهام، والنداء، وقد خرجت في جُلّها استعمالاتها عن أغراضها الأصلية إلى أغراض ومعاني آخر، على النحو الآتي:

(١) أساليب بلاغية، ١٠٧، وينظر: علم المعاني، ٧٠.

(٢) ((والقسم ضرب من الخبر، كقولك: لعمرك لأنطلقن و...)): أمالي ابن الشجري، ١ / ٣٩٥.

(٣) علم المعاني، ٧٤.

(٤) وهذا عنوان الخطبة الأولى الذي اختاره الشريف الرضي ضمن اختياراته كعناوين للخطب بما تلائم محتواها ومقاصدها: نهج البلاغة، ٤٥.

أولاً: - أسلوب الأمر:

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معانٍ وأغراض أخر تُفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال،^(١) وقد جاء في نصوص البحث خارجاً إلى عدد من هذه المعاني المجازية، وأبرزها موضح في الجدول رقم (٦) الآتي:

العوالم أغراض الأمر	الجن	البرزخ	جهنم	الجنة	الملائكة	الخلق	المجموع
النصح والإرشاد	٤	٣	٠	٠	٠	٠	٧
التحذير	٢	٢	١	٠	٠	٠	٥
المجموع	٦	٥	١	٠	٠	٠	١٢

يبين الجدول ترتيب أهمية النصح والإرشاد لدى الإمام (عليه السلام) وبحسب الموضوعات وهي:

١ - النصح والارشاد: وهو الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه، وإنما هو طلب يحمل بين طياته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد^(٢)، كما موضح في الأمثلة الآتية:

أ- نصحه (عليه السلام) لأصحابه ضمن وصف أفعال الشيطان: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طَرِيقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَاغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ، وَاعْقُلُواها عَلَى أَنْفُسِكُمْ))^(٣)، إن أفعال الأمر الواردة في النص (فاصدفوا، واقبلوا، واعقلوها) فهي لم تأت بوجه الإلزام والاستعلاء، إنما المراد منها النصيحة والإرشاد، ويفهم ذلك عبر قرينتي المقال والحال والتي يتبين منها أن الإمام (عليه السلام) كان متحسراً ومتألماً على أصحابه المخلصين الماضين، ومتأسفاً من الباقيين الشكَّاكين، فقد ذكر الشريف الرضي أن هذا الكلام كان بعد ليلة الهرير، جواباً لمن سأل عن أمر التحكيم،

(١) ينظر: أساليب بلاغية، ١١٠، ١١١.

(٢) ينظر: علم المعاني، ٧٨.

(٣) نهج البلاغة، ٢٣٦، المعاني: - يسني: لغة السقي، وهنا كناية على تسهيل الشيطان لطرقه، فاصدِفُوا: فاعرضوا، نزاغته: وساوسه، فاعقلوها: فاحبسوها أو اربطوها: ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: (سنى)، ١٠٣/٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٩٠/٧.

وأنه (عليه السلام) صفق إحدى يديه على الأخرى متحسرا ثم قال: ((هذا جزاء من ترك العقدة ... ولكن بمن؟ وإلى من؟ أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي...))^(١).

ب- وقوله (عليه السلام) ناصحا بالتسلح ضد إبليس: ((وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُّعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجُلًا وَفُرْسَاناً))^(٢).

ج- ناصحا بالعمل ليوم القيامة قوله (عليه السلام): ((اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ))^(٣).

د- ومن نصحه بالتجهز إلى حياة القبر قوله (عليه السلام): ((وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ... وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمَطْلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَرَعِ، وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ...))^(٤).

إن هذه النصوص جاءت بأسلوب الأمر في ظاهرها، ولكنها حسب قرائن سياقاتها المقالية والحالية لا تحمل معنى الأمر الحقيقي المتضمن للطلب بوجه الاستعلاء والإلزام، وإنما توجي بالنصح والموعظة والارشاد، أما الموضوعات التي استعمل فيها الإمام (عليه السلام) معاني النصح فقد تركزت في موضوع الابتعاد عن مدارج الشيطان ودائه المعدي -الكبر- والتسلح ضده لأنه في رصد دائم بالإنسان للإيقاع به في شركه، وكذلك النصح بالاستعداد لمغادرة عالم الدنيا فبين (عليه السلام) أهوال ما بعد الموت ونصح بالاستعداد لها.

٢- التحذير: وقد يأتي الكلام بأسلوب الأمر ولكن المراد التحذير، وقد يتداخل معنى التحذير مع معنى النصح والإرشاد، أو معاني أخر، إلا أنه بالنظر الدقيق يمكن وضع حد فاصل بينهما - كما سيتبين في المثال القادم - فالمعاني كثيرة ومتداخلة وأن الفيصل في ذلك هو القرائن والسياقات، وقد جاء في نصوص البحث من ذلك، وكما موضح في الأمثلة الآتية:

(١) نهج البلاغة، ٢٣٥، ومثله ينظر: ٢٨٥.

(٢) م، ن، ٣٨٦.

(٣) م، ن، ٢٣٤.

(٤) م، ن، ٣٧٥.

أ- في التحذير من إبليس وجنوده، كما عنونه الشريف الرضي بذلك وهو قوله (عليه السلام): ((فَاحْذَرُوا -عِبَادَ اللَّهِ- عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفْتِرَكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ))^(١)، فقد جاء وصف داء إبليس المعدي (الكِبَر) وأن له جنوداً مختلفة المهام، وقد جاء التحذير بمفردة صريحة: "فاحذروا"، ويرى البحث أن التحذير بذاته نُصَحَّ ولكنه إجمالي دون تعليم خطوات مناسبة لكل مشكلة يمكن من خلالها للمُخاطَب القيام بها، أما النصح فيذكر فيه الخطوات اللازمة لمواجهة كل مشكلة من المشكلات، يمكن للمُخاطَب القيام بها، كما تم ذكره في فقرة النصح والإرشاد؛ (فَاصْدِفُوا عَنْ- فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ- فَأَطْفُوا مَا- وَاتَّخِذُوا التَّوَّاضِعَ).

ب- وفي التحذير من مزالق الصراط قوله (عليه السلام): ((وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلْلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ))^(٢)، الكلام قد يحمل في طياته معنى التذكير بالصراط، وكذلك هو تحذير منه ومن مزالقه وأهوايله، فخطورة المرحلة بينها الإمام (عليه السلام) بمفردات تشير إلى ذلك: "مزالق"، "أهوايل"، "تارات".

ج- وفي التحذير من عذاب نار جهنم قوله (عليه السلام): ((وَاقْفُوا نَارًا حَرًّا شَدِيدًا، وَقَعْرَهَا بَعِيدًا، وَحُلِيِّهَا حَدِيدًا، وَشَرَابُهَا صَدِيدًا))^(٣)، فالإمام (عليه السلام) يحذر المخاطَب من نار جهنم من خلال دعوته له بأن يتقيها.

ثانياً: - أسلوب الاستفهام:

الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة خاصة، ولكن أدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أُخر على سبيل المجاز تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.^(٤) وقد جاء في نصوص البحث الاستفهام خارجاً إلى معانٍ أبرزها هي:

العوالم أغراض الاستفهام	الملائكة	الجن	البرزخ	الجنة	جهنم	الخلق	المجموع
النفى	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٢
التعجب	١	٠	١	٠	٠	٠	٢

(١) فقد عنون الشريف الرضي هذا المقطع من الخطبة بعنوان ((التحذير من الشيطان)) نهج البلاغة، ٣٨٤.

(٢) م، ن، ١٤٠.

(٣) م، ن، ٢٣٤.

(٤) ينظر: علم المعاني، ٨٨ و ٩٥، وأساليب بلاغية، ١٢٠.

التقرير	٠	١	٠	٠	٠	٠	١
الاستبعاد	٠	١	٠	٠	٠	٠	١
المجموع	٣	٢	١	٠	١	٠	٨

١ - **النفي بـ(هل) الاستفهامية:** وذلك عند ما تجيء لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً^(١)، كما لو كان السؤال بها عن شيء منفيٍّ عُرِفاً، وجاءت في نصوص البحث بمعنى النفي فقط، إذ قال (عليه السلام) في وصف ملك الموت: ((هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا؟))^(٢).

جاء في الشرح أن هذا الكلام من خطبة طويلة في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى ذُكر فيه وصف ملك الموت، فنبه على نفي ((الإحساس به على أنه ليس بجسم، إذ كان من شأن كل جسم أن يحس بإحدى الحواس الخمس))^(٣)، ومن الواضح أن الاستفهام هنا ليس حقيقياً بل للنفي^(٤)، بقرينة أن كل إنسان يعلم بأن ملك الموت لا يُحسُّ به أحد، سواء عند توفيه الأرواح أم في غيرها، وكأنما الإمام (عليه السلام) يفترض هذا السؤال ليفرغ ذهن السامع إلى جوابه المعروف لدى الجميع وهو النفي وعجز الإنسان، أي: (لا تُحِسُّ به إذا دخل منزلاً، ولا تراه إذا توفى أحداً)، فلاستعمال الأداة (هل) الاستفهامية أهمية بالغة لتثبيت المعنى المطلوب نفياً، وهي لا تؤدي معنى (ما) النافية فحسب، فقد وقف المحدثون عند دلالة (هل) وسبب اختيارها دون غيرها من الأدوات التي تؤدي المعاني المجازية التي تخرج إليها جملة (هل) الاستفهامية، ومن ذلك وقوفهم عند موضوع النفي بـ(هل)، ورأوا أن معنى الاستفهام لا ينمحي في الجملة ولا يتغير من الإنشاء إلى الخبر، بل إنَّ النفي بـ(هل) لا يُعَدُّ نفياً محضاً بل هو استفهام أُشْرِبَ معنى النفي^(٥).

٢ - **التعجب:** أي أن الغرض من هذا السؤال يكون لبيان التعجب وذلك يفهم من سياقات الكلام وقرائن الأحوال^(٦)، ومعيار ذلك أنْ نتمكن من تقدير الفعل "أَتَعَجَّبُ" قبل أداة الاستفهام، كما في مسألة ملك الموت وإبداء التعجب من كيفية توفيه الجنين في بطن أمه، قوله (عليه السلام):

(١) ينظر: علم المعاني، ٩٦.

(٢) نهج البلاغة، ٢٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ٨٦ / ٣.

(٤) ينظر: إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه، ٤٨.

(٥) ينظر: معاني النحو، ٢٠٨ / ٤، و: اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٤٩.

(٦) ينظر: علم المعاني، ٩٧.

((بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟! أَيْلُجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْسَائِهَا؟ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجُزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟!))^(١) فالاستفهام عن كيفية الوفاة ليس هو المطلوب بل للتعجب من الكيفية الغريبة على طبع الإنسان المتعلق بالمحسوسات الظاهرة للعيان، فقرينة الحال هو عجز الناس عن إدراك ذلك، وكذلك الاستفهام في الجملة الأخيرة عن كيفية وصف الإنسان لله سبحانه وتعالى إذ ليس هو المطلوب بل للتعجب؛ أي أنه إذا عجز الإنسان عن وصف المخلوق الذي هو مثله في النشأة والحدث فمن الأولى أن يعجز عن وصف خالق هذا المخلوق وإدراك كُنْهه^(٢)، ويمكن تقدير الاستفهام بالقول: (أَتَعْجَبُ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! ... أَتَعْجَبُ كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجُزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ!).

٣- التقرير: حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتاً أو نفياً لغرض من الأغراض، على أن يكون المقرر به تالياً لهمزة الاستفهام^(٣)، كما جاء في طلب الإقرار بما حصل لإبليس نتيجة تكبره، في قوله (الطَّيِّسُ): ((أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا؟!))^(٤).

٤- الاستبعاد: وهو عدّ الشيء بعيداً حسّاً أو معنى، فقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على استبعاد السائل للمسؤول عنه^(٥)، كما في قوله (الطَّيِّسُ): ((فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلَّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِشَرًّا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ))^(٦). أي أنه بعيد أن يسلم أحد بعد إبليس بمثل معصيته -الكبر- وقد كان عبد ما عبد، ولم يسلم.

(١) نهج البلاغة، ٢٢١.

(٢) ومن التعجب من غفلة الإنسان عن الموت، قوله عليه السلام: ((وَكَيْفَ غَفَلْتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْلِكُكُمْ؟!)): نهج البلاغة، ٣٧٢.

(٣) ينظر: علم المعاني، ٩٩.

(٤) نهج البلاغة، ٣٨٢-٣٨٣.

(٥) ينظر: علم المعاني، ١٠١.

(٦) نهج البلاغة، ٣٨٣.

المبحث الثاني: الجمل وأحوالها:

المطلب الأول: الجمل الفعلية والجمل الاسمية:

الجملة لغةً هي: ((جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يقال: أجملت له الحساب والكلام))^(١) واصطلاحاً ((هي المركب الذي يبين المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت اجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع، والجملة التامة التي تعبر عن أبسط الصور الذهنية التامة التي يصح السكوت عليها، تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية، هي: المسند إليه... والمسند... والإسناد))^(٢)، ورغم اختلاف النحاة في تقسيم البنية الأساس للجملة العربية، إلا أن الرأي الأقوى حجة والأكثر تماسكا هو التقسيم، بحسب أركانها الاسنادية إلى نوعين من التراكيب-أو الجمل- (تركيب اسمي) و(تركيب فعلي)^(٣)، وفائدة كل منهما: أنَّ ((موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء))^(٤).

وفي نصوص البحث نجد أن معظم التعبيرات جاءت بالجمل الفعلية، إذ جاءت بتكرار (٦٧٥) مرة من أصل (٨٤٩) جملة هي مجموع جمل البحث^(٥)، أي بنسبة (٧٩,٥%) وتقابلها الجمل الاسمية بنسبة (٢٠,٥%)، وكما تبينه الأرقام الآتية:

مجموع الجمل = ٨٤٩	الجمل الفعلية: ٦٧٥ = ٧٩,٥%	الجمل الاسمية: ١٧٤ = ٢٠,٥%
-------------------	----------------------------	----------------------------

وأما بلحاظ ورود الجمل في عوالم العالم الآخر يلاحظ كذلك غلبة الفعلية في كل منها على الاسمية وبنسب متفاوتة،- عدا الجمل في وصف جهنم- وكما موضح في الجدول الآتي:

العوالم	البرزخ ٣٢%	الخلق ٢٣%	الجن ١٧%	الملائكة ١٤,٥%	جهنم ٧%	الجنة ٦,٥%	المجموع
الجمل الفعلية	٢١٣	١٨٢	١٢١	٩٣	٢٤	٤٢	٦٧٥
الجمل الاسمية	٥٨	١٥	٢٣	٣٠	٣٦	١٢	١٧٤
المجموع	٢٧١	١٩٧	١٤٤	١٢٣	٦٠	٥٤	٨٤٩

(١) لسان العرب، مادة (جمل)، ١١ / ١٢٨.

(٢) في النحو العربي، نقد وتوجيه، ٣١.

(٣) ينظر: (كتاب سيبويه)، ١ / ٢٣، ينظر: معاني النحو، ١ / ١٥، و: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ٥١، ٥٢.

(٤) دلائل الإعجاز، ١٧٤.

(٥) تم عدّ الجمل بدقة تصل نسبتها إلى نحو ٩٥% على الأقل وتم الاعتماد في أغلب الموارد على كتاب "معجم إعراب ألفاظ نهج البلاغة"، "أم البنين خالقيان" المذكور في الرسالة.

القسم الأول: الجمل الفعلية:

إن هذه النسبة الكبيرة من الجمل الفعلية (٧٩,٥%) التي وردت في نصوص العالم الآخر تدل دلالة واضحة على كمية التعبير عن الحدث، وحسب نظرية بوزيمان^(*) القائمة على نسبة "عدد الأفعال على عدد الصفات" يمكن القول أن نصوص البحث ذات دلالة انفعالية شديدة، ولما كانت غاية ((توجيه الخطاب بالجملة الفعلية يراد به الإخبار بمطلق العمل مقرونا بالزمان))^(١) تطلّب التمييز بين أزمنتها، فتبين من خلال الإحصاء وفرز أنواع الجمل الفعلية حسب أزمنتها، غلبة صيغة الماضي بنسبة الثلثين، وكما موضح في الجدول الآتي:

صيغة الماضي	صيغة المضارع	صيغة الأمر	مجموع الجمل الفعلية
٤٥٠ جملة = ٦٦,٦%	١٩٦ جملة = ٢٩%	٢٩ جملة = ٤,٣%	٦٧٥ جملة

وبما أن الصيغ الفعلية تعبر في أصلها عن أزمنة مختلفة وهو ما يسمى بالزمن الصرفي للأفعال، ((حيث يرتبط الزمن بالصيغة المفردة التي ليست داخلية في سياق))^(٢)، إذن لا بد من مقابلتها مع أزمنة العوالم المختلفة الطولية والعرضية،^(٣) وملاحظة ما تتطابق منها مع أزمنة هذه العوالم، وما تخرج منها إلى خلاف الظاهر وهو ما يسمى بالزمن النحوي: وهو الذي اكتسب ((دلالات زمنية جديدة نتيجة تفاعلات السياق والملابسات وقرائن الأحوال))^(٤)، وللوقوف على دلالات هذه الصيغ واستعمالاتها ينبغي ملاحظة أنواعها في كل عالم من العوالم وما أفادتها من دلالات حسب السياقات وقرائن الأحوال، والجدول الآتي يوضح ذلك:

(*) أ. بوزيمان: عالم لغوي ألماني، من بدايات القرن العشرين: ينظر: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ٧٤.

(١) أساليب بلاغية، ١٤١، وينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ١٠٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٥٧. فالأفعال كما قسمها النحاة ((بنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، ولما هو كائن لم ينقطع)): الكتاب، (كتاب سيبويه)، ١/ ١٢،

(٣) العوالم الطولية؛ وهي المتتالية زمنياً: (عالم الخلق الأول ثم عالم الدنيا فعالم البرزخ ثم عالم الجزاء) والعوالم العرضية (عالم الإنس وعالم الملائكة وعالم الجن) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ٣٦/١ - ٣٧.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٤٠.

العالم	الخلق	البرزخ	الجن	الملائكة	الجنة	جهنم	المجموع
جمل بصيغة الماضي	١٤٦	١٤٨	٨٧	٤٠	١٧	١٢	٤٥٠
جمل بصيغة المضارع	٣٦	٥٠	٢٦	٥٣	٢٤	٧	١٩٦
جمل بصيغة الأمر	٠	١٥	٨	٠	١	٥	٢٩
المجموع	١٨٢	٢١٣	١٢١	٩٣	٤٢	٢٤	٦٧٥

أولاً: الجمل الفعلية بصيغة الماضي:

والأصل في صيغة الماضي هو الدلالة على وقوع الحدث في الزمن الماضي وتحقيقه سواء مع الانقطاع أو استمرار إلى لحظة بدء الكلام عنه^(١)، وقد غلبت ورودها على نصوص عالم الخلق الأول أي خلق الأفلاك والأجرام والسموات والأرض والبحار وخلق الملائكة وخلق آدم (عليه السلام) وما جرى معه في قصة سجود الملائكة له وعصيان إبليس وتعصبه لأصله الناري، وكذلك في الكلام عن بعض الأحداث التي حلت بالموتى الماضين في عالم البرزخ، وفي وصف بعض أحوال الملائكة والمهام التي أوكلت إليهم. وذلك لكون هذه الأحداث مما وقعت في الماضي، فالأصل في صيغ الفعل الماضي أن تعبر بها عن الحدث الماضي، وربما خرجت عن ذلك فتستعمل للدلالة على الحال أو المستقبل، ((ويقرر علماء البلاغة أن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي إنما يكون تنبيهاً على تحقيق وقوعه، ويمثلون لذلك بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَّظُرُونَ﴾

(سورة الزمر، من الآية: ٦٨)، أي "يُصَعِقُ" ^(٢)، فتكون ذات دلالة إضافية تعبيرية لغرض بلاغي معين وأثر أسلوبية، وليس خروجاً تاماً، أو فصلاً بين صيغة الفعل وزمنه الأصل، بل إضافة دلالة زمنية -مكتسبة من السياق- إلى جانب الدلالة الزمنية الأصلية^(٣)، وقد وردت مثلها في نصوص عالم الجزاء -الجنة والنار- أي العالم الذي لم يقع في زمن النص، وكذلك في وصف أفعال الشيطان التي هي ما زالت مستمرة ومتجددة، كما في الأمثلة الآتية:

(١) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ١٢٢، ١٢٣.

(٢) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط٦، ١٩٧٨م، ١٤٥.

(٣) ينظر: أسلوب الشرط في نهج البلاغة، دراسة نحوية تطبيقية، يسرى خلف سمير السعيد، رسالة ماجستير، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، لسنة ٢٠٠٩م، ٢٩١.

١- في وصف ثواب أهل الجنة قوله (ﷺ): ((فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَنَابَهُمْ بِجَوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ))^(١)، في الجملتين الفعليتين (أَنَابَهُمْ بِجَوَارِهِ)، و(خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ) الفعلان جاءا بصيغة الماضي؛ ولكن للتعبير عن حدث لم يقع وإنما يُنتظر أن يقع، أي بمعنى (سيُثيبهم)، و(سيُخلدhem)، ما أكسب المعنى دلالة إضافية وهي التنبيه على تحقيق وقوعه في المستقبل، فلا مناص من ذلك، وكأن الإمام (ﷺ) نقل المتلقي وجدانا وشعورا من هذا العالم إلى عالم الجزاء حيث المتقين في جنات الخلد بجوار ربهم، وقد تحقق الثواب لهم وأنجزت العدة بهم، وهذا يعكس تقييمه (ﷺ) للحياة الأخروية واعتبارها هي الحقيقة وكأنه يراها، وأن الحياة الدنيا لا قيمة لها لديه وقد زهد بها فصارت مما مضى وزال، وكيف لا يحسبها سرايا قد تلاشت، وهو الذي طلقها ثلاثا لا رجعة فيها، وغير خاف كثرة ما كان يُصرِّح به من ذم الدنيا وحقارتها لديه، وينبه على سرعة النفاد منها ويقول: ((فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَغْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَاسْتَتِمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ عَذَابَ مَنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ)).^(٢) وقوله (ﷺ): ((وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَغْلُمَ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِنَّ لَكُمْ لَخِزَانَتَيْنِ إِلَى الصُّعَدَاتِ؛ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلَدِّمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرْكَبُنَّ مَوَالِكُمْ لَا حَاسِرَ لَهَا))^(٣).

٢- ومثله في قوله (ﷺ): ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا))، قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِقَابُ، وَخُزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ))^(٤)، في النص تم استعمال صيغة الماضي في الجمل الفعلية للتعبير عن أحداث الجنة ووصف أحوال أهلها والكلام عنهم وهي مما لم يقع بعد، بل هي مما سوف يقع بعد مراحل عديدة من الزمان، ولكن هذا الاستعمال أنزله بمنزلة الحدث الواقع في الزمن الماضي وأفاد دلالة إضافية وهي التنبيه على التحقق الذي لا شك فيه، وجعل المتلقي يشعر بهذا التحقق، وإضافة إلى الشرح في النص السابق يُضاف هنا دلالة استعمال حرف (قد) لتأكيد التحقيق: (قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ...)، ما زاد تحقيق صيغة الماضي تأكيدا، ويلاحظ أيضاً فرق المعنى عن النص السابق، فهناك جاءت

(١) نهج البلاغة، ٢١٤.

(٢) م، ن، ٣٧٢.

(٣) م، ن، ٢٣٠.

(٤) م، ن، ٣٧٦، و[سورة الزمر، جزء من الآية: ٧٣].

صيغة الماضي بدون تأكيد التحقيق بأداة ما، مع معاني الثواب: (أثابهم بجواره، وخلصهم في داره)، بينما هنا جاءت الجملة مؤكدة التحقيق بالأداة (قد)، مع معاني دفع الضرر: (قد أمن العذاب، وانقطع العتاب، وزحزحوا عن النار)، وقد قيل في مثل هذا الفرق: ((السلامة مطلوبة قبل الغنيمة))^(١) ونظير ذلك نجده في وصف أهل النار.

٣- كما في وصف عقوبة أهل المعاصي، قوله (ﷺ): ((وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأُنْزِلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغُلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرْنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَفْئَامِ، وَالْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٌ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ))^(٢)، هذه الجمل الفعلية جاءت بصيغة الفعل الماضي: (أنزلهم، غلّ، قرن، لبسهم، قد اشتد، قد أطبق) لوصف حال أهل النار، وهي مما لم تقع في زمن الخطاب فأنزلت بمنزلة الحدث الذي تحقق وقوعه وانقطع، دلالة على الأهمية البالغة للترهيب منها، ولجسامة هولها؛ فطول المكث فيها ليس له انقضاء وما فيها من قساوة العيش لا يمكن تحملها أبداً، وتم تأكيد التحقيق في جملتين منها بالأداة (قد) لزيادة قوة التحقيق وتأكيدهما.

٤- في وصف أفعال الشيطان تجاه الإنسان، قوله (ﷺ): ((... وَحَذَرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمْنَى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِيئَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَرَ مَا أَمَّنَ))^(٣)، إن موضوع النص هو الوصية وهي في زمن الحال: (أوصيكم) وفائدة الوصية لما يأتي في المستقبل، وكذلك التحذير المذكور في النص فائدته للمستقبل، فالتحذير يكون من شيء سيقع، كأن يقال: (وحذركم عدوا ينفذ -أو سينفذ- في الصدور، ...)، ولكن الإمام (ﷺ) ذكر أفعال الشيطان بصيغة الماضي الواقع: (نفذ، نفث، أضل، أردى، وعد فمناً، زين، هوّن) ما أفاد التنبيه على تحقيق وقوعها في المستقبل فضلا عن تحققها بمن سلف منهم في الماضي، إذ لا يكون التحذير من الحدث المنصرم لنفس الحدث، إلا لما سيتجدد منه مستقبلاً، وزيادة على ذلك: هو استعمال أداة الشرط (إذا) وهي تستعمل مع ما سيقع، ولا محالة

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، ط٤: ٢٠٠٦م، ٥٧.

(٢) نهج البلاغة، ٢١٤.

(٣) م، ن، ١٤٢.

منه، أو هو راجح الوقوع، كما أكدّه سيبويه بقوله: ((إن "إذا" تجيء وقتاً معلوماً، ألا ترى أنّك لو قلت: "أتيتك إذا احمرّ البسر" كان حسناً، ولو قلت: "أتيتك إن احمرّ البسر"، كان قبيحاً. فإنّ "أبداً" مبهمة، وكذلك حروف الجزاء))^(١)، وقد سماها المبرد: (المؤقتة) لأنها معلومة، وواقعة لا محالة،^(٢) وهنا حولت زمن الأفعال الماضية التي جاءت بعدها: (استدرج، استغلق، أنكر، استعظم، هوّن، حذر، أمّن) إلى زمن المستقبل فضلاً عن دلالة التحقق.

إن أزمنة الأفعال المنسوبة للشيطان-في النص- جاءت كلها بالزمن الماضي الصرفي، ولكنها دلت على المستقبل، وهذه الدلالة الجديدة تم اكتسابها من طريقين الأول: ما يسمى بالزمن الشرطي^(٣) بالنسبة للأفعال التي جاءت شرطية بـ(إذا)، الثاني: الزمن النحوي بالنسبة للأفعال التي فهمت من دلالة سياق القول أي: من دلالة موضوعي الوصية والتحذير. وهناك أمثلة أخرى بهذا الصدد.^(٤)

ثانياً: الجمل الفعلية بصيغة المضارع:

الأصل فيها الدلالة على وقوع الحدث في الزمن الحال أو الاستقبال أو الاستمرار من الماضي الى الحاضر والمستقبل^(٥)، وإفادة التجدد شيئاً بعد شيء، فـ((تحقق فائدة الجملة الفعلية يقتضي أن يكون فعلها مضارعاً، فإذا كان ماضياً دل على شيء انقطع ولا استمرار فيه))^(٦) وقد وردت منها في النصوص بتكرار (١٩٦) جملة أي بنسبة ٢٩% من مجموع الجمل الفعلية، ومن الدلالة على المستقبل ما جاء في وصف يوم القيامة وعالم الجزاء، كما يتبين في الأمثلة الآتية:

(١) الكتاب، (كتاب سيبويه)، ٦٠/٣، ينظر: الزمن واللغة، مالك المطلبي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م، ٧٩.

(٢) ينظر: المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبدالخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، - مصر، د.ط: ١٩٩٤م، ٥٤/٢.

(٣) ينظر: في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي، د. مالك المطلبي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م، ٤١٥.

(٤) ينظر: نهج البلاغة، ٣٨٦-٣٨٧.

(٥) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ١٢٥.

(٦) الفعل زمانه أبنيته، د. ابراهيم السامرائي، ١٩٦٦م، ٢٠٤، ٢٠٥.

١- في وصف أهوال يوم القيامة قوله (ﷺ): ((فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ))، وَتُظْلَمُ لَهُ الْأَقْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ))^(١)، أي ستشخص فيه الأبصار، وستظلم له الأقطار...

٢- في وصف الجنة قوله (ﷺ): ((وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)) مِنْ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيهَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ))^(٢)، فالجمل المضارعة (يجعل....، يخلده....، ينزله....) أفادت تعيين زمنها للمستقبل بدلالة وصف الأحداث التي ستقع مستقبلا في الجنة، فضلا عن دلالة اسم الشرط (مَنْ) للاستقبال^(٣).

٣- في وصف يوم الحساب قوله (ﷺ): ((اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخُرُ لَهُ الذِّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ))^(٤)، إن الجملتين الفعليتين؛ (تذخر...)، و(تبلى...) جاءتا بصيغة المضارع والأولى منهما دللت على وقوع الحدث في الحال والاستمرار؛ لأن إِدْخَارَ الذخائر ليوم الحساب يكون في الدنيا ((وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ))^(٥)، بينما الجملة الثانية دللت على ما سيقع في المستقبل؛ لأن كشف السرائر مخصص بيوم الحساب وقد أكد ذلك تقدم الظرف (فيه) على نائب الفاعل (السرائر) للتخصيص.

وقد يُعَبَّرُ عن الزمن الماضي بصيغة المضارع لأجل ملمح بلاغي وإضفاء تأثير معين على المتلقي عبر نقل صورة الماضي وجعلها حاضرة لدى المتلقي، ولكن ذلك لا يتأتى إلا بقرينة صارفة إلى الحدث الماضي، كما جاءت في وصف عالم الخلق.

١- في خلق السماوات السبع قوله (ﷺ): ((ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اغْتَقَمَ مَهَبَهَا،...، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرْدُّ أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ، وَسَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ ... فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ))^(٦)،

(١) نهج البلاغة، ٤١٤، و [سورة إبراهيم، جزء من الآية: ٤٢].

(٢) م، ن، ٣٥٤، [سورة الطلاق، جزء من الآية: ٢].

(٣) ينظر: معاني النحو، ٣/ ٣٠٩.

(٤) نهج البلاغة، ٢٣٤.

(٥) م، ن، ١٠٤.

(٦) م، ن، ٤٦.

إذ جاءت جملة (تَرَدُّ أَوَّلَهُ ...) بصيغة المضارع، لوصف ما حدث في الزمن الماضي من خلق السماوات فأضافت عليها دلالة التجدد والاستمرار، وهذا الاستعمال فيه إثارة المتلقي بالإحياء بالحيوية والانفعال، ما لا يكون بصيغة الماضي (رَدَّتْ...)، وكأنَّ الحدث حاضرٌ ومستمرٌ، وفيه تعظيم لأمر خلق الله تعالى وجليل صنعه.

٢- وفي نحو الأرض وثباتها على الماء قوله (الْعَلِيُّ): ((كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحَلَةٍ، وَلَجَجَ بَحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَادِي أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ مُتَقَانِفَاتٍ أَتْبَاجِهَا، وَتَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاظِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَأْكُلِهَا))^(١)، فقد جاءت من الجمل بصيغة المضارع (تلتطم...، تصطفق...، ترغو...) على وصف حدث في الزمن الماضي وهو نحو الأرض وانبساطها على الماء، فألمحت بإحياء التجدد والاستمرار وكأنما المبدع ينقل المتلقي بخياله إلى ذلك الزمن ويجعله حاضراً شاهداً على الحدث، معاشياً له؛ لإضفاء طابع التعظيم للأمر، وبالتالي تعظيم الصانع جلَّ وعلا.

٣- وفي صفة خلق آدم (الْعَلِيُّ) قوله (الْعَلِيُّ): ((ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانٍ يُجِيلُهَا، وَفَكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحٍ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا))^(٢)، فالجمل الفعلية مضارعة الأفعال: (يُجِيلُهَا)، (يَتَصَرَّفُ)، (يَخْتَدِمُهَا)، (يَقْلِبُهَا)، جاءت في وصف ما جرى في بداية نفخ الروح لآدم (الْعَلِيُّ) قبل آلاف السنين، فالوصف للحدث الماضي بإفادة دلالة السياق التاريخي، ولكن دلالة الصيغة المضارعة أضافت معنى التجدد والاستمرار لهذه الأفعال، إحياءً باستمرارها وتجديدها مع نسله وذريته؛ لأنهم من سنخ خلقته وطبيعة تكوينه، فضلاً عن إحياء الاستمرار معه طيلة عمره. وغيرها من الأمثلة قد وردت في النصوص.

(١) نهج البلاغة ، ١٧١.

(٢) م، ن، ٤٩.

القسم الثاني: الجمل الاسمية:

تبين من خلال الجدول السابق قلة استعمال الجمل الاسمية في نصوص البحث، إذ جاءت بتكرار (١٧٤) مرة أي بنسبة (٢٠,٥%) من مجموع النصوص، وقد توزعت على الموضوعات حسب الأرقام الآتية:

العوامل	الخلق	البرخ	الجن	الملائكة	الجنة	جهنم	المجموع
تكرار الجمل الاسمية	١٥	٥٨	٢٣	٣٠	١٢	٣٦	١٧٤

سبق أن تم الكلام عن الجمل الاسمية وما فيها من فائدة الدلالة على ثبوت المعنى به للشيء من غير اقتضاء التجدد فيه شيئاً بعد شيء^(١)، وعلى أساس هذه الملاحظة -أي عدم التجدد- رفض بعض المحدثين تحديد الجملة على أساس ما يبتدئ بها، إذ رفضوا قول ابن هشام بأن الجملة ((الاسمية هي التي صدرها اسم، كزيد قائم،... والفعلية هي التي صدرها فعل، كقام زيد))^(٢)، لأنه يقوم على أساس من التفريق اللفظي المحض باقتضاره على ملاحظة صدر الجملة فقط،^(٣) بل ينبغي ملاحظة عجزها أيضاً؛ وذلك أن ((تَحَقُّقُ فائدة الجملة الاسمية يقتضي أن يكون الخبر فيها مفرداً أو جملة اسمية، فإذا كان جملة فعلية فعلها مضارع فإنها تفيد التجدد وتخرج عن الثبوت))^(٤)، ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن الجملة الاسمية ((هي التي يدلُّ فيها المسند على الدوام والثبوت أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافاً ثابتاً غير متجدد، أو بعبارة أوضح: هي التي يكون فيها المسند اسماً))^(٥) فالعلة في جواز الخبر جملةً هي تضمنها معنى الحكم المطلوب في الخبر كتضمن المفرد له^(٦)، وعلى هذه الرؤية يمكن تناول الجمل التي بدأت بالاسم في نصوص البحث على قسمين: ما خبرها جملة فعلية -تفيد التجدد-، وما خبرها اسم -يفيد الثبوت-.

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٧٤.

(٢) مغني اللبيب، ٤٩٠/٢، وينظر: في النحو العربي: نقد وتوجيه، ٣٩.

(٣) ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ٣٩.

(٤) جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١٢: ١٩٦٠م، ٧٢، ٧٣، وينظر: معاني النحو،

(٥) في النحو العربي، نقد وتوجيه، ٤١-٤٢.

(٦) ينظر: شرح الكافية الشافية، ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود،

منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ٢٠٠٠م، ٩١/١.

أولاً: ما خبره جملة فعلية (تفيد التجدد):

١- كما في قوله (عليه السلام): في علة خلق آدم (عليه السلام) من الطين: ((...ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختبار لهم ونفياً للاستكبار عنهم وإبعاداً للخيلاء منهم، فاعتبروا...))^(١)، فالجملة الاسمية المكونة من اسم لكن: (الله) وخبرها: الجملة الفعلية (يبتلي خلقه) تفيد دلالة حدوث ابتلاء الله تعالى خلقه بما يجهلون علته، وتجدد شيء بعد شيء، وبذلك يوحى إلى المتلقي بأهمية هذا الابتلاء وأنه يسري على كل الخلق مهما تقدم الزمان، فينبغي منهم الانتباه إلى مظانّه، وعدم الوقوع فيما وقع فيه إبليس من الاستكبار والخيلاء، فالابتلاء مستمر، وغير منقطع كما لو كان بصيغة الماضي (ابتلى) كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤] فالآية الشريفة تفيد انقطاع حدث الابتلاء من النوع الذي ابتلى به إبراهيم (عليه السلام)، وكذلك لم يجعلها اسمية كصيغة (مبتلى): اسم فاعل، - وهو يصدق على الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٩]- وإن كان فيها من دلالة ثبوت الصفة للفاعل -الله تعالى- ما يُعْظَم شأن قوته وجبروته في الابتلاء، إلا أن الاهتمام هنا وقع على جهة الفعل والمفعول به؛ أي: الاهتمام ببيان تجدد فعل الابتلاء، والاهتمام ببيان قابلية المفعول به -الخلق- على قبول الابتلاء، وهذه الفائدة تدعم رأي المحدثين في عدّهم هذا النوع من الجمل فعلية، لأن دلالتها التجدد، لا الثبوت.

وسبب اختيار الإمام (عليه السلام) توجيه الاهتمام إلى الفعل والمفعول دون الفاعل، يكشفه لنا مناسبة النص وسياق المقام، إذ النص في معرض قصة السجود لآدم (عليه السلام) وبيان سقوط إبليس في الابتلاء، وطلب العبرة من ذلك^(٢)، وكذلك بيان رفعة مقام الملائكة بنجاحهم في الابتلاء، أي أن الكلام في الخلق وتجدد أحوالهم وابتلاءاتهم، وقصد المبدع التنبيه والتحذير وطلب العبرة، وليس مقام تعظيم البارئ جل وعلا اسمه، بثبوت الصفات له.

٢- ومثله في وصف تكريم المتقين قوله (عليه السلام): ((قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ))^(٣)، فالجملة مكونة اسم زال: (الكرامة)، والخبر جملة فعلية

(١) نهج البلاغة، ٣٨٣.

(٢) فتكملة هذا الكلام مباشرة قوله (عليه السلام): ((فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس...)): م، ن، ٣٨٣.

(٣) م، ن، ٣١٧.

من الفعل والفاعل المضمر: (تتمادي)، قد أفادت دلالة حدوث الكرامة للمتقين وتجده شيئاً بعد شيء، ويُفهم منه قصد المبدع (ﷺ) وهو مدح حال المتقين، وحمل المتلقي على التشويق له.

٣- ومثله في وصف عمل الشيطان، قوله (ﷺ): ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرْقَهُ))^(١)، فالجملة المنسوخة تتألف من اسم إنَّ: (الشيطان)، وخبرها: (يُسَنِّي) -بمعنى يُسهِّل- وهي جملة فعلية مضارعة مؤلفة من الفعل (يُسَنِّي) والفاعل المضمر، والمفعول به (طُرْقَهُ)، وتدل على تجدد فعل الشيطان واستمراره بتسهيل طرقه الخبيثة في إيقاع الناس بما يضرهم، فاهتمام المبدع منصب بالفعل وتجده، وسياق الموقف يبرر ذلك فقد كان هذا الكلام في موقف الرد على المشككين في أمر قبول التحكيم من قِبَل الإمام (ﷺ) في معركة النهروان، والكلام ليس في مقام ذم الشيطان واتصافه بالفعل.

وأما ما جاءت خبرها جملة فعلية في الزمن الماضي فقد أفادت تحقق الحدث، كما في وصف عبادة إبليس في قوله (ﷺ): ((وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ))^(٢)، فالجملة المكونة من اسم كان: الضمير المستتر (هو) العائد لإبليس، وخبرها الجملة الفعلية الماضية: (عَبَدَ الله)، أفادت دلالة تحقق العبادة، وأفادت انقطاع هذه العبادة، تنبيهاً للمتلقي إلى عدم الاستهانة بالمعصية الواحدة كما حدث لإبليس بعدم خضوعه لأمر الله تعالى بالسجود لآدم (ﷺ)، فرغم هذه العبادة الطويلة، إلا أن الله تعالى أحبطها جميعاً بمعصية واحدة منه، وانقطعت ولم تتجدد.

ومن وصف أهل البرزخ وعجزهم عن أداء أي فعل قوله (ﷺ): ((وَلَكِنَّهُمْ سُفُّوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا، وَبِالسَّمْعِ صَمًّا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا))^(٣)، فالجملة المكونة من اسم لكن: الضمير (هم) العائد للموتى، وخبرها الجملة الفعلية الماضية: (سُفُّوا) -كناية عن الموت-، أفادت دلالة تحقق الحدث، فتغيُّر حالتهم من النطق الى الخرس أي من الحياة إلى الموت إنما هو حدثٌ وقع وانقطع وليس مما يتجدد لهم. وغيرها من الأمثلة على هذه الشاكلة من التركيب^(٤).

(١) نهج البلاغة ، ٢٣٦.

(٢) م، ن، ٣٨٣.

(٣) م، ن، ٤٥٢.

(٤) كقوله (ﷺ): ((فَكَلَا الْعَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاةٍ، فَآتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ)) نهج البلاغة ، ٤٥٢، و((أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ)): م، ن، ٣٩٤.

ثانياً: ما خبره اسم مفرد، (يفيد ثبوت الصفة):

١- كما في قوله (عليه السلام): ((ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَ الْأَجْوَاءَ، وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ، وَسَكَنَكَ الْهَوَاءَ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَكِّمًا رِخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مِثْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَالزَّرْعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتَيْقٌ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ))^(١). فالجملتان الاسميتان ومبتدؤهما (الهواء)، (الماء)، جاء خبرهما من الاسم المفرد: (فتيق)، (دفيق)، أفادت ثبوت الصفة للمبتدئين ودوامها دون تجدد أو انقطاع اهتماماً بهما، والتصاق الصفتين بهما.

٢- ومثله في مدح أهل الجنة وعلة تكريمهم بنعمها قوله (عليه السلام): ((الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَكِيَّةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوَحُّشًا وَانْقِطَاعًا))^(٢)، فالجمل المنسوخة بـ(كان) والتي أسماؤها هي: (أعمالهم)، (أعينهم)، (ليلهم)، (نهارهم)، جاء خبر كل منها أسماً مفرداً: (زاكية)، (باكية)، (نهاراً)، (ليلاً)، أفادت ثبوت معنى هذه الأخبار لمبتدئاتها، ويلاحظ أن اختيار ثبوت المعاني للأخبار جاءت مع مقام مدح أهل الجنة، وخلعت عليهم الصفات الثابتة، ما كَشَفَ قصد المنشئ بتسليط الاهتمام على الموصوفين، والتصاق الصفات بهم.

٣- وفي التحذير من عذاب جهنم، قوله (عليه السلام): ((وَاتَّقُوا نَارًا حَرًّا شَدِيدًا، وَقَعْرَهَا بَعِيدًا، وَحُلِيِّهَا حَدِيدًا، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ))^(٣) فالجمل الاسمية التي مبتدأتها: (حرها)، (قعرها)، (حليتها)، (شرابها)، جاءت أخبارها أسماء مفردة، وهي: (شديد)، (بعيد)، (حديد)، (صديد)، أفادت ثبوت هذه الصفات للمسند إليه (المبتدأت)، فَعَاضَدَتْ المقام الموحى برهبة نار جهنم؛ إذ أثبتت الصفات للموصوفين: الشدة لحر النار، والبعد لعمقها، ودوام الوثاق بالحديد، ودوام شراب الصديد.

(١) نهج البلاغة ، ٤٦ .

(٢) م، ن، ٣٧٦، ٣٧٧ .

(٣) م، ن، ٢٣٤ .

المطلب الثاني: التقديم والتأخير في الجمل:

الجمل مؤلفة من ألفاظ -العمدة والفضلة- ويعرض لهذه الألفاظ تغيرات في أحوالها من تقديم، وتأخير، وتعريف، وتكثير، وحذف، وغير ذلك، وعلم النحو درس هذه الأحوال من حيث الصحة وعدمها، والأنواع والأقسام، والوجوب والامتناع، والجواز وعدم الجواز، أما علم البلاغة فقد درس هذه الأحوال من حيث مطابقتها لأحوال السامعين - كما مر في تعريف علم المعاني - أي وقوعها مطلباً بلاغياً يقتضيه المقام، وتدعو إليه الحال.^(١) وفي نصوص البحث يبرز منها التقديم والتأخير، وبأنماط معينة؛ ذات خصائص مميزة.

وكما تبين آنفاً أن تأليف الجملة العربية يظهر ((بصورتين تبعاً للمسند: فعل مع اسم، واسم مع اسم. وبالتعبير الاصطلاحي فعل وفاعل أو نائبه، ومبتدأ وخبر نحو: أقبل سعيد، وسعيد مقبل، وكل التعبيرات الأخرى إنما هي صور أخرى لهذين الأصلين))^(٢)، وهذه التراكيب ليست ثابتة دائماً بل تُخالف، فيُقدّم ما كان حقه التأخير، ويُؤخّر ما كان حقه التقديم، وقد فصل النحاة في ذكر مواضع محدّدة لوجوب هذه التراكيب، وامتناعها في أخرى أي مخالفتها الترتيب الأصلي، وذلك لطبيعة التركيب النحوي؛ إذ توجب تقديم ما كانت رتبته الأصلية التأخير،^(٣) وهذا التركيب الجديد ((يفقد بذلك طابع التجوز ويعتبر من مكملات نظام الترتيب الأصلي في عناصر الكلام))^(٤)، وفيما عدا هذه المواضع يكون التقديم والتأخير جائزين، وهما عند البلاغيين لغرض من الأغراض البلاغية، وميدان الكشف عن القيمة الدلالية والنفسية في العمل الأدبي، إذ كانت موضع عناية فائقة من لدن عبدالقاهر الجرجاني^(٥) والذي وصفه بأنه ((باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بدية، ويفضي بك إلى لطيفة))^(٦)، وكما عده ابن جني من شجاعة العربية.^(٧)

(١) ينظر: البلاغة الصافية، حسن إسماعيل الجناحي، نشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، ط ١/٢٠٠٦م، ٨٨

(٢) معاني النحو، ١/ ١٥، وينظر: أساليب بلاغية، ١٤٠.

(٣) كتقديم الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام، أو خيف التباس المبتدأ بالخبر، أو إذا كان المبتدأ مقترناً بلام الابتداء، أو المبتدأ محصوراً بإنما وغيرها، ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ١/ ٢٣٢ - ٢٤٣.

(٤) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية التونسية، ١٩٨١م، ٢٨٣.

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ١٨٨.

(٦) دلائل الإعجاز، ١٠٦.

(٧) ينظر: الخصائص، ٣٥٤.

وإن كانت حالات وجوب التقديم والتأخير يمكن حصرها -كما ذكرها النحاة-، إلا أنه من العسير حصر الحالات التي لا توجب التغيير؛ فهي كثيرة، وبحسب ما يقتضيه المقام وسياق القول، ويكون ذلك لأغراض كثيرة ذكرها أهل المعاني،^(١) يمكن تقسيمها على مجموعتين رئيسيتين الأولى: الاقتضاء الصوتي؛ أي: تغيير الترتيب للتخلص من الثقل الحاصل في بعض التراكيب، أو لرعاية الفاصلة الصوتية^(٢)، الثانية: الأهداف المعنوية، و((رغم أن الفصل بين المقتضيات الصوتية والأهداف المعنوية ليس هينا دائما، إذ قد يطرأ التغيير وله بهذه الأهداف سبب وبتلك المقتضيات [سبب] آخر))^(٣). وقد توزعت بينهما حالات التقديم والتأخير في نصوص البحث.

القسم الأول: المقتضى الصوتي: وبرز فيه التقديم والتأخير مفاداً منه رعاية الفاصلة.

أولاً: اختيار تقديم الفصلة على العمدة وفيه عدة أنماط:

١- تقديم المفعول به على الفاعل: كما في قوله (الْعَلِيُّ) في خلق آدم (الْعَلِيُّ): ((ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رَوَاؤُهُ وَطِيبَ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ، لَفَعْلٌ))^(٤) في النص ثلاث جمل فعلية أفعالها: (يَخْطَفُ)، (يَبْهَرُ)، (يَأْخُذُ)، وقد تم تقديم مفاعيلها: (الْأَبْصَارَ)، (الْعُقُولَ)، (الْأَنْفَاسَ)، على فواعلها: (ضِيَاؤُهُ)، (رَوَاؤُهُ)، (عَرْفُهُ)، وإن كانت العناية بالمتقدم لها نصيب من فائدة التقديم، إلا أن لرعاية الفاصلة النصيب الأكبر؛ إذ تم توافق فواصل الجمل من خلال قوافي الفواعل الثلاثة المتأخرة، ولو كانت الجمل على الترتيب الأصلي لكان في نُطْقِهِ شيءٌ من اختلال الإيقاع على اللسان، كقولنا: (يَخْطَفُ ضِيَاؤُهُ الْأَبْصَارَ/ وَيَبْهَرُ رَوَاؤُهُ الْعُقُولَ/ وَطِيبَ يَأْخُذُ عَرْفُهُ الْأَنْفَاسَ)، فضلاً عما إذا كان هناك فائدة معنوية.

ومثله في خلق السموات السبع قوله (الْعَلِيُّ): ((حَتَّى عَبَّ غِبَابُهُ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامَهُ))^(٥) إذ تم تقديم الفصلة (بالزبد) وهو مفعول به -متعدي بحرف الجر- على العمدة (رُكَامَهُ) وهو

(١) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ٢٨٣، والتعبير القرآني، ٥١ - ٥٢، أساليب بلاغية، ١٧٢.

(٢) ينظر: م، ن، ٢٨٦.

(٣) م، ن، ٢٩٠.

(٤) نهج البلاغة، ٣٨٣.

(٥) م، ن، ٤٧.

الفاعل والضمير المتصل به يعود على لفظ سابق: (موج البحار)، فتوافقت الفاصلتان بالوزن (فُعَالُهُ: عُبَابُهُ، رُكَامُهُ) فضلا عن توافق المقطع الصوتي الأخير: /ص ح ص/ ^(١).

٢- تقديم المتعلقات على الفاعل: كما في وصف أهوال يوم القيامة في قوله (الْعَلَّامُ): ((في يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ))، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ، وَتُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ)) ^(٢)، إذ تم تقديم المتعلقات: (فيه)، و(له)، و(فيه) على فواعلها: (الأبصار)، (الأقطار)، (العشار)، وقد أفاد توافق الفواصل على روي (الراء) وعلى المقطع الصوتي الأخير: /ص ح ح ص/ وهو الطويل المغلق موحيا بالامتداد والطول بما يناسب مع دلالة التعبير عن عظيم الهول في ذلك اليوم العصيب.

ومثله في قوله (الْعَلَّامُ): ((إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلِحَقِّ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبْدَتُهُ)) ^(٣) فقد تقدمت الفضلة: (بِجَلَائِلِهَا) على الفاعل: (القيامة)، فأفادت الفاصلة (مَهْ) رعاية الفاصلة التي قبلها (فَهْ) وهما من المقطع الصوتي: /ص ح ص/.

القسم الثاني: المقتضى المعنوي:

فالتقديم والتأخير تؤدي لطائف المعاني دون العامل الصوتي، وهذه المعاني هي طاقات تعبيرية جديدة تلحق المعاني الظاهرة فتزيدها تدقيقا وتأكيذا ^(٤)، وأبرز هذه الأغراض هو التخصيص، ثم بمرتبة أقل التأكيد، التذكير، التحذير، التشويق، وغيرها من الأغراض البلاغية ^(٥) وقد تمثلت منها في نصوص البحث موارد عديدة أهمها التخصيص.

أولاً: التخصيص:

وهو من أبرز الأغراض التي تؤديها الحركة الأفقية للتركيب كتخصيص المسند إليه بالمسند أو العكس، وتخصيص الفضلة بالعمدة أو بالفضلة، كما توضحه الأمثلة الآتية:

١- قوله (الْعَلَّامُ): ((ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِنْسَانٍ سَمَآوَاتِهِ، وَعِمَارَةَ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا، وَبَيَّنَّ

^(١) اعتبار المقطع الأخير للفاصلة: (بُهْ - مَهْ) /ص ح ص/، على تقدير تسكينهما، وليس وصلهما.

^(٢) نهج البلاغة، ٤١٤، و [سورة إبراهيم، جزء من الآية: ٤٢].

^(٣) م، ن، ٤٦٠.

^(٤) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات، ٢٨٦.

^(٥) ينظر: التعبير القرآني، ٥١.

فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ، وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبْحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا))^(١)، فقد تم تقديم خبري الجملتين الاسميتين (يَبْنَ)، و(وَرَاءَ)، وهما ظرفا مكان، على مبتدأيهما؛ (زجلُ)، (سبحاتُ)، أفاد الأول تخصيص صوت زجل الملائكة بالمكان المعين وهو (بين فجوات فروج الفجاج الواسعة في السماوات العلى) دون غيره من الأمكنة، وأفاد الثاني تخصيص سبحات النور القوية بمكان معين وهو (وراء صوت الرجيج القوي للملائكة).

٢- وقوله (ﷺ): ((جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ))^(٢)، تم تقديم الخبر (منهم) وهو جار ومجرور على المبتدأ: (زائع) وهو اسم فاعل، وقد أفاد تخصيص نفي الزيع بالملائكة جميعا على سبيل الحقيقة، لأنَّ لا جنس غيرهم معصوم عن الزيع بجميع أفراده.

٣- وفي قوله (ﷺ): ((وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِيَّاهُ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ))^(٣) تم تقديم خبري الجملتين الاسمتين: (في أطباق)، (عليه) وهما شبهتا جملة -جار ومجرور- على مبتدأيهما: (موضع)، (ملك)، أفاد الأول تخصيص نفي أي موضع خالٍ من الملائكة، تخصيصه بأطباق السماء، وأفاد الثاني تخصيص الملك الساجد أو الساعي الحافد بموضع الإهاب، فتكاملت الصورة بتخصيص هذا النوع من الملائكة في كل موضع في أطباق السماء.

٤- ومن وصف منازل عالم البرزخ قوله (ﷺ): ((فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كُنُودًا، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا))^(٤) فخير الجملة الاسمية المنسوخة (أمامكم) وهو ظرف يفيد المكان والزمان، قد تم تقديمه على اسمه النكرة المخصصة (عقبة

(١) نهج البلاغة، ١٦٦.

(٢) م، ن، ١٦٧.

(٣) م، ن، ١٧١.

(٤) م، ن، ٤٢٨.

كؤودا) ومعطوفه: (منازل...)، وقد أفاد تخصيص هذه العقبة ومعطوفها أمام المخاطبين زمانا ومكانا، فلا محيد عنها، وتأکید ذلك جاء في الجملة التي بعدها (لا بُدَّ من الورد عليها، والوقوف عندها) ما يعكس أهميتها وخطورتها، وفائدة أخرى وهي التنبيه على أن الظرف (أمامكم) خبر للاسم وليس نعتا له، فالترتيب (إن عقبة كؤودا أمامكم لا بد من الورد عليها) قد يُنصّر منه أن الظرف نعت، والجملة (لا بد ...) خبره.

٥- ومن الكلام في البعث من القبور قوله (ﷺ): ((حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النَّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ... رَعِيْلًا صُمُوتًا قِيَامًا صُفُوفًا، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لُبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ))^(١) إذ إنَّ تقديم الخبر (عليهم) على مبتدئه (لبوسُ الاستكانة) قد أفاد تخصيص لبوس الاستكانة على المُبعثين من القبور يوم القيامة، وليس لغيرهم نصيب من ذلك، وهذا فيه زيادة الدلالة على خطورة الأمر.

ثانيا: التقديم للاهتمام والعناية:

إن لتقديم الألفاظ بعضها على بعض أسبابا متعددة قد تقتضيه السياقات، فما كانت به عناية المتكلم أكبر قدمه في كلامه حسب مقتضيات الأحوال^(٢)، ومن أسباب العناية وفوائدها: التوكيد، والتحذير، والتنبيه، وغيرها بحسب المقام، ومن الأمثلة التي وردت ويُفهم منها العناية والاهتمام، هي الآتية:

١- التذكير: كما في قوله (ﷺ): ((فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ))^(٣)، فقد تقدم خبر إن: (وراءكم)، على اسمه: (الساعة)، وقد أفاد التذكير بسوق الساعة للإنسان، واختلف الشراح في تفسير معنى الساعة، وكيف تكون وراء الناس؟ فمنهم من رأى بأن مقصود الساعة هنا الموت؛ لأن الإنسان يَنْفِرُ منه فكأنه وراءه، وأما الغاية في الأمام أي: الجنة والنار^(٤)، وذكر الشارح الخوئي أن الساعة مقصودها هنا هي ساعات الليل والنهار، وأما الاعتبار الذي صح أن تكون وراء الناس رغم كونها منبسطة على مدى العمر وانقسامها إلى

(١) نهج البلاغة، ١٣٦، ١٣٧.

(٢) ينظر: التعبير القرآني، ٥١ - ٥٢.

(٣) نهج البلاغة، ٧٥.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ١ / ٣٣٠ و ٣٣١.

الماضي والاستقبال، فلأنها بانقضائها شيئاً فشيئاً يكون الإنسان بعيداً من المبدأ قريباً إلى المنتهى، فتكون بمنزلة السائق للناس إلى الغاية التي أمامهم أي الموت بدلالة قوله "تحدوكم"؛ كما أن الحادي من شأنه أن يكون وراء ما يَحْدِيهِ وَيَسُوِّفُهُ، وقد استحسن أن يكون علة تقديم الخبر "وراءكم" لمزيد الاهتمام به وزيادة الإشعار بهذا السرِّ الخفيِّ على الجهال الذين ينظرون إلى ما بقي من عمرهم والساعات الباقية أمامهم غير ملتفتين إلى ما مضى منها خلفهم، والتنبيه على أن ما يَحْسَبُونَهُ أمامهم هي في الحقيقة وراءهم تحدوهم بانقضائها ساعةً بعد ساعة^(١).

ومن التذكير بمخوفات عالم البرزخ، قوله (عليه السلام): ((سَلُكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ))^(٢)، إذ تم تقديم الجار والمجرور: (في بطون البرزخ) على المفعول به: (سبيلاً)، ودلالة سياق المقام يفيد بأن المقام هنا مقام تذكير للمخاطبين بأحوال الموتى كاندثار معالم أجسادهم، وخمود أنفاسهم، إذ كان كلام الإمام (عليه السلام) رداً على المتفكرين بأموالهم^(٣).

٣- التأكيد: كما في وصف الملائكة، في قوله (عليه السلام): ((وَتَمَكَّنْتُ مِنْ سُودَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةً خِيفَتِهِ))^(٤)، إذ تم تقديم الفضلة: (من سوداء قلوبهم) وهو مفعول به بحرف الجر، على فاعله: (وشيجة خيفته) -الضمير المتصل الهاء يعود على لفظ الجلالة-، وقد أفاد التأكيد على تمكن خيفة الله سبحانه من قلوب الملائكة؛ فسوداء القلب -عن الأصمعي-: ((هي علة سوداء في جوف القلب، إذا شقَّ القلب بدت كأنها قطعة كبِد))^(٥)، دلالة على مبالغة التمكن.

٤- تقديم ما هو سبب: كما في وصف الملائكة، في قوله (عليه السلام): ((فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ))^(٦)، إذ تم تقديم الفضلة: (بطول الطاعة) على المفعول به (اعتدال ظهورهم) وهو فضلة أيضاً، وقد أفاد العناية بالمتقدم لبيان كثرة عبادة الملائكة.

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٠١، ٣٠٢، وقال: الساعة ((سميت بها لأنها تسعى الناس بها كما سميت القيامة ساعة لأنها تسعى إليها بحركة جبليَّة وتوجه غريزي)).

(٢) نهج البلاغة، ٤٥٢.

(٣) ينظر: م، ن، ٤٥٠، و: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١١/ ٩٥.

(٤) نهج البلاغة، ١٦٩.

(٥) البارع في اللغة، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون (ت ٣٥٦هـ)، تح: هشام الطعان، نشر: مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، ط ١: ١٩٧٥م، ٦٩٩.

(٦) نهج البلاغة، ١٦٩.

٥- التشويق لمعرفة المسند اليه؛ وتمكينه في ذهن السامع^(١): كما في وصف الجنة، قوله (عليه السلام): ((فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورَاهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ))^(٢) فقد تم تقديم الأخبار: (ظليها)، (نورها)، (زوارها)، (رفقاؤها)، على مبتدأتها: (عرشه، بهجته، ملائكته، رسله)، فالمتقدم يثير تساؤلا وتشويقا في نفس السامع عن ماهية هذا الظل وهذا النور، ومن هم الزوار؟ ومن هم الرفقاء؟ فيفرغ ذهنه منتظرا ما يسره من أنباء؛ كقولنا: أتعلم من زوارك؟ إنهم الملائكة. ومن رفقاؤك؟ إنهم الرسل،^(٣) ما يدل على قصد الإمام (عليه السلام) تحريك ذهن السامع وإثارته نحو النعم الكبيرة التي تنتظر أهل الجنة، وتحفيزهم للعمل من أجل نيلها.

٦- التقديم للأهمية : كما في وصف أحوال الموتى في عالم البرزخ في قوله (عليه السلام): ((لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ اِزْدِيَادًا))^(٤)، فقد تم تقديم شبهي الجملة (عن قبيح)، و(في حسن) وهما فضلتان، على الجملتين الفعليتين (يستطيعون انتقالا)، (يستطيعون ازديادا)، وأفاد بيان أهمية المتقدم، فالتخلص من القبائح والسيئات، والتزود من الحسنات هما أهم مطلبين لأهل البرزخ، ويلاحظ في الجملتين أنهما لا تفيدان التخصيص فالجملة الأولى لا تخصص نفي استطاعة الموتى بالانتقال عن القبائح؛ فهم لا يستطيعون الانتقال لا عن هذه ولا عن غيرها، ولكن ما تم ذكره، لأهميته بالنسبة إليهم، وكذلك الجملة الثانية لا تخصص نفي استطاعتهم بالازدياد في الحسنات، فهم عاجزون عن الزيادة فيها وفي غيرها، ولكنها أهم ما يرجون زيادتها.

(١) ينظر: عروس الأقراح في شرح تلخيص المفتاح، ١/ ٢٣٢.

(٢) نهج البلاغة ، ٣٥٤.

(٣) أما كون أيهما المبتدأ ف((المبتدأ ما كان أعرف)): مغني اللبيب ٢/ ٥٠٣، فظل الجنة ليساً عرشاً لله تعالى، إنما العرش صار ظلّاً لأهل الجنة، وكذلك نور الجنة ليس بهجة الله، إنما العكس صحيح، وهكذا البقية.

(٤) نهج البلاغة، ٣٧٢.

الفصل الثالث

المستوى الدلالي

أهمية علم الدلالة:

يُعَدُّ علم الدلالة فرعاً من فروع اللسانيات الحديثة، ويهتم بدراسة المعنى دراسة وصفية موضوعية، وهو في أبسط تعريفاته: ((العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى))^(١)، فهو يدرس العلاقة التي تربط الدال بالمدلول، وفي التراث اللغوي العربي ومنذ القرن الهجري الأول اهتم أهل المُعْجَمَات بدراسة الدلالة لتحديد دلالة الألفاظ و((بات علماً أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح))^(٢)، أما البلاغيون فتناولوها في إطار انشغالهم بقضايا الحقيقة والمجاز^(٣)، انطلاقاً من تنوع العلاقات القائمة بين الدال والمدلول، فأفردوا لكل نوعٍ من العلاقات أغراضه وأركانها، تحت مسمى علم البيان: ((وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه))^(٤) وجاءت أبرز أقسامه الدلالية في مباحث التشبيه والاستعارة والكناية.

وعلى ما سبق من العلاقات بين الدال والمدلول، تم اختيار نوعين من هذه العلاقات لدراسة نصوص البحث عِبْرَهُمَا؛ فجاء هذا الفصل على مبحثين، الأول: علاقة المشابهة؛ ويتضمن مطلبين: الأول: التشبيه، والثاني: الاستعارة،^(٥) والمبحث الثاني علاقة التضاد، وكذلك على مطلبين: الأول: الطباق والمقابلة، والثاني: العكس.

(١) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط ٥: ١٩٩٨ م، ١١.

(٢) مبادئ اللسانيات، ٣٣٧.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط: د.ت، ١٣٥.

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢ / ٥.

(٥) إنَّ التشبيهات والاستعارات في نهج البلاغة عموماً، والعالم الآخر خصوصاً هي أكثر من أن تُحصى أو تُوضع لها جداول ذات نسب مُعَيَّنة في هذا المطلب -كما في بقية المباحث السابقة- فهذا المطلب يُعَدُّ جزءاً صغيراً من الرسالة، ومن الصعوبة الإلمام بهما هنا في هذه العُجالة، إلا في رسائل خاصة بهما، وقد تبَيَّن ذلك للباحث من خلال الاطلاع على نصوص النهج عامَّةً، ونصوص البحث خاصةً، وكما أكَّد غير قليل من الباحثين كثرة مجيء هذه الفنون في نهج البلاغة: ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦٥/١، و: الاقتباس والتضمن في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، كاظم عبد فريح الموسوي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة البصرة، ٢٠٠٦ م، ١٦٤، و: دور التشبيه الدلالي في نهج البلاغة، د. علي زيتون، مجلة المنهاج، العدد الثاني، د. ت، ٢٣١.

المبحث الأول: علاقة المشابهة:

المطلب الأول: التشبيه:

التشبيه في اللغة هو: التَّمثِيل، شَبَّهْتُ هذا بذاك، مَثَّلْتُهُ بِهِ ((وتشبيه الشيء بالشيء هو: أن تجمعهما صفة أو لون أو علة، إلا أنه ليس الشيء بعينه؛ لأنه لو كان هو الشيء بعينه لبطل التشبيه))^(١)، وفي اصطلاح البلاغيين هو ((بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام))^(٢).

وأداة التشبيه، هي كل لفظ يدل على معنى التشبيه، وهي إما أن تكون حرفاً أو تكون فعلاً، أو تكون اسماً، وأغراض التشبيه ذكرها البلاغيون، منها: بيان إمكان الشَّبه، والمقصود به هو: بيان أن وجود المشبه ممكن، ومنها بيان حاله وعلى أي وصف، أو بيان مقدار حاله شدة وضعفاً، صغراً وكبراً، أو لتقرير حال المشبه في نفس السامع وتقوية شأنه ما لا تجده في غيره، أو إظهار تزيينه والترغيب به، أو إظهار التشويه والتقبيح للتفجير، أو للاستطراف^(٣).

وللتشبيه قيمة بلاغية تضيف للكلام دلالات إضافية، قال الجرجاني: إنه ((يكسو المعاني أبهةً، ويكسبها شرفاً، ويرفع من أقدارها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ويستميل القلوب إليها، ويستثير لها من أقاصي الأفتدة صباغةً وكلفاً، ويجبر الطباع على أن تعطيها محبةً وشغفاً))^(٤)، فهو يبرز المعنى في صورة واضحة جليلة محسوسة مألوفة للنفس في عبارة موجزة قوية مؤكدة،^(٥) وذكر البلاغيون له أقساماً وتفصيلات باعتبارات متعددة أبرزها، ما كانت باعتبار الطرفين مفرداً أو مركباً؛ فهما إما مفردين، أو مركبين، أو أحدهما مفرد والآخر مركب، ومثلها من التقسيم على أساس المحسوس والمعقول للطرفين، وأمّا على اعتبار ذكر أداة التشبيه وعدم ذكرها؛ فُسم على مرسل ومؤكد، وعلى اعتبار ذكر وعدم ذكر وجه الشبه؛ فعلى مفصل ومجمل، وقد يكون وجه الشبه قريباً مبتدلاً أو بعيداً غريباً لعدم ظهور وجهه إلا بعد فكر وتدقيق نظر،

(١) الإبانة في اللغة العربية، ١ / ٣٨٨،

(٢) علوم البلاغة، محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، طرابلس لبنان، ط ١: ٢٠٠٣م، ١٤٣.

(٣) ينظر: عروس الأقراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢ / ٧٨، و: علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة

العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (د. ط): ١٩٨٢م، ١٠٥، والبلاغة الصافية، ١٨ - ١٩.

(٤) دلائل الإعجاز، ١٤٤.

(٥) ينظر: البلاغة الصافية، ٢١.

وكلما كان الشيء عن الوقوع أبعد كان أغرب فكان التشبيه حينئذ ألد وأعجب، والتشبيه البليغ ما لم يذكر فيه الأداة ووجه الشبه معاً وهو أقواها^(١)، وفي الأمثلة الآتية محاولات لتحليل أشكال التشبيه المستعملة في موضوعات العالم الآخر، وكيفية خدمتها للمعاني، ثم محاولة قراءة مقاصد الإمام (عليه السلام): من وراء هذه الأساليب.

أولاً: في وصف الملائكة:

من وصف أحوال الملائكة جاء قوله (عليه السلام): ((مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلْحِ، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَخِ، وَفِي قُتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيِّهِمْ))^(٢)، فالطرف المشبه هو من المعقولات وهو صنف من الملائكة^(٣)، والمُشَبَّه به ثلاثة أشياء محسوسة: الغمام الدُّلْح-الثقيلة-، والجبال الشُّمَخِ، وقُتْرَةُ الظَّلَامِ الأيِّهِم-مكان شديد الظلام-، وجاء التشبيه دون ذكر أي أداة للتشبيه ولكنها مقدرة بالحرف (الكاف) أو الاسم (مثل) بإفادة القول: "في خلق، وفي عظم، وفي قُتْرَة" أي: "مثل خلق ومثل عظم..."، وأوجه الشبه وقعت في: الخَلْقَة، والعِظَم، والقُتْرَة، وأما من جهة قرب وجه الشبه أو بعده، فيبدو قريباً^(٤)، لأنه يُفهم من الصفات التي وردت للمشبَّهات بها، وهي "الدُّلْح" أي: ثقيل بكثرة مائه، و"الشُّمَخ" أي: العاليات، و"الأَيِّهِم" أي: شديد الظلام^(٥)، فوجه الشبه هو تفخيم الصفة ومبالغتها سواء بالحجم أم الكثافة أم اللون، فهذا الصنف من الملائكة لها من الصفات الفخمة في عالمها المجرَّد ما تُضاهي هذه الصفات الواردة للمشبَّهات بها الحسية في عالم الدنيا وتُشَبِّهها، وهذا الوجه يقتضي كون المشبه به أخص بوجه الشبه من المشبه له، أو مساوياً له حقيقة أو ادعاءً^(٦) والغرض هنا بيان مقدار حال الشبه، لمَّا كانت الملائكة غائبة عن إدراك

(١) ينظر: علم البيان، ٨٦، وينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٦٦/١.

(٢) نهج البلاغة، ١٦٨.

(٣) على اختلاف النظريتين في جسمية الملائكة وعدم جسميتها: ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٤٨/٦، ففي كلتا الحالتين هي من المعقولات بالنسبة للبشر إذ لا ندركها حساً.

(٤) من ظاهر المعاني يبدو وجه الشبه قريباً، ولكن من الشُّراح مَنْ ذهب بعيداً وتردَّد بين هذا الوجه وبين القول: أنهم ثلاثة أصناف من الملائكة المعنيتين بتدبير الشؤون التكوينية وهم: زواجر السحاب والمطر، وحفظة الجبال، وسكنة الظلام لهداية الخلق وحفظهم: ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣٨٧/٦، ٣٨٨.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٤٤٦/٦، و: م، ن، ٣٨٨/٦.

(٦) ينظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣هـ)، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب بيروت، لبنان، د:ت، ١٨٩/٢.

الناس، أفاد تشبيه الإمام (عليه السلام) للملائكة ببيان مقدار عظمتهم، وفيه ميزة تعدد المشبه به لمشبه واحد، ما يعكس كون طبيعة المشبه ثريةً بالمدلولات، والتي قد لا يمكن احتواؤها بدلالة مشبه به واحدٍ ومألوف، وكثيراً ما كان (عليه السلام) يصور الملائكة بالعظام من المحسوسات؛ انتقالاً من تعظيمهم إلى تعظيم صانعهم؛ فال مخلوق مهما زاد العلم بعظمته؛ زاد العلم بعظمة خالقه.

وبتلو هذا الكلام ذكرُ صنفٍ آخرٍ من الملائكة وهو قوله (عليه السلام): ((وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تَحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ))^(١)، إذ تم تشبيه أقدام صنفٍ من الملائكة ((بأعلام بيض قد نفذت في مخارق الهواء وأراد بها المواضع التي تمكنت فيها تلك الأعلام بخرق الهواء))^(٢) واستعمل أداة التشبيه (الكاف): "كرايات" وذكر الشارح البحراني أن وجه الشبه فيه من ((وجهين: أحدهما: في البياض فإنَّ البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر والسواد، كذلك علومهم صافية من كدورات الباطل وظلمات الشُّبّه. الثاني: في نفوذها في أجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء))^(٣)، والتشبيه تمثيلي فوجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، فالمشبه "أقدامهم الخارقة..."، تُشبه الرايات البيض حال كونها قد نفذت في مخارق الهواء.

إنَّ كَوْنَ المُشَبَّه - الملائكة - من المعقولات، وهي غريبة عن عالم الإنسان؛ فتُناسبها أن تُشَبَّه بالمحسوسات مراعاة بالمتلقي الجاهل بالموضوع، والقاصر عن إدراك ماهية هذه العوالم، ((لأن ألفة الناس بالحسيات أتم منه بالعقلانيات لتأخر كثير من العلوم العقلية عن الحسية وتقدم الحسيات عليها فإذا ذكرت المعنى العقلي ثم عقبته بالتمثيل الحسي فقد نقلت النفس من الغريب الى القريب))^(٤)، واستناداً إلى أصالة المحسوسات، ف((نظراً إلى أنَّ العلوم العقلية مُستفادَة من الحواسِّ ومُنْتَهية إليها فكان المحسوس أصلاً لذلك المعقول))^(٥)، فالإمام (عليه السلام) قد اختار المفردات التي هي متوفرة عند الناس ومألوفة لديهم، وهي ما قد تمَّ الاصطلاح على عظمتها وفخامتها كالجبال مثلاً؛ لَيْسَهُلَّ ارتكاز صور العظمة للملائكة في أذهان المتلقين.

(١) نهج البلاغة ، ١٦٨ .

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٣٨٨ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن ميثم ، ٢ / ٣٧٣ .

(٤) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ١ / ٨١ .

(٥) م ، ن ، ١ / ٦٦ .

ثانياً: في وصف الخلق الأول:

من وصف خلق السماوات جاء قوله (عليه السلام): ((ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهْبِئُهَا، وَأَدَامَ مَرْبَهَا، وَأَغْصَفَ مَجْرَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيْقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ))^(١).

نجد في النص اجتماع غرضين في التشبيه: بيان نوع الحالة، وبيان مقدار الحالة؛ فالتشبيه الأول: "فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ" والمَخْض: التحريك، والسَّقَاء: ظَرْفٌ أو وعاء يشبه القرية يوضع فيه الماء واللبن ويحرك حركات خاصة بقوة لاستخراج الزبد، والثاني: "عَصَفَتْ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ" أي عصفاً شديداً لأن العَصْف بالفضاء يكون شديداً من حيث عدم المانع^(٢)، وأداة التشبيه مقدرة بالكاف أو مثل أو شبه... أي: مَخَضَتْهُ مِثْلَ مَخْضِ السَّقَاءِ، وعصفت به مثل عصفها بالفضاء^(٣)، مع عدم التصريح بوجه الشبه، ولكن دل عليه السياق الكلامي، فوجه الشبه في الأول هو ضرب الهواء للمائع بقوة وشدة، والغرض منه لبيان نوع الحالة، فبيّن أن نوع الحركة جزاء ضرب الريح لموج البحار، كنوع الحركة جزاء ضرب الهواء للّبن في السقاء، -أي المخض- وصار بذلك تشبيهاً تمثلياً لانتزاع وجه الشبه من متعدد، وتميَّز هذا التشبيه بتشبيه الشيء العظيم (تَصَرَّفَ الريح بموج البحار) بالشيء الصغير البسيط (مَخَضَ اللّبن) والمُسَوِّغ لذلك هو كون الحالة في المشبه به أعزف ومُسَلَّم له لأنَّ ((الأصل في التشبيه أن يجري على السنن المعروفة عند العرب والذي يتمثل في أن يلتبس المشبه به مما هو معروف ومألوف في حياتهم حتى ولو كان المشبه أقوى وأعظم في الصفة التي يشترك فيها مع المشبه به))^(٤)، ووجه الشبه في الثاني هو القوة والعظمة والغرض منه بيان مقدار حاله شِدَّةً وِضَعْفاً، فبين مقدار شِدَّة عَصَفَ الريح وتصرّفه بالأمواج كَشِدَّة عَصَفَهَا وتصرّفها بالفضاء المفتوح من غير مانع^(٥)، هذا التشبيه وغيره من التشبيهات التي وردت في وصف الملائكة ووصف خلق السموات والأرضيين، جاءت تعظيماً للوصف والغرض منها تعظيم قدرة الصانع -الله- سبحانه وتعالى وتعظيم مشيئته.

(١) نهج البلاغة ، ٤٧ ، وأمثلة أخرى ينظر : ١٧١ .

(٢) ينظر : من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة ، ٨٠ .

(٣) ((فَحَذَفَ المضاف الذي هو صفة المصدر وأقام المضاف إليه ونصبه نصب المصدر)) : م ، ن .

(٤) علم البيان ، ١٠٠ .

(٥) ينظر : من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة ، ٨٠ .

ثالثاً: في وصف إبليس:

من وصف آفة إبليس - الكبر - جاء قوله (عليه السلام): ((قَالَ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ، مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَدًا، وَلَا تُشْوِي أَحَدًا، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ))^(١)، إِنَّ من أجلي مقاصد الإمام (عليه السلام) في أحاديثه عن آفات الشيطان وسهامه لبني البشر تلاحظ في وصف الكبر، والذي وقع فيه إبليس عندما فضّل مادته النارية على مادة آدم (عليه السلام) الطينية، وهنا يُولي الإمام (عليه السلام) اهتماماً خاصاً بهذه الصفة؛ إذ يُشَبِّهُ مساورة الكبر لقلوب الرجال ((بمساورة السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ لِلطَّبِيعَةِ الْبَدَنِيَّةِ))^(٢)، وأداة الشبه مقدرة بالكاف أو "مِثْلٌ" أو غيرهما؛ أي أَنَّ مساورة الكبر كمساورة السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ لِلأبدان، وكما أنها لا تُخْطِئُ في القتل، فكَذَلِكَ مَكِيدَةُ الْكِبَرِ لَا تَكَادُ تَخْطِئُ فِي تَأْثِيرِهَا بِالْعُقُولِ، وَلَا تَجِدُ مَا يُقَابِلُهَا وَيَقَاوِمُهَا^(٣)، إِنَّ أكثر الصور البيانية التي جاءت في وصف عالم الجن هي الاستعارة وَيَنْدُرُ استعمال التشبيه فيه.

رابعاً: في وصف البرزخ:

ظَهَرَ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ (كَأَنَّ) كِسْمَةً مُمَيَّزَةً فِي وَصْفِ عَالَمِ الْبَرْخِ دُونَ غَيْرِهَا، وَهِيَ تَقْيِيدُ التَّقْرِيبِ، وَتَوْكِيدُ التَّشْبِيهِ التَّقْرِيبِيِّ، فَتَارَةً يُقَرَّبُ الْإِمَامُ (عليه السلام) أَحْوَالَ النَّاسِ بِأَحْوَالِ أَهْلِ الْقُبُورِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ((وَكَمَا أَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَازْتَهَنْكُمُ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ))^(٤)، إِذْ تَمَّ تَقْرِيبُ مَصِيرِ الْأَحْيَاءِ بِمَصِيرِ الْأَمْوَاتِ، فَكُلُّ لَحْظَةٍ هِيَ مِنْ لَحْظَاتِ الْإِنْسَانِ قَدْ تَكُونُ هِيَ اللَّحْظَةُ الْآخِرَةُ مِنْ حَيَاتِهِ، ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ قَبْلَهُ فِي مَضْجَعِ الْأَمْوَاتِ، فَالتَّشْبِيهِ لِلتَّقْرِيبِ لَا الْحَقِيقَةِ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (عليه السلام): ((فَكَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخْطَ حُفْرَتِهِ، فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلٍ وَخَشَةٍ، وَمُفْرَدٍ غُرْبَةٍ!))^(٥) إِذْ يُقَرَّبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مَنْزِلُهُ الْبَرْزَخِي، وَيُصَفُّهُ بِبَيْتِ الْوَحْدَةِ وَالْغُرْبَةِ وَالْوَحْشَةِ.

(١) نهج البلاغة ، ٣٩٣ .

(٢) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة ، ٤٤٣ .

(٣) ينظر : م ، ن ، ٤٧ .

(٤) نهج البلاغة ، ٤٦٤ ، ومثلها ينظر : ٣٧٦ ، و ٤٢٨ .

(٥) م ، ن ، ٢٩٥ .

وتارة أخرى يُشَبَّه أحوال الموتى بأشياء أخرى، كما في قوله (عليه السلام): ((فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرَعى سُبَاتٍ))^(١)، أي تشبيه حالهم وشكلهم بأحوال النائم، وجاء في الشرح ((أي إذا وصفهم الواصف مرتجلاً غير مُتَرَوٍّ في الصفة ولا متهيئٍ للقول. قال "كأنهم صرعى سبات" وهو نومٌ لأنه لا فرق في الصورة بين الميِّت حال موته والنائم المسبوت))^(٢)، ووجه الشبه انعدام حيالة الميِّت وضعفه عن أداء الحركات من السمع والنطق؛ ويقصد بذلك التثبيته إلى عدم التفاخر بالأموات، فضلاً عما في الصورة من مشاهد الرهبة والرعب.

خامساً: في وصف الجنة وجهنم:

من خلال الاطلاع على نصوص البحث، تبيَّن أنَّ أسلوب التشبيه لم يستعمل في وصف الجنة ولا في وصف جهنم؛ بل أنَّ الصور في وصفها جاءت حقيقية، كما في قوله (عليه السلام): ((فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسَكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُتُبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَغْلِيْقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيْجِهَا وَأَفْنَانِهَا، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةٍ فِي غُلْفِ أَكْمَامِهَا، تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَةِ مُجْتَنِيْهَا، وَيُطَافُ عَلَى نَزَالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ))^(٣)، فهذه صورة جميلة جداً في وصف الجنة ونعمها، بالفاظ جاءت بدلالاتها الحقيقية من دون تشبيه، وواضح ما فيها من حفاوة التشويق إلى الجنة، وقد يُعزى سبب ذلك إلى أنَّ هذه الأوصاف هي في نفسها غاية الكمال لما يتطلَّع إليه الإنسان من تحقُّق النعم في الدنيا، والتي لا يقدرُ على نيلها، فهذه الكمالات المُصَوَّرة هي بذاتها غايةُ المُنَى، ولا تحتاجُ الصورة إلى تشبيه بشيءٍ آخر لتقريبها إلى نفوس المتلقين؛ فهي قريبة معروفة، ومثله يُلاحظ في بقية نصوص وصف الجنة.^(٤)

وقد قيل أنَّ ((أكثر هذه الألفاظ المستعملة في هذا النص استعارات؛ إذ ليست أشجار الجنة وأنهارها وكُتبان مسكها وكبائس لؤلؤها كما هو المحسوس بل أعلى من ذلك وأشرف، وهذه

(١) نهج البلاغة ، ٤٥٢ ، ومثلها ينظر : ٣٧٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ١١ / ١٠١ .

(٣) نهج البلاغة ، ٣١٧ .

(٤) ينظر : م ، ن ، ١٤٨ ، و ٢١٤ ، و ٣٥٤ ، و ٣٧٦ .

أمثلة لها تعقل لما بينهما من المناسبة.)^(١) فقيل أنَّ اصطفاق الأشجار أي: أشجار الجنة استعارة للملائكة السماوية، والاصطفاق ترشيح تلك الاستعارة، وأنَّ "كُثبان المسك" استعارة للمعارف والكمالات التي وهبها الله تعالى للملائكة، فهم مغمورون فيها كما الأشجار مغمورة تنبت في الكُثبان، أمَّا سواحل الأنهار فاستعارة للملائكة المجردين عَنِ التَّعَلُّقِ بالأجرام الفلكية، بعدَ هذه الملائكة أصولاً ومبادئ للملائكة السماوية، كما أنَّ الأنهار مبادئ مُدَّةٍ لحياة الأشجار وأسباب لوجودها، وكبائن اللؤلؤ الرطب والثمار؛ لما يفيض من تلك الأرواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها، وأمَّا الأعسال والخمور فاستعارة لتلك الإفاضات المشتتهات المُلدَّة للنفس... وهكذا بقية الألفاظ^(٢)، وواضح أنَّ هذا الكلام هو أقرب للتأويل والرمزية من الاستعارة والتشبيه، وذلك لعدم وجود ما يدل على هذه التأويلات في نفس الكلام، ولعدم وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

ومثل هذه الصورة الحقيقية نجدها في النصوص التي تصف جهنم وأهلها، كما في قوله (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): ((وَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَغْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَفْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَائِيلَ الْقَطِرَانِ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ، وَقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادِي أَسِيرُهَا، وَلَا تُقْصَمُ كُبُولُهَا. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَقْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُفْضَى))^(٣)، إنَّ دلالات الصورة في النصِّ كلها حقيقية، من غير استعمال التشبيه، فالصورة في غاية الفضاة والتهويل، ولا تحتاج إلى تشبيه بشيء لغرض زيادة التهويل والفضاعة؛ - فكما مرَّ آنفاً- أنَّ ((الأصل في التشبيه أن يجري على السنن المعروفة عند العرب والذي يتمثل في أن يُلمَسَ المشبَّه به مما هو معروف ومألوف في حياتهم...))^(٤)، إذ الصورة الحقيقية هنا في وصف جهنم، - وكما مرَّ في وصف الجنة- أعرف عند المتلقي ومُسَلَّم له، وإن كانت غير مألوفة عرفاً -لعدم تحققها-، إلا أنها مألوفة عقلاً، وكما نلاحظه في بقية نصوص وصف جهنم.^(٥)

(١) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٢٩٠.

(٢) ينظر: م، ن.

(٣) نهج البلاغة، ٢١٤.

(٤) علم البيان، ١٠٠.

(٥) ينظر: نهج البلاغة، ١٤٤، ٢٣٤، ٣٥٥، ٣٧٦، و٥١٠.

المطلب الثاني: الاستعارة

الاستعارة لغة: جاء في معجم العين، ((والعارية، ما استعرت من شيء، سُميت به، لأنها عارٌّ على من طلبها، يقال هم يتعاورون من جيرانهم الماعون والأمتعة. ويقال: العارية من المعاورة والمُناوَلَة. يتعاورون: يأخذون ويُعطون))^(١)، وفي اصطلاح البلاغيين ((هي اللفظ المستعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي))^(٢)، ويبين عبد القاهر الجرجاني علاقة المصطلح بالمعنى اللغوي بقوله: ((الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية))^(٣).

ولها أركان ثلاثة: المستعار منه، والمستعار له، والمستعار، والقرينة هي الأمر الذي تجعله دليلاً على أنك أردت باللفظ غير ما وضع له في الأصل، لفظية كانت، أم غير لفظية، وحدد البلاغيون شروطاً لتحقيق الاستعارة؛ أولها - وأصلها - هو تناسي التشبيه، وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه، وعليه أضافوا شرط كون المشبه به كلياً، حقيقة، أو تأويلاً، للتمكن من جعل "المستعار له" جزءاً من الكل، وكذلك اشترطوا ترك ذكر وجه الشبه والأداة، لفظاً وتقديراً^(٤)، وصنفها البلاغيون باعتبارات عديدة؛ أهمها اعتبار ترك ذكر أحد الطرفين، فكانت على قسمين: الاستعارة التصريحية: وهو تشبيه حذف منه المشبه وصرحت بالمشبه به، والاستعارة المكنية: وهو تشبيه حذف منه المشبه به وذكر شيء من لوازمه^(٥)، والمكنية أطف معنى وأعجب لما فيها من السكوت عن المشبه به ونسيان التشبيه^(٦).

(١) كتاب العين، مادة: (عور)، ٢/٢٣٩.

(٢) البلاغة الصافية، ٤١.

(٣) أسرار البلاغة في علم البيان، ٣٠.

(٤) ينظر: البلاغة الصافية، ٤٢ - ٤٤.

(٥) ينظر: م، ن، ٤٤، و، ٥٠، و: علم البيان، ١٧٦.

(٦) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، ٤٣.

وللاستعارة أهمية بارزة في كلام العرب، فهي ((صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى))^(١)، وقال فيها عبد القاهر الجرجاني: ((وهي أمدّ ميدانا، وأشدّ افتتانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا...، وأسحر سحرا، وأملأ بكل ما يملأ صدرا، ويمتع عقلا، ويؤنس نفسا، ويوفر أنسا))^(٢)، ومن أهميتها أنها تقرب إلى الذهن ما بُعد عن مدركاته الحسية، وقد تنبه إلى ذلك القدماء وإلى صلة الاستعارة بدعم الحواس فقسموا أنواعها على اعتبار المحسوس والمعقول للطرفين على عدة أقسام وهي: أن يكون الطرفان محسوسين، أو معقولين، أو مختلفين^(٣)، ومن هنا برز ما يسمى بمصطلح التجسيم أو الاستعارة التجسيمية وهي لون من ألوان التخيل الحسي عبّر ((تجسيم المعنويات المجردة وإبرازها أجساما أو محسوسات))^(٤)، فيكون فيها المستعار له عقليا والمستعار منه حسياً، وهي تساعد المبدع في إيصال الرسالة إلى المتلقي بشكل يسير، وأكثر ثباتا في العقل؛ فهي تُظهر المعاني المجردة و((المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون))^(٥) صوراً مجسمة تكاد تُرى وتلمس، وهو انتقال من المجهول إلى المعلوم، فالحسي أوضح من المعنوي لدى المتلقي لألفة النفس به، وتعودها عليه^(٦)، ومن أمثلتها:

أولاً: من وصف الملائكة:

ما جاء في وصف الملائكة ومبلغ معرفتهم بالله تعالى، ومحبتهم له، في قوله (الْعَلَّيَّةُ): ((قَدْ دَافُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِّيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ))^(٧)، في النص استعارتان مكنيتان تجسيميتان؛ فقد شبه (الْعَلَّيَّةُ) المعرفة والمحبة وهما من الأشياء المجردة، بالطعام والماء وهما جسميان، ففي الاستعارة الأولى شبه معرفة الله سبحانه بالطعام، وحذف المشبه واستعار له بشيء من لوازمه وهو التذوق ورشّحه بملائمته "الحلاوة" وكأنه قال: كما أن الطعام لذوقه درجات،

(١) علم البيان، ١٩٦.

(٢) أسرار البلاغة في علم البيان، ٤٢.

(٣) ينظر: البلاغة الصافية، ٣٤٠، ٣٤١.

(٤) التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط١٧: ٢٠٠٤م، ٧٢.

(٥) أسرار البلاغة في علم البيان، ٤٣.

(٦) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار الثقافة، مصر، ١٩٧٤، ٤١٢.

(٧) نهج البلاغة، ١٦٩.

قَبُولاً وَنُفُوراً وَأَعْلَاهَا الْحَلَاوَةُ، فَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ بِدَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَمِنْهَا الْأَعْلَى وَمِنْهَا الْأَدْنَى وَبَيْنَهُمَا دَرَجَاتٌ، وَالْمَلَائِكَةُ قَدْ بَلَّغُوا أَعْلَى دَرَجَاتِهَا، وَالِاسْتِعَارَةُ الثَّانِيَةُ كَالْأُولَى مَعَ فَارَقٍ بَسِيطٍ، إِذْ شَبَّهَ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى بِالمَاءِ، وَحَذَفَهُ وَاسْتَعَارَ "الشَّربَ" وَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ المَاءِ وَرَشْحِهِ بِمَلَائِمَيْنِ "الكأس" و"الروية" فَالادِّعَاءُ هُوَ: كَمَا أَنَّ المَاءَ لَشَرْبِهِ صِفَاتٌ، غُصَّةٌ أَوْ هَنَاءٌ وَأَفْضَلُهَا "الرَّوِيَّةُ"^(١)، فَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ حَالَةً وَاحِدَةً؛ بَلْ مَرَاتِبٌ مُتَفَاوِتَةٌ، وَالْمَلَائِكَةُ قَدْ بَلَّغُوا أَعْلَى مَرَاتِبِهَا كَمَا أَنَّ الرُّوِيَّةَ أَعْلَى مَرَاتِبِ شَرْبِ المَاءِ، وَأَمَّا الْفَارَقُ بَيْنَ الِاسْتِعَارَتَيْنِ: فَمَبْنَى وَمَعْنَى؛ فَاسْتِعَارَةُ الشَّرْبِ تَمَّ تَقْوِيَتُهَا بِتَرْشِيحِ مَلَائِمَيْنِ اثْنَيْنِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِتَأْكِيدِ حَالَةِ "المحبة" الَّتِي يَصْنَعُ تَصَوُّرَ التَّفَاوُتِ فِي مَرَاتِبِهَا، بَيْنَمَا حَالَةُ "المعرفة" يَسْهُلُ تَصَوُّرُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ دَرَجَاتِهَا فُرْشَتْ بِمَلَائِمٍ وَاحِدٍ، فَالمَعْرِفَةُ وَالمَحَبَّةُ وَإِنْ كَانَتَا مِنَ الْمَجْرَدَاتِ وَبَعِيدَتَيْنِ عَنِ الْإِحْسَاسِ المَادِيِّ، إِلَّا أَنَّ المَعْرِفَةَ أَقْرَبُهُمَا؛ وَذَلِكَ لَوْضُوحِ تَدَاخُلِهَا فِي شَتَّى مُرَافِقِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ المَادِيَةِ، بَيْنَمَا المَحَبَّةُ لَا تَدْخُلُ فِي مَعْظَمِهَا؛ فَقَدْ يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ عِلْمًا مَا، دُونَ أَنْ يُحِبَّهُ، فَدَقَّةُ التَّعْبِيرِ يَدُلُّ دَقَّةَ الْحَرَصِ فِي وَصْفِ شُؤْنِ الْمَلَائِكَةِ.

ثَانِيًا: مِنْ وَصْفِ عَالَمِ الْبَرَزَخِ:

نَجِدُ لِلْإِمَامِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، الْقُدْرَةَ عَلَى اسْتِعَارَةِ اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ فِي مَجَالَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَالدَّلَالَةَ بِهَا عَلَى مَعْنَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ أَوْ مُتَنَاقِضَيْنِ؛ فَنَجِدُ اسْتِعَارَةَ "الشَّربِ وَالكأسِ" فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بَعَكْسِ مَا اسْتَعَارَهُ لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ "كأسِ الرُّوِيَّةِ"، إِذْ اسْتَعَارَهُمَا فِي عَالَمِ الْبَرَزَخِ لِلْمَوْتَى وَلَكِنْ بِ"كأسِ المَنِيَةِ" مَعَ إِبْدَالِ فِعْلِ (الشَّربِ) الْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ بِفِعْلِ (السَّقْيِ) الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ، فَبَعَدَ وَصْفُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِلْمَوْتَى فِي الْقُبُورِ بِالسَّكُونِ وَالجَمَادِ وَعَدَمِ رَدِّ الْجَوَابِ، قَالَ مُعَلَّلًا ذَلِكَ: ((وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سَقُّوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا، وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا))^(٢)، فَالْقَوْلُ "سَقُّوا كَأْسًا" أَي: كَأْسِ المَنِيَةِ^(٣) حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ لَشَهْرَةِ التَّعْبِيرِ^(٤) وَلَدَّلَالَةِ سِيَاقِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَالْمَنُونُ لَا يُسْقَى، لَا بِكَأْسٍ وَلَا بِغَيْرِهِ، وَأَصْلُهُ هُوَ

(١) ((كمال الشرب أن يكون بكأس روية أي من شأنها أن تروي)) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٢٨٣.

(٢) نهج البلاغة، ٤٥٢، ومثلها ينظر: ١٣٦-١٣٧، و ١٤٠-١٤١.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١١ / ٢١٦، و شرح نهج البلاغة، ابن ميثم، ٥٥ / ٤.

(٤) إذ يقال -مثلا- في مدح المحارب المنتصر: هذه ((أشلاء أعدائه ممن يذيقهم كأس المنون))، تاريخ الأدب

العربي، د. شوقي ضيف، ٩ / ٢٣٨.

التعبير المشهور "كأس السُّم" الذي يصح عليه السقي بالكأس، وجاز عنه إلىمنية لعلاقة السببية بينهما، ثم صار كأس كناية عن الموت بقرينة السقي وقرينة الحال وهي الكلام عن الموتى، ومثل هذا التضاد في دلالة الألفاظ أو التراكيب، لا تأتي من الأصل اللغوي سواء الوضعي أم الانتقالي، وإنما من اختلاف طريقة صياغة الكلام مع معرفة بمكامن اللغة واستعمالاتها، وقد بين عبد القاهر الجرجاني فضيلة هذا النمط من الاستعارات المتباعدة الدلالة بقوله: ((وإنَّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة موموقة من خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنَّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجنِّي من العُصن الواحد أنواعا من الثمر))^(١).

ومن استعارة التجسيم نجده في وصف الموت^(٢) وتجسيمه بالاستعارة عنه بالوحش لعلاقة شبه بينهما كما في قوله (عليه السلام): ((فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ))^(٣)، فالكلام أصله تشبيه المنية بالوحش الكاسر لعلاقة المشابهة بينهما وهي قوة التمكن من الضحية وعدم الإفلات، ولم يصرح به بل كنى عنه بأحد لوازمه "المخالب" مع ذكر ملائمه وهو العلوق، فاستعار لفظ المخالب استعارة مكنية ترشيحية، وكون هذا الأمر غير متحقق حساً أو عقلاً فتسمى استعارة تخيلية -أيضاً- لأنه يخيل أنه من جنس المشبه به^(٤).

وقيل أنَّ الترشيح أبلغ من التجريد والإطلاق لأن وجود الملائم الترشيحي يضاعف إحضار صورة المشبه به، وتحقيق المبالغة في الاستعارة، و((تناسي التشبيه، والتصميم على إنكاره إلى درجة استعارة الصفة المحسوسة للمعنوي وجعلها كأنها ثابتة لذلك المعنوي حقيقة، وكأنَّ الاستعارة لم توجد أصلاً))^(٥).

(١) أسرار البلاغة في علم البيان، ٤٢، ٤٣.

(٢) الموت حد فاصل بين عالم الدنيا وعالم البرزخ، وما يُدرك منه في الدنيا فمنها وإلا فمن البرزخ ويُمكن عدّه من موضوعات البحث، كما في وصف مرحلة انقطاع الأمنية عند المحتضر التي لا يحس بها الأحياء من حوله، إلا بإخبار غيبي.

(٣) نهج البلاغة، ١٤٧.

(٤) ينظر: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٢٦٦.

(٥) علم البيان، ١٩١.

ونظير ما سبق نجده في نص آخر حين تم تشبيه الموت بالوحش الكاسر دون تصريح به أيضاً، ولكن بفرق دقيق في بناء الاستعارة، وفي المعنى الذي تؤديه، بقوله (عليه السلام): ((وَاغْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ))^(١)، فقد جاء باللفظ "ملاحظ" وهو من ملائمت العين الباصرة، ولا ينتقل لفظ - ملاحظ - لوحده إلى الوحش مباشرة لعموميته فهو يَصْدُق على كل ذي باصرة، ثم استعار لفظ "مخالب" وهو من لوازم المستعار منه "الوحش"، - عبر تشبيه تمثيلي^(٢) - وأتى بملائمه "نَشِبَتْ"، فانتقل استعارة العين -المضمرة- أيضاً للوحش، فصارت الاستعارة مكنية مرشحة تخيلية لأن المنية يخيل أن لها عيون تلاحظ بها الناس، ومخالب تنسبها فيهم، أما الفرق المعنوي؛ فهنا الوحش أو "المنية" لا زال في طور المراقبة واللاحاظ بالبصر، يترقب بالناس ولم يفتك بهم بعد ولكن موعد الأجل ونشوب المخالب قريب، بدلالة توكيد التشبيه "كأنكم بمخالها" وزيادة توكيدها باستعارة أخرى بواسطة الحرف والفعل: "قد نشبت" وتفيدان تحقق الفعل في الماضي، بدلاً من المعنى الأصلي "ستنشبت" لأن دلالة الكلام فيما لم يتحقق بعد.

وقد استحسن الشارح الخوئي الاستعارة المكنية وامتدحها، إذ قال ((وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روافده فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه...))^(٣)، ففي المثالين السابقين كان المستعار له "المنية" عقلياً، والمستعار منه "الوحش" حسيّاً، وبواسطة الاستعارة المكنية تحولت "المنية" وهي مجردة عن الجسمية إلى صورة فرد ذو جسم، من أفراد جنس الوحوش المفترسة، يكاد يرى ويُلمس.

ثالثاً: من وصف الخلق الأول:

ما نجده في وصف خلق الأرض ودحوها على الماء، في قوله (عليه السلام): ((وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ، وَشُمُوحِ أَنْفِهِ وَسُمُوقِ غُلَوَائِهِ، وَكَعَمْتِهِ عَلَى كِظَّةِ جَرِيَّتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ، وَبَعَدَ زَيْفَانٍ وَثَبَاتِهِ))^(٤)، هذا شكل من أشكال الاستعارة التي وقعت في عالم الخلق، وهو تصوير الجمادات على هيئة العقلاء الناطقة، والذي يسمى

(١) نهج البلاغة ، ٤٢٨ ، إِنَّ مَلَا حِظَّ الْمَنِيَّةِ تُعَدُّ مِمَّا هِيَ غَائِبَةٌ عَنْ حَوَاسِ الْبَشَرِ وَإِدْرَاكِهِ.

(٢) وقع تشبيه تمثيلي بأداة التشبيه (كأن) يشبه بها حال الناس بمن وقعوا في مخالب وحش وقد نشبت فيهم.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١/ ١٠٢.

(٤) نهج البلاغة ، ١٧٢ ، وَأَمَثَلَةٌ أُخْرَى يَنْظُرُ : ١٧١ - ١٧٤ .

بالاستعارة التشخيصية، والتشخيص أسلوب يبت الحياة في ما لا حياة له من الجماد، ((فإنك لترى بها الجماد حيًا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مُبَيَّنَةً))^(١)، وفائدته إضفاء المشاعر الإنسانية على الصورة البيانية، وفتح فضاءات جديدة على المتلقي وبت النشاط لديه؛ فهو يتفاعل مع ما هو من سِنْخِه وجارٍ على سُنَّتِه، حاملاً لوجدانه ولعواطفه^(٢)، وتَحْصُلُ فيها غرابة التشبيه، إذ يُصَوِّرُ النصُّ -هنا- الأرضَ وقد سكنت على الماء وأسكنته، بعد اضطراب موجه وهي أمور حسية، بهيئة ((الإنسان المُتَجَبِّرُ التِّيَّاهُ في حركاته المؤذنة بتكبره وزهوه، وهو عقلي))^(٣) والجامع بينهما الاستعلاء المفرط،^(٤) ويُفَصِّلُ النص في وصف هيجان تيار الماء وحركاته، عن طريق تشبيهه بإنسان متكبر شامخ بأنفه، ومفتخر بنفسه ويعنفوان شبابه، ومتبخر في مشيته متعاطف بوثباته، وحذف المشبه به -الإنسان- وكنى عنه ببعض صفاته المذكورة وهي مجموعة ألفاظ: "بأوه وأنفه وغُلُوَّاه ونزقات وزيفان ووثبات"^(٥) واستعارها لموج البحر لشبهها باضطراب تيارات أمواجه وتعاطف ارتفاعه، وشدة دفعاته، ثم هناك شخص ثانٍ في الصورة أُسْنِدَ إليه فعل تأديب هذا الإنسان المتكبر وهو "الأرض" فأُسْنِدَ إليها الفعل "رَدَّتْ" و"كَعَمَتْ"^(٦) ثم ذكر أثره الذي انعكس على هذا المتكبر "فَهَمَدَ" طيشه وقلَّ تبختره، فهذا النوع من الاستعارة حولت الجمادَ (الموج)، إلى شخص ذي غريزة فهو إنسان له إرادته، وعليه نزواته، وكذلك (الأرض) وواضح جداً أن الصورة امتلأت بالأحاسيس والمشاعر الوجدانية، فجذب المتلقي، وأفرغ ذهنه لقبولها، إذ تحولت المادة العلمية الصرفة إلى درس أخلاقي ونزاع بين الخير والشر، وقد عكس شيئاً من شخصية المبدع (الملك) وكشف قصديته، فهو لا يريد أن يقدم درساً في علم (الجيولوجيا) إنما جعله مدخلاً لبيان عظمة الخالق سبحانه؛ قدرةً وحكمةً وقِدْماً، كما ثَبَّتَ له ذلك في وصف الملائكة الذين صيرهم مظهرًا لعظمة الله جلَّ جلاله، فضلاً عن تمكُّنه الفني والبلاغي

(١) أسرار البلاغة في علم البيان، ٤٣.

(٢) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ١٩٧٤، ٤١٢.

(٣) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٢٨٧.

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٤٥٤/٦.

(٥) النخوة: الافتخار والتعظيم والأنفة والحمية، و(البأو) الكبر والفخر، و(الغُلُوْاء) أول الشباب وسرعته، و(كظته) والكظ ما يعترى الممتلئ من الطعام من ضيق، و(نَزَقَات) وثبات متتالية، و(زَيْفَان) التبختر في المشي ينظر: م، ن، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٥/٧.

(٦) هذا الفعل يستعمل مع البهائم، (كَعَمَتْ) الكِعَامُ ما يوضع في فم البعير لمنعه من العَصِّ أو الأكل، ويكنى به الإنسان ((قد كُفِمَ فوه لا يتكلم فيها من الخوف)): الإبانة في اللغة العربية، ١٢٩/٤.

والذي لم يكن قصداً لذاته؛ بل وسيلة إلى إيصال رسالته العظيمة كإمام، وهي إرشاد الناس إلى صلاحهم، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

رابعاً: من وصف الشيطان:

من الكلام عن أتباع الشيطان، وأفعاله بهم، وإشراكه لهم في أموره، قوله (عليه السلام): ((اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَكَاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِالسِّنْتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فِعْمَلٌ مِّنْ قَدِّ شَرِكُهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!))^(١).

يُلاحظ هنا تداخل مجموعة من الاستعارات والكنائيات في نص واحد؛ إذ تمَّ استعارة لفظة الأشرار: جمع لـ"شَرَك" وهو آلة الصيد التي يَصْطَادُ بها فريسته^(٢)، وجاء على سبيل الاستعارة المكنية، وقال الشارح الخوئي: ((أنه استعارة حسنة فإنه لما كان فائدة الشَّرَك اصطيداً ما يُرادُ صَيْدُهُ وكان هؤلاء القوم بِحَسَبِ مُلْكِ الشَّيْطَانِ لآرائِهِمْ وَتَصَرُّفِهِ فِيهِمْ على حَسَبِ حُكْمِهِ، أسباباً لدعوة الخلق إلى مُخالفة الحق ومنابذة إمام الوقت وخليفة الله في أرضه أشبهوا الأشرار لاصْطِيادِهِمُ الخلق بالسِّنْتِهم وأموالهم وجذبهم إلى الباطل بالأسباب الباطلة التي ألقاها إليهم الشيطان ونطق بها على ألسنتهم فاستعار لهم لفظ الأشرار))^(٣)، أي تم تشبيه الشيطان بالصياد، وحُذِفَ المشبه به وجيء بشيء من لوازمه وهو "الأشرار".

وكذلك استعارة الأفعال "باض وفرخ، ودبَّ ودرج"، كلوازم للطائر الذي شَبَّه به الشيطان وحذف المشبه به وكنى عنه بلوازمه كاستعارة مكنية، وشبه صدور أتباعه وحجورهم بعش الطائر إشارة إلى كونهم محل وسوسة الشيطان وأداة لتدرج حيله وأفعاله حتى بلوغ مآربه الخبيثة، وشبه هذا التدرج بتدرج الطير لبلوغ مرحلة الكمال؛ بدأً بمرحلة البيض ثم التفريخ ثم يدبُّ على الأرض ديبياً -حركة خفيفة كحركة الصغير-، ثم يدرج وهو المشي قليلاً^(٤).

(١) نهج البلاغة، ٦٣، وهذا كامل ما ورد في هذه الخطبة، وعَنْوَنَهُ الرضوي بقوله "يَذُمُّ فِيهَا أَتْبَاعَ الشَّيْطَانِ".

(٢) ينظر: إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه، ١٣٦.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٥١.

(٤) ينظر: م، ن، ٣/ ١٥١ و ١٥٢.

ووقعت في النص كناية بعيدة إذ أنَّ تدرج مراحل بلوغ الطير يستدعي وقتاً غير قصير، ثم يستدعي هذا مكوث الطائر على العش فترة طويلة، إشارة إلى طول ملازمة الشيطان لأتباعه.

وفيه كناية أخرى لبيان مقدار حال هؤلاء من اتَّحاد الشيطان معهم، هي قوله (عليه السلام) "فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِالسِّنِّتِهِمْ" كناية عن أنهم وصلوا حالاً صاروا فيها أتباعاً وأدوات مخلصين للشيطان فيعملون كما يُريد منهم، وفصل الشارح الخوئي ذلك؛ بأن النظر والنطق وبقية الجوارح تابعة لإرادة القلب، وهؤلاء جعلوا قلوبهم عشا للشيطان وموطنه فكانت إرادتهم القلبية تبعاً له فيكون جميع أفعالهم مسندة إليه، فلا ينظرون ولا ينطقون إلا إلى ما فيه رضاه،^(١) وجاء تأكيد هذا الاتحاد الحاصل بينهم بواسطة تشبيههم بشركاء للشيطان بقوله (عليه السلام): "فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَّالَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فِعَلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ"، أي مثل ((من جعله الشيطان شريكاً له في تسلُّطه وأمره ونهيهِ))^(٢).

وبلاحظ هنا تداخل الفنون القولية؛ فالكناية ((لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادته معه))^(٣)، ولكن هنا قد يقع اشتباه بأنَّ إرادة المعنى مستحيلة، أي: نظر الشيطان ونطقه، بأعين أتباعه وألسنهم لا يمكن عقلاً ولا عرفاً!، والواقع أنه قد تداخل معها استعمال فن قولي آخر وهو "الغلو": وهو ((إذا كان الوصف المدعى غير ممكن عقلاً وعادة))^(٤)، وهو نوع من المبالغة^(٥) وكان آراء البلاغيين في استعماله متردداً بين الجواز وعدمه نظراً لمجانيته الحقيقة والصدق، فمنعه بعضهم وأجازه آخرون ((فإنهم اختاروا الغلو؛ لأنَّ القائل البليغ إذا أدخل في بيانه المبالغة وأسقط عن نفسه مطابقة الوصف والموصوف، ورعاية المماثلة؛ اشتد فيما يأتيه إلى أعلى الرتبة، وظهر قوته في الصياغة، وتمهّره في الصناعة، فتصرف في الوصف كيف يشاء؛ لأنَّ العمل عنده على المبالغة والتمثيل، لا المصادقة والتحقيق، كذا ذكره الإمام المازني في شرح الحماسة))^(٦)، والظاهر من كلام الإمام (عليه السلام) مبالغة الوصف والتمثيل وليس المطابقة؛ بدليل

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣ / ١٣٤.

(٢) م، ن، ٣ / ١٥١.

(٣) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ١ / ٩٤.

(٤) البلاغة الصافية، ٢٢٦.

(٥) المبالغة: ((وهو أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً، لئلا يظن أنه غير متناه في ذلك الوصف... وتتنحصر المبالغة في التبليغ والإغراق والغلو))؛ عروس الأفراح، ٢ / ٢٦٠.

(٦) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ٢ / ٤٢٣.

إننا كَمُتَلَقِّين عند سماعنا هذا القول لا تنتقل أذهاننا إلى تحقق نظر الشيطان بأعين الناس أو نطقه بألسنتهم، ويبدو أن مسوِّغ "الغلو" هنا -وهو أشد أنواع المبالغة^(١)- لبيان شدة تمكُّن الشيطان من شركائه، وقيادهم كيفما شاء، ودعوى الإمام (عليه السلام) أنهم شركاء يدعّم الحُكْمَ بالتمكُّن منهم والتلبُّس فيهم؛ فالشريك كالأصيل -كما يقال على المثل- أحدهما يقوم بمهام الآخر، وموارد أخرى غير قليلة للاستعارة في وصف الشيطان.^(٢)

خامساً: في وصف الجنة وجهنم:

نلاحظ في نصوص البحث قلة استعمال أسلوب الاستعارة مع وصف الجنة وجهنم، ويكاد يكون نوع الاستعارة فيهما من الأنواع المألوفة التي دخلت في عداد الكلام العادي، كما في قوله (عليه السلام) عند وصف مشاهد السُّوق إلى جهنم وإلى الجنة: ((فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا، عَالٍ لَجْبُهَا، سَاطِعٍ لَهْبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكِ وَقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عِمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيْعَةٍ أُمُورُهَا. {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا}، قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَرُخِزُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأْنَنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوْحُّشًا وَانْقِطَاعًا، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَابَاً، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا، {وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا}، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ))^(٣).

فإنَّ بعض هذه الألفاظ هي استعارات مألوفة - إلى درجة ما- كما في "مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا" (لفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدة وعنف كالغضببان، أو باعتبار استلزام حركتها ظاهرٌ للأذى والشر))^(٤)، فلفظ الزفير من استعمال القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ

(١) المبالغة ثلاثة أنواع: التبليغ: ((إذا كان الوصف المدعى ممكن عقلا وعادة))، الإغراق: ((إذا كان الوصف المدعى ممكن عقلا لا عادة))، الغلو: ((إذا كان الوصف المدعى غير ممكن عقلا وعادة))، عروس الأفراح في

شرح تلخيص المفتاح، ٢/ ٢٦٠ - ٢٦١.

(٢) ينظر: نهج البلاغة، ٦٣، و١٤٢، و٣٨٣.

(٣) م، ن، ٣٧٦.

(٤) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٤٢١.

شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ [هود: ١٠٦] وكذلك لفظ " مُتَغَيِّطٍ " في قوله تعالى: ﴿ إِذَا نُفِثَ فِيهَا سَمْعُهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ۖ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۚ ﴾ [الملك: ٧، ٨]، وفي استعارات أخرى نجد كذلك، كما في ((أقطارها حامية: استعار لفظ الحمى، ورشح بذكر القدر وظاهر فضاة تلك الأمور وشدها))^(١)، واستعار لفظ "النهار" لليل، ولفظ "الليل" للنهار، ووجه الشبه كون النهار محلاً للانعزال عن الخلق كالليل الذي هو محل انعزال الناس بعضهم عن بعض^(٢).

يُلاحظُ في هذا المبحث أنَّ علاقة التشابه بين الألفاظ - سواء التشبيه أو الاستعارة - جاءت لتحقيق أغراض محددة، فوصف الملائكة بعظائم الأشياء المحسوسة كالخُلُقَة العظيمة، والطبائع السامية، والنوايا الخالصة، والأعمال الكاملة، أظهرَ عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وأشبهَ بذلك وصف الخلق الأول من خلق السموات والأرضين والبحار بالأوصاف العظيمة.

وأما في وصف إبليس وبقية الشياطين؛ فتبيَّن الغرض منها التنبيه إلى مكائدهم، والتحذير من خطواتهم وأتباعهم، وقد عكست الاستعارات الدقيقة، وتداخل الفنون الكلامية فيما بينها بدقَّة ولطافة، دقَّة مكر الشياطين، وتداخل حيلهم بعضها في بعض، ولطافة دخولهم في القلوب والصدور وتمكُّنها منها.

وأما في وصف عالم البرزخ وأحوال الموتى، فجاء الغرض منها التذكير بمصير الناس (الموت والقبور)، والاعتبار منها، ولأجل ذلك جاءت علاقات التشابه بين الألفاظ دالةً على التهويل والفضاعة، لتمكين المعاني في النفوس واستقرارها فيها أطولَ مدَّة ممكنة.

وأما في وصف الجنة وجهنم وأحوال أهلها؛ فجاءت الصور حقيقية في التشبيه، وقريبة جداً في الاستعارات، تركزت في غرضين أساسيين هما: الترغيب بالجنة، والترهيب من جهنم، وقد يأخذ هذا الأمر إلى أن يتفكَّر الإنسان بأنَّ عالم الجزاء - سواء في الجنة أم في النار بحسب استحقاقه - هي الحياة الحقيقية والتي تنتظره، وإن كانت غير مألوفة عُرْفاً - لعدم تحقُّق مثلهما في الدنيا -، إلا أنهما مألوفتان عقلاً، وليستا كالملائكة والجن فهما غير مألوفين لا عُرْفاً ولا عقلاً.

(١) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٤٢١.

(٢) ينظر: م، ن.

المبحث الثالث: علاقة التضاد والتقابل، والعكس:

المطلب الأول: الطباق والمقابلة:

الطباق من الفنون البلاغية ويسمى ((التطبيق، والطباق، والتضاد، والمطابقة، والتكافؤ))^(١) وفي اللغة: ((طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألزقتهما))^(٢)، وفي اللسان (طبق): ((تطابق الشيئان: تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق))^(٣)، أما في اصطلاح البلاغيين فجاء في "الإيضاح" ((هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة))^(٤)، وفي معجم المصطلحات: ((هو الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة))^(٥)، وقيل: ولا مناسبة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لأن الجمع بين الضدين ليس موافقة أو تطابقا، وكونهما متقابلين أعم من كونهما متضادين^(٦)، وفصل في البلاغيون أنواعا وأقساما فإما بين معنيين حقيقيين أو مجازيين، وإما إيجاب أو سلب، وإما لفظي أو معنوي،^(٧) وهذا الاستعمال ذو أغراض عديدة من أبرزها إيجاد الانسجام المعنوي عبر جلب المتضادين معا، ((ومبعث الانسجام أن التضاد يؤدي إلى التوازن، حيث يستميل كل من المتضادين الآخر حين يوضع إلى جانبه))^(٨)، أما **المقابلة أو التقابل** فهي ((من الطباق؛ وهي: أن يجمع بين معنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب))^(٩)، فالطباق مقابلة واحد بواحد، وأما التقابل فمقابلة أكثر من ذلك كمقابلة اثنين باثنين، أو ثلاثة بثلاثة،... ((والمراد بالتوافق خلاف التقابل لا أن يكونا متناسبين أو متماثلين فإن ذلك غير مشروط))^(١٠) وقد ورد منهما في نصوص البحث، وينسب مختلفة بين العوالم، ويحاول البحث تحليل نصوصهما، عبر الأمثلة الآتية:

(١) علوم البلاغة، ٦٥.

(٢) كتاب العين، مادة (طبق): ١٠٨ / ٥..

(٣) لسان العرب، مادة (طبق).

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، ٣ / ١٨٥.

(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ١٣٠.

(٦) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١١٦/١، ١١٧.

(٧) ينظر: م، ن، ١ / ١١٧.

(٨) اللغة واللون، أحمد مختار عمر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ط٢: ١٩٩٧م، ١٣٨ و ١٣٩.

(٩) البلاغة الصافية، ٢٦٠.

(١٠) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ١ / ١٢١.

أولاً: في عالم البرزخ:

١ - فمن وصف أحوال أهل القبور قوله (عليه السلام): ((غُيِّبَ لَا يُنْتَظَرُونَ، وشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَأَلْفاً فَافْتَرَقُوا... جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَسُونَ، وَأَحِبَّاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَّتٌ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَازِفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَجِبَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءٌ))^(١).

يُلاحَظ أَنَّ الطَّباقَ الأول "شُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ" طباق سلبي لوجود حرف النفي "لا" ولعل ما يبرزه هو اختلاف الألفاظ واشتراك المعاني؛ فَإِنَّ لفظ الشهود فيه نوع ترادف مع لفظ الحضور، والطباق الثاني "جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَسُونَ" كذلك فيه اختلاف الألفاظ، ولكن اشتراك المعاني هنا يمكن القول به تَضْمِينياً؛ لوجود نوع من التعلق^(٢) لَأَنَّ دلالة الجيران هي ليست نفس دلالة الأُنس، ولكنها متضمنة لها، ودليلها السياق؛ فسياق الكلام عن الموتى في القبور وتوحيشهم منها، فما يُراد من الجيران في القبر هو الأُنس ودفع التوحيش، أي أنها متضمنة للأُنس، ومثله كذلك الطباق الثالث "أَحِبَّاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ" طباق سلبي مع اختلاف الألفاظ واشتراك المعنى اشتراكاً تَضْمِينياً؛ فما يُراد من الأحباء في القبر هو التزاور ودفع الوحدة، أمَّا الطباق الرابع فأيجاب بين "وحيد" و "جميع" واللفظان متضادان، وكذلك المعنيان بينهما تضاد كلي، أمَّا الطباق الخامس فتضاد إيجابي ولكن اللفظين غير متضادين، "هَجْرٌ" و "أَخِلَاءٌ"، بينما المعنيين بينهما نوع تضاد تضميني؛ فالمراد من الخِلَّةِ - من ضمنها - هو التقارب والتآلف، وهما بالضد من الهجر بمعنى الابتعاد وعدم التآلف، ويمكن اعتبار هذه الأمثلة نوع من الخروج عن المألوف في استعمال الطباق وعلاقة التضاد^(٣) والجدول الآتي لتوضيح الأمثلة والشواهد:

(١) نهج البلاغة، ٤٥٢.

(٢) ((الجمع بين معنيين، يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق، مثل السببية واللزوم نحو: قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: من ٢٩] فإن الرحمة وإن لم تكن مقابلة للشدة، لكنها مسببة عن اللين الذي يقابلها، أو الشدة سبب العنف الذي يقابل الرحمة)) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ٣٧٥ / ٢، هذا المثال في طباق الإيجاب ويمكن أن نقيس عليه طباق السلب أي (أن يكون بين المعنيين نوع اتفاق كالجزم من الكل).
(٣) العلاقة بين اللفظين في طباق السلب ينبغي -على الأصل والمألوف- أن يكون متفقاً، مثاله: الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وفي طباق الإيجاب متضاداً، مثاله: هو الذي يحيي ويميت: ينظر: علوم البلاغة، ٦٨.

تسلسل الأمثلة	الشاهد	الإثبات والنفي	العلاقة بين اللفظين	العلاقة بين المعنيين
١	شُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ	طباق سلب	عدم اتفاق	اتفاق معنوي
٢	جِيرَانٌ لَا يَتَأَسُّونَ	طباق سلب	عدم اتفاق	اتفاق معنوي تضمني
٣	أَحْبَاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ	طباق سلب	عدم اتفاق	اتفاق معنوي تضمني
٤	فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي "وحيد" و "جميع"
٥	بِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءُ	طباق إيجاب	عدم تضاد	تضاد ضمني "هجر و أخلاء"

فقد امتازت الأمثلة السابقة للطباق بالابتعاد أو الانزياح عن المألوف في بناء الطباق السلب، ففي طباق السلب -هنا- يُلحَظ عدم اتفاق الألفاظ وعدم اتفاق المعاني كلياً، وما حصل من الاتفاق الضمني كان بمساعدة السياق، ما يدل على الامتياز بأداء المعاني عبر الدلالات البعيدة غير المباشرة والمألوفة، ومثله حصل في طباق الإيجاب الأخير، إنَّ هذه الانزياحات تفتح فضاءات جديدة وواسعة للتعبير عن دقائق المعاني، ويعكس المقدرة المبسطة لمسك زمام اللغة وإدارتها من قبل الإمام (عليه السلام).

إنَّ استعمال هذا الكم من التضاد يَعمَلُ رؤية المبدع إلى الكم من التضاد الذي يحفل به عالم البرزخ وأحوال الموتى نسبة إلى الأحياء في عالم الدنيا؛ فسياق القول في حَمَلِ الناس إلى عدم الافتخار بالموتى أو الاعتداد بهم، فضلاً عن تذكيرهم بمصيرهم المحتوم - الموت - وبما سيؤول إليه حياتهم في دار القبور، فأراد الإمام (عليه السلام) أن يُذكِّر ويوضح للناس بأنَّ حال الموتى في الضدِّ من أحوالهم في الدنيا، وَذَكَرَ مجموعة من الأحوال المتضادة؛ فالموتى رغم اجتماع رفاتهم متقاربين إِلَّا أَنَّهُمْ متفرقون بأرواحهم فالأجساد ما عَادَتْ مقياساً للقرب والبعد، ولا يَأْسُ أحدهم بِجيرة الآخر، ولا تَزَاوَرَ بينهم رغم المحبة السابقة بينهم في الدنيا، فاستعمال أسلوب التضاد وَطَّفَ لخدمة معاني التضاد بين الدارين، لما فيه من إلفات نظر إلى المعاني المتضادة، وعكس اهتمام المبدع إلى ذلك، وقصده التنبيه والتذكير، وكذلك يَعمَلُ شخصيته الفكرية وعقيدته الراسخة بالحياة الأخروية، وأهميتها.

٢- ونظير ما تقدّم في وصف أهل القبور، قوله (عليه السلام): ((وفي ضيق المضجع وحيداً... وصارت الأجساد شحبةً بعد بضتها، والعظام نخرةً بعد قوتها، والأرواح مرتهةً بثقل أعبائها، موقنةً بغيب أنبائها، لا تستزاد من صالح عملها، ولا تستغتب من سيئ زللها))^(١)، وكان هذا الكلام في معرض طلب الاعتبار من آثار الأمم الماضية، وجيء بالطباقيين "شحبة" مع "بضّة"، و"نخرة" مع "قوة" وفيهما أيضاً تذكير بمآل الإنسان إلى داره الأخروي فالأجساد البضّة الشابة نهايتها الشحوب بعد الموت، والعظام القوية مصيرها النخر، فينبغي على الإنسان معرفة قدره والحذر من غرور الدنيا، وفي النص حصل "تقابل" وهو (لا تستزاد من صالح عملها) مع (ولا تستغتب من سيئ زللها)، وفيه دلالة وإشارة إلى انتهاء وقت العمل في الدنيا؛ فلا زيادة بالصالح منه، ولا نقصان من سيئاته.

٣- وكذلك مثلهما في وصف أهل القبور، قوله (عليه السلام): ((إن جيدوا لم يفرحوا وإن فحطوا لم يفتنوا جميعاً وهم آحادٌ وجيرةٌ وهم أبعادٌ متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون حلماً قد ذهب أضعانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربةً وبالنور ظلمةً فجاءوها كما فارقوها حفاةً غرّةً، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية))^(٢).

النص يبين أحوال أهل القبور، وأنهم لا يملكون الشعور سواء بالفرحة أم بالقنوط واليأس، وهم رغم كونهم متقاربين برفاتهم، إلا أنهم لا يقدرّون على التقارب، وصفات أخرى متضادة عديدة تم نعتهم بها كما هو واضح في النص، ولأجل بيان ذلك فقد تم استعمال فن الطباق، إذ تم وقوع حالات عديدة من الطباق السلب والإيجاب والتقابل في النص، ما يدل دلالة واضحة على موضوع المقابلة والموازنة بين أحوال الناس في القبور وأحوالهم قبل الموت، دلالة تكشف أنّ الإمام (عليه السلام) قد علم من الناس تشبّتهم بالدنيا وغفلتهم من الموت، ولعظيم معرفته بخطورة الأمر، حرص على دعم كلامه بما تناسبه من الدلالات المعنوية، لإثارة المتلقي، وإيقاظه من غفلته، والجدول الآتي يوضح هذا الكمّ من التضاد والتقابل، وواضح جداً ما فيه من تحشيد في استعمال التضاد الموجب.

(١) نهج البلاغة، ١٤٠.

(٢) م، ن، ٢٢٠-٢٢١.

تسلسل الأمثلة	المثال	الإثبات والنفي	العلاقة بين اللفظين ^(١)	العلاقة بين المعنيين
١	جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا = فُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا	تقابل ثنائي	-----	تضاد تضمني
٢	جَمِيعٌ وَهُمْ أَحَادٌ	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
٣	وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ	طباق إيجاب	عدم تضاد	تضاد تضمني
٤	مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ	طباق سلب	عدم اتفاق	اتفاق تضمني
٥	وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ	طباق سلب	اتفاق	اتفاق كلي
٦	حُلَمَاءٌ ... وَجُهَلَاءُ	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
٧	لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ	تقابل ثنائي	-----	تضاد جزء واحد
٨	يُظْهِرُ الْأَرْضَ بَطْنًا	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
٩	وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
١٠	وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً	طباق إيجاب	عدم تضاد	تضاد تضمني
١١	وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
١٢	فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا	طباق إيجاب	عدم تضاد	تضاد تضمني

٤- وكذلك من وصف عالم البرزخ قوله (عليه السلام): ((وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ)).^(٢) يلاحظ هنا ورود طباق الإيجاب دون السلب، وواضح أنَّ بناء الإيجاب يتطلب استعمال مفردات متضادة المعاني؛ إذ جاءت عدة حالات من تضاد الإيجاب، ما يدل على تغاير في الحال، من حال معينة إلى أخرى بالضد منها، كما موضح في الجدول الآتي:

(١) العلاقة بين اللفظين في طباق السلب ينبغي- على الأصل والمألوف- أن يكون متقفا، مثاله: الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وفي طباق الإيجاب متضادا، مثاله: هو الذي يحيي ويميت.

(٢) نهج البلاغة، ٢١٤.

تسلسل	المثال	الإثبات والنفي	العلاقة بين اللفظين ^(١)	العلاقة بين المعنيين
١	فَجَدَدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
٢	وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي
٣	أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ	طباق إيجاب	تضاد	تضاد كلي

٥- ومن استعمال التقابل في وصف أحوال الموتى قوله (عليه السلام): ((لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ اِزْدِيَادًا))^(٢) فقد تم تقابل ثلاثة بثلاثة؛ الحرف "عن" بمعنى "الخروج" مع الحرف "في" بمعنى "الدخول"، والاسم "قبيح" مع الاسم "حسن"، والاسم "انتقال" مع الاسم "ازدياد"، والمقابلة أفادت إظهار العجز التام للأموات، فهم لا حول ولا قوة لهم، هم عاجزون عن دفع أي ضرر عن أنفسهم، وليس هذا فقط بل أيضا عاجزون عن ما هو مناقض ومقابل لدفع الضرر، وهو استجلاب المنفعة، ففائدة مقابلة التضاد أظهر مبلغ عجزهم التي امتدت إلى كل شيء.

٦- وقد يأتي طرفا الطباق طرفين كما في الحديث عن الساعة قوله (عليه السلام): ((فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ))^(٣)، فالمفردتان "أمام" و"وراء" طرفان متناقضان في أصل الدلالة، ولكن الإمام (عليه السلام) وصف بهما شيئين هما في طرف واحد من الزمان القادم، (الغاية بمعنى: الموت) و(الساعة: بمعنى القيامة) ولكن جعل الساعة في الوراء، لالتفاتة بلاغية^(٤)، وهي لتنبية الناس على أن ما يحسبونه أمامهم هي في الحقيقة وراءهم تَحْذُوهم بانقضائها ساعة بعد ساعة، ف((الساعة سميت بها لأنها تسعى الناس بها كما سميت القيامة ساعة لأنها تسعى الناس إليها بحركة جَبَلِيَّةٍ وتوجه غريزي))^(٥)، وهناك موارد أخرى من استعمال الطباق والتقابل^(٦).

(١) العلاقة بين اللفظين في طباق السلب ينبغي-على الأصل والمألوف- أن يكون متفقا، مثاله: الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وفي طباق الإيجاب متضادا، مثاله: هو الذي يحيي ويميت.

(٢) نهج البلاغة، ٣٧٢.

(٣) م، ن، ٧٥، وموارد أخرى للطباق وللمقابلة، ينظر: م، ن، و، ٤٥٣، ٤٦٤.

(٤) قد تم الكلام بشكل مفصل عن هذا في مبحث التقديم والتأخير، الفصل الثاني: ص ١٢٤.

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٣ / ٣٠١، ٣٠٢.

(٦) ينظر: نهج البلاغة، و، ٤٥٣، ٤٦٤.

ثانياً: في عالم الخلق:

١- ما جاء من وصف خلقه آدم (عليه السلام) فهو قول الإمام (عليه السلام): ((ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا... وَمَعْرِفَةِ يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ، وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ، وَالْمَسَاءَةِ وَالسَّرُورِ))^(١).

فالمفردات: "حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا"، "عَذْبِهَا وَسَبْخِهَا"، "الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ"، "الْحَرِّ وَالْبَرْدِ"، "الْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ"، "وَالْمَسَاءَةِ وَالسَّرُورِ" فهذه كلها معانٍ حقيقية، وهي من طباق الإيجاب: وهو مما اختلف فيه الضدان إيجاباً،^(٢) إن هذه المتقابلات في المعاني المتضادة للمواد التي خُلِقَ منها آدم (عليه السلام) ذات إichاء على تخالف طبائع بني آدم وأمزجتهم، ولعل ذلك هو السرُّ في تفاوت أنواع الخلق، أي الخلق من بني آدم فهم مختلفون في تصنيفات خلقية شتى، بل وخلقية أيضاً، وقد يتضمن الكلام إشارة إلى تنبيه الناس إلى أن الاختلاف بينهم في الألوان والقوميات والطبائع ليست مدعاةً إلى الافتخار والتعزز، ودعوة إلى عدم استصغار الآخرين على هذا المقياس.

٢- من وصف السماوات قول الإمام (عليه السلام): ((وَنَظَّمَ بِلاَ تَغْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرْجَهَا، وَلَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّحَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُرُوءَةً مِعْزَاجِهَا، ... وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا، وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلٍ مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ مَسِيرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، ... وَأَجْرَاهَا عَلَى أَدْلَالٍ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتٍ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعودِهَا وَنُحُوسِهَا وَسُعودِهَا))^(٣).

هذا النص من الخطبة المسماة بـ"الأشباح"، وهي خطبة طويلة ومن جلائل الخطب وتتضمن مفاهيم عالية وسامية منها: تمجيد الله تعالى، وصفته في القرآن الكريم، وصفة تدبيره لخلقه، وصفة خلق الملائكة ودحو الأرض، وصفة السماء، وفي هذا النص جاءت مجموعة من الطباق في صفة السماء، وهي: "لِلْهَابِطِينَ - وَالصَّاعِدِينَ" و"لِنَهَارِهَا - لَيْلِهَا" و"اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"

(١) نهج البلاغة، ٤٩.

(٢) ينظر: علوم البلاغة، ٦٨، معنى "حزن الأرض" ما غلظ منها، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ٥٤ / ٢.

(٣) نهج البلاغة، ١٦٥.

و"هُبُوطُهَا وَصُعُودُهَا" و"تُحُوسِهَا وَسُعُودُهَا"، النص يحمل دلالات ذات شؤون عظيمة؛ كطرق السماء التي هي لهبوط الملائكة وصعودهم أو لمخلوقات أخرى، وقيل ((لنزول العقول من سماء الجود الإلهي إلى أراضي المواد القابلة للإفاضات العالية))^(١)، وبقية الأشياء المذكورة كالليل والنهار؛ فهذه كلها تجليات لعظمة الله تعالى، وأسلوب الطباق هنا يلفت نظر المتلقي إلى هذه المجموعة من التضاد، ويجعله يتفكر فيها، ويفهم منها قصد الإمام (عليه السلام)، التنبيه إلى عظمة الخالق سبحانه، فالإنسان العاقل مطلوب منه التفكر بهذه الآيات العظيمة؛ كما يشير القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ سَرُّهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: من الآية ٥٣].

ثالثاً: الطباق والمقابلة في عالم الجن:

١- كما في ذم إبليس، والاعتبار منه، وفيه طرفا التطابق مختلفان كون أحدهما فعلا والآخر اسماً، في قوله (عليه السلام): ((أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبُرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُوراً، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعيراً؟!))^(٢)، إذ تعدد الطباق في النص، فتَمَّ التقابل بين اللفظين "صَغَّرَهُ" فعل ماضٍ، و"تَكَبَّرَهُ" وهو اسم، ثم جاء التقابل الثاني بين اللفظين "وَضَعَهُ" فعل ماضٍ، و"تَرْفُعِهِ" وهو اسم، والتقابل الثالث بين اسمين: "الدنيا" و"الآخرة"، ولعلَّ الاختلاف ناظرٌ إلى دلالة الاسم إذ تفيد ثبوت الصفة، أي أَنَّ صفة التكبر ثابتٌ لإبليس وراسخ فيه، أمَّا مجيء مُقَابِلِهِ "صَغَّرَهُ" بصيغة الفعل دَلَّ على انتفاء فعل الله تعالى عن إبليس سابقاً، أي قبل إظهاره صفة التكبر التي كانت في داخله، والإمام (عليه السلام) يدعو إلى الاعتبار منه، وأنَّ الله تعالى بالمرصاد للمتكبرين، وكذلك الحال مع صفة الترفع ومُقَابِلِهِ الفعل "وَضَعَهُ".

٢- ومن التقابل ما جاء في ذم إبليس ووصف عصيانه في قوله (عليه السلام): ((وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّنَدُّلِ))^(٣)، إذ وردت المفردتان "ادَّرَعَ" و"التَّعَزُّزِ"، في الجملة الأولى وقابلهما بمفردتين وهما: "خَلَعَ" و"التَّنَدُّلِ" على التوالي، وهكذا ألفاظ مترادة ومتضادة يجعل المتلقي يقف

(١) من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٢٨٠.

(٢) نهج البلاغة، ٣٨٣، وينظر كذلك م، ن، ٣٨٢.

(٣) م، ن.

أمامها مفكرا بالعلاقة بين الطرفين، فالفعل (أَدْرَعَ) بمعنى لبس الرجل للدرع وقرنه بالعزة، وأمّا الفعل مع مفعوله (خلع قناع) فالقناع ما تضعه المرأة على رأسها^(١) وقرنه مع الذلة.

٣- ونظير ما تقدم في ذم إبليس وقبيله لتعصّبهم لأصلهم الناري، والتحذير مما وقع فيه من التعصب والتكبر ما جاء في قوله (عليه السلام): ((وَتَعَزَّزُوا بِخَلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهِنُوا خَلْقَ الصَّلْصَالِ))^(٢) وقد تم تقابل الفعل "تعززوا" والاسم "النار" في الجملة الأولى، مع الفعل "استوهنوا" والاسم "الصلصال"، وهذا التقابل أفاد بيان حقيقة إبليس وقبيله الذين قرنوا العزة بالنار؛ تعصبا لأصلهم، وقرنوا الاستهانة بالصلصال الذي يعتبر أصل آدم (عليه السلام)^(٣).

مما تقدم يظهر من استعمال الطباق والتقابل أنّ الإمام (عليه السلام) قصد من ذلك أشياء: فبخصوص عالم البرزخ كان لأجل التنبيه والتذكير بأخذ الاعتبار من الموتى، عبر بيان الحالات المتضادة بين أحوال أهل الدنيا وأحوال أهل القبور، وأمّا بخصوص عالم الخلق كان لأجل تعظيم الله تعالى -الصانع- عبر تعظيم صنّعه؛ وذلك بإيراد المتضادات من أحوال الخلق، وأمّا بخصوص عالم الجن - صفات إبليس وقبيله - فكان لأجل التنبيه على الصفات المذمومة التي أرادت بإبليس وأخرجه من ساحة رضوان الله تعالى، والاعتبار منه، وذلك عبر مقابلة هذه الصفات المذمومة بصفات متضادة: إمّا هي عقوبة له؛ فالتصغر عقوبة تكبره، والضعة عقوبة ترفعه، وإمّا هي صفات كانت مطلوبة منه ولكنه جهلها، كالتذلل لأمر الله، وعدم التعرّز، والجدول الآتي يُظهر اطراد ملحوظ باستعمال الطباق والتقابل في عالم البرزخ، ثم بنسبة أقل في عالم الخلق، ونسبة قليلة مع عالم الجن، وعدم استعمالهما مع بقية العوالم^(٤).

العوالم	البرزخ	الخلق	الجن	الملائكة	الجنة	جهنم	المجموع
الطباق	٢١	١١	٤	٠	٠	٠	٣٦
المقابلة	٦	٠	٢	٠	٠	٠	٨
المجموع	٢٧	١١	٦	٠	٠	٠	٤٤

(١) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي، ٢٦٥/١١.

(٢) نهج البلاغة، ٤٩.

(٣) ينظر: م، ن، ٣٨٢.

(٤) إنّ الأرقام في الجدول ناظرة إلى عدد حالات الطباق والتقابل، وليست ناظرة إلى عدد نصوص ورودها.

المطلب الثاني: العكس:

مصطلح بلاغي ويسمى التبدیل أيضا فيه إثارة المتلقي وحمله على الانتباه وإلفات النظر وهو ((أن يقدم أول الكلام جزء ثم يؤخر؛ أي يؤخر الجزء المقدم ويقدم الجزء المؤخر لنكتة، أي يكون مقصودا لمعنى بديع))^(١)، ومثله يُلاحَظ في نصوص البحث بأقل من الطباق والتقابل، ونجده في وصف أحوال الموتى في القبور، كما موضح في الأمثلة الآتية:

١- في قوله (عليه السلام): ((أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا))^(٢)، فالكلام من أربعة مقاطع وكل مقطعين متتاليين متعاكسان، إما لفظاً أو معنى: ففي المقطع الأول بدأ بفعل الوحشة وانتهى بفعل التوطن، ثم عكس الترتيب في المقطع الثاني فبدأ بما انتهى به الأول وانتهى بما بدأ، ثم في المقطع الثالث بدأ بفعل الاشتغال وانتهى بفعل الفراق، ثم عكس الترتيب في المقطع الرابع ولكن ليس بالألفاظ نفسها إنما بالألفاظ أخرى محافظاً على المعنى العام، فبدأ بالفعل "أضاعوا" وهو بديل قريب من الفعل "فارقوا"، ثم انتهى بالفعل "انتقلوا" وهو بديل قريب من الفعل "اشتغلوا"، وغير خاف ما يثيره مثل هذه التغيرات في المتلقي من الانتباه وإلفات النظر، والتأمل في الصياغة ثم في المعنى، فلا يمرُّ على الكلام دون تكرار النظر فيه مُستشِفاً منه الظلال والإحياءات الإضافية، وهو أشبه بتوكيد الشيء بمُغايرِهِ.

٢- نجد أيضاً في وصف أحوال الموتى قوله (عليه السلام): ((لا يَتَعَارَفُونَ لَيْلٍ صَبَاحاً، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً))^(٣) فقد حصل العكس عبْرَ المعاني فقط - لا الألفاظ-؛ فالمقطع الأول بدأ بلفظ "ليل" وانتهى بلفظ "صباح"، ثم بدأ المقطع الثاني بلفظ "نهار" وانتهى بلفظ "مساء" وواضح أن "نهار" يختلف عن "صباح" لفظاً ويتفق معه ضمناً في المعنى؛ فالصباح أول النهار وجزء منه، وكذلك "مساء" يختلف عن "ليل" لفظاً ويتفق معه ضمناً في المعنى؛ فالمساء أول الليل وجزء منه، ويمكن عدُّ هذا العكس انزياحاً عن المألوف والمعتاد، فالمألوف في الاستعمال أن تأتي بنفس الألفاظ، ثم في مرتبة ثانية ما يرادفها كما هو المفهوم من التعريف، وبالتأمل الدقيق يمكن

(١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٢/ ٢٤٠.

(٢) نهج البلاغة، ٣٧٢.

(٣) م، ن، ٤٥٢.

الوصول إلى هدف هذا التباير في اللفظ والمعنى؛ فلو افترضنا النمط المألوف له وهو (لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ نَهَارًا، وَلَا لِنَهَارٍ لَيْلًا) وقد شرحه ابن أبي الحديد -بعد أن ذكره بهذه الصيغة الثانية دون انتباه منه إلى الفرق- وقال أن المَيِّتَ إنَّ كان موته ليلاً -وعلى افتراض أنه يشعر بوقت موته- لبقيت صورة الليل عنده أبداً ولم يعلم بتعقُّب النهار الحاصل خارج القبر، والعكس بالعكس،^(١) ولكن في القول (لا يتعارفون لليل صباحاً) ما يوحي بدلالة إضافية وهي طول الليل، فالشخص الذي يطول ليله وينتظر نهايتها يتمنى الصباح ويطلبه؛ فهو الطليعة والبشارة للنهار، وكذلك القول (وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً)، يوحي بطول النهار، فالذي يطول نهاره وينتظر نهايته يتمنى المساء؛ لأنه بداية الخلاص من النهار وكده، فالكلام في مقام موعظة للأحياء وهم يفهمون معنى الانتظار الطويل.

ولم يفتِ الإمام (عليه السلام) هذا الفرق فنجده في موطن آخر يذكره بالصيغة المألوفة أي: التضاد لفظاً ومعنى، ولكن المقام غير المقام الأول الذي كان مقام إظهار العجز للأموات، فهنا مقام مدح أهل الجنة بعد أن سكنوا في منازلها، وقرت أعينهم فيها.

٣- وذلك في قوله (عليه السلام): ((وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا، تَوَحُّشًا وَانْقِطَاعًا))^(٢)، فالمقطع الأول طرفي التقابل فيه هما "ليلهم" ثم "نهاراً" وتمَّ عكسهما في المقطع الثاني لفظاً ومعنى، فجاء "نهارهم" ثم "ليلهم"، فالسياق هنا ليس انتظار تعقب أحدهما مكان الآخر لِيُسْتَشْرَفَ منهما الطليعة والبداية كما في المثال السابق، فلا فائدة هنا من تبديل النهار بالصباح، والليل بالمساء، إنما تبديل كل الليل بكل النهار، فالمتقون كانوا يقومون الليل ولا ينامون -إلا قليلاً- تخشعاً فأشبه بذلك النهار والجامع بينهما اليقظة، وكذلك تبديل كل النهار بكل الليل، فهم منعزلون ومنقطعون عن الناس في نهارهم توحشاً وانقطاعاً، فأشبه الليل بجامع العزلة وعدم الاختلاط.^(٣)

إنَّ ورود العكس كان قليلاً جداً وقد تركز في وصف عالم البرزخ، وفيه من التضاد كما في الطباق والمقابلة، ولكن مع إلفات نظر أكثر لما فيه من تعدد الألفاظ في طرفي العكس.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٠٢/١١. وقال أنه قد يكون على الحقيقة عند أصحاب نظرية بقاء الأنفس.

(٢) نهج البلاغة، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) ينظر: من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، ٤٢١.

الخاتمة:

تم تأصيل مفهوم العالم الآخر تأصيلاً مفصلاً، ونتج عن ذلك عدة تعريفات للمفهوم ضمن أُطر مُحددة لكل منها، وتم اختيار تعريف من بينها، وهو: " المعاني الواقعة ضمن الإطار المُستمل على أجناس المخلوقات التي يمتنع إدراكها بأدوات العقل البشري -الحس والتجربة-؛ وإنما تُدرَكُ بوساطة الوحي من الله تعالى إلى الأنبياء، ومن خلالهم بالإبلاغ إلى الناس".

وعلى هذا الاختيار شمل البحث من كتاب نهج البلاغة، النصوص التي وردت فيها أخبارُ عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم البرزخ، وعالم الجزاء -الجنة وجهنم-، وعالم الخلق الأول؛ وهو الخلق غير المشهود من خلق السماوات والأرض وخلق آدم (عليه السلام)، وظهر للبحث حجمُ نصوص هذه العوالم، ونسبة كل منها إلى مجموعها، والجدول رقم (٧) الآتي يوضح ذلك^(١):

العوالم	البرزخ	الخلق	الجن	الملائكة	الجحيم	الجنة	المجموع
عدد النصوص	١٦	٧	١١	٤	٦	٥	٤٩
عدد الجمل	٢٧١	١٩٧	١٤٤	١٢٣	٦٠	٥٣	٨٤٨
النسبة المئوية	%٣٢	%٢٣	%١٧	%١٤,٥	%٧	%٦,٥	%١٠٠

إنَّ أبرز مقاصد الإمام (عليه السلام) التي ظهرت جليةً في البحث تركّزت في أربعة أغراض رئيسة: الأول: تعظيم الملائكة والخلق الأول، وتعظيمهما كان طريقاً لتعظيم الله سبحانه وتعالى، والثاني: التحذير من الشيطان والتنبية إلى مكائده، والتنبية من الغفلة عن الموت وما بعده من حياة البرزخ، والثالث: الترهيب من أهوال جهنم وأهوال البرزخ، الرابع: الترغيب في نعم الجنة وكرامتها. وقد تجلّت هذه الأغراض والمقاصد عبر الأساليب اللغوية في مستوياتها الثلاثة:

أولاً: في المستوى الصوتي:

١. بروز ظاهرة مناسبة الصوت للمعنى، وبتكرار ملحوظ في بعض النصوص؛ فجاءت الأصوات الموحية بالسعة والامتداد والعظمة مطردةً ومتناسقةً في وصف خلق الملائكة، وأمّا في خلق

(١) الجدول يبين حجم النصوص التي وردت في وصف العالم الآخر، ونسبة كل منها إلى مجموع هذه العوالم، وقد تمّ حساب هذه النسبة قياساً على عدد الجمل؛ بينما تمّ إهمال القياس على عدد النصوص لعدم جدواه؛ وذلك أنّ تفاوت النصوص قصراً وطولاً ذو اختلاف شاسع بين نص وآخر؛ فبعض النصوص تتألف من جملتين أو ثلاثة جمل، وبعض آخر مؤلفة من عشرات الجمل، ولأجل الوقوف على التفاصيل وموارد النصوص ومصادرها ينظر إلى قائمة الملاحق، ملحق الجدول رقم (٧).

السموات والأرضين؛ برزت الأصوات الموحية بالشدة والقوة، والنبر على المقطع الطويل المغلق، وأما في وصف البرزخ فبرزت صفات القوة: كالتفخيم والصفير والتفشي، وفي أحيانٍ قليلةٍ لوحظَ بروز صفات الضعف كالهمس والرخاوة وهي في المعاني التي جاءت على لسان الحال لأهل القبور، وأما في وصف عذاب جهنم فبرزت الأصوات القوية التي جمعت صفتي الجهر والشدة (الْقَلَّة)، بينما في وصف الجنة ونعمها، برزت الأصوات الرخوة والمهموسة.

٢. تجنيس الألفاظ المتقاربة المعاني لتقارب أصواتها، كما في: (نَفَذَ - نَفَثَ)، (حَدَّكَم - جِدَّكُمْ)، (حَسَبَكُمْ - نَسَبَكُمْ)، مع وصف الشيطان، و(مُنْفَتِقٌ، مُنْفَهَقٌ) مع خلق السماء، و(العَذَابُ - العِتَابُ) مع الجنة، وتجنيس الألفاظ المتقاربة المخرج، مثل: (الأهوال - الأحوال)، (أَعْجَزُ، أَعْوَزُ) مع وصف البرزخ و(عَاجِلٍ، وَآجِلٍ) مع وصف الشيطان.

٣. بروز التوازنات الصوتية للمفردات بالأوزان الصرفية، والمقطعية، وجاءت في التحذير من مكر الشيطان: مَذَاجِرٌ، مَزَاجِرٌ، حَبَائِلٌ مَخَائِلٌ وَمَذَارِجٌ، وهي عموماً بصيغة الكثرة أو منتهى الجموع؛ (مَفْعَلٌ وَمَفْعَلَةٌ) وجمعهما (مفاعِلٌ): ، ووزن (فَعَلَاتٍ): خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ، وَتَرْغَاتِهِ وَنَفَقَاتِهِ، ووزن (فَعَلًا): طَعْنًا، وَحَزًّا، وَدَقًّا، وَقَصْدًا، وَسَوْقًا، ووزن (فَعَلَاتٍ): وَلَجَاتٍ، وَرَطَّاتٍ، وكلها دلَّت على شدة التحذير من مكر الشيطان.

٤. رعاية فواصل الفقرات وتعادلها عبر اختيار ربط الفقرتين المتعادلتين بالواو العاطفة، وبشكل مطرد في التحذير من الشيطان، وبناء الإيقاعات الكلامية المتناسقة؛ منها بتأخير جزء من الكلام رُبُّنُهُ التقديم؛ كما في وصف البرزخ، وجهنم والملائكة، ومنها بإضافة ضمائر معينة إلى الفواصل غير المتفقة بالروي؛ لتوحيد رويها ؛ كإضافة (كاف الخطاب) أو (ميم الجمع) مع وصف الملائكة، وإضافة ضمير الغائبة (ها) مع الجنة.

ثانياً: المستوى التركيبي:

١. تفرد وصف عالم البرزخ بأسلوب التشبيه المؤكد بالأداة (كَأَنَّ) التي هي للتقريب، واطرادها مع مزاجتها بحرف التوكيد (قد) للتحقيق؛ توكيداً على قرب تحقق المخاوف البرزخية.

٢. وتفرد غرض التحذير من الشيطان بأسلوب التوكيد بالقسم من دون بقية الموضوعات.

٣. اطراد استعمال التوكيد بالحرف (قَدْ) للتحقيق مع وصف أهوال البرزخ؛ ترهيباً وتنبيهاً للمتلقى، وكذلك للترهيب من عذاب جهنم، ولكن بنسبة قليلة، ثم بنسبة متوسطة بينهما مع الملائكة تأكيداً على عظمة أوصافهم.

٤. اطراد استعمال أسلوب النفي في وصف الملائكة بالأداتين (لا) و(لم)، وبأنماط متعددة، تنزيهاً لهم عن الصفات البشرية وأحوالهم التي هي من مظان الضعف والعجز؛ كالنوم والسهو، وتوهم الصورة لله سبحانه، ونفي مظاهر الشرك به أو انتحال صفاته، ونفي الصفات الإنسانية الشريرة؛ من تحاسد وغِلٍّ. وتفرّد وصفهم بنمط النفي بـ(لا) الداخلة على الفعل الماضي المعطوفة على نفي سابق، للدلالة على اشتراك أكثر من صفة في النفي، والنفي السابق دائماً كان بـ(لم)، دلالة على صرف النفي إلى الزمن الماضي، وخروج أسلوب الأمر مجازاً إلى غرض النفي والتعجب، دلالة لعلّ شأنهم في قبال الإنسان.

٥. لوحظَ غلبة تأليف النصوص من الجمل الفعلية على حساب الجمل الاسمية بنسبة ٧٩,٥%، وأفادت الدلالة على الانفعالية الشديدة، وظهر غلبة الماضية منها على المضارعة والإنشائية بنسبة الثلثين، وأفادت التحقيق.

٦. تبنى البحث إثبات رأي المحدثين في اعتبار الجملة البائدة بالاسم والتي خبرها جملة فعلية مضارعة؛ على أنها جملة فعلية وليست اسمية؛ لدلالاتها على التجدد؛ كما تبين في محله.

٧. تقديم الخبر على مبتدئه، أو تقديم الفصلة على العمدة، لأجل تخصيص جنس الملائكة بالعصمة، أو لأجل التوكيد على المبالغة في صفات محمودة لهم، وكلها لغرض تعظيمهم، وتقديم المتعلقات على المسند إليه، لغرض التخصيص؛ لبيان مقام الاستكانة عند أهل القيامة، كما في تخصيص الأحوال بيوم القيامة: (اليوم تشخص فيه الأبصار، وتظلم له الأقطار)، وقسم من التأخير أفاد رعاية الفاصلة، فضلاً عن الفائدة المعنوية.

٨. تأكيد تحقق أحداث عذاب جهنم؛ بوصف أحداثها المستقبلية بالفعل الماضي، ونفي المسرات عن أهلها بأسلوب نفي الحدث المضارع بـ(لا) كنفي انقطاع العذاب.

ثالثاً: المستوى الدلالي:

١. كان للتشبيه التمثيلي أثرٌ بارز في بيان عظيم خِلقة الملائكة إذ ينتزع لهم الصفات المناسبة من أشياء عظيمة متعددة؛ فالأشياء المفردة قد لا تفي ببيان هيئاتهم وأدوارهم، وكذلك أثرٌ للاستعارات المبنية على الوصف الحسيّ للمشبه به، ومُختارة من مفردات مألوفة جداً "كالجبال الشاهقة" مثلاً؛ لغرض تجسيمهم وتقريب صورهم إلى العقل البشري الذي من طبعه الانحياز إلى المحسوسات المألوفة.

٢. تَمَيَّزَ في وصف الخَلْقِ الأول تشبيه الشيء العظيم (كَتَصَرَّفِ الرِّيحِ بموج البحار) بالشيء البسيط (كَمَخَضَ اللَّبَنِ)، وحضور الاستعارة التشخيصية لِبَثِّ الحياة في الجمادات.
٣. لوحِظَ في وصف الشيطان قلة استعمال التشبيه، وجاء التمثيل الحسِّي في وصفه وتشبيهه بالصياد عن طريق استعارات مكنية، واستعمال أسلوب المبالغة في وصف اتحاد الشيطان بالإنسان، وشِدَّةَ تَمَكُّنِهِ من أتباعه. ولوحِظَ تداخل الفنون الكلامية فيما بينها بدقَّةٍ ولطافةٍ، ناسبَ ما حَمَلَتْها من معانٍ في دقَّةِ مكرِ الشياطين، وتداخل حيلهم بعضها في بعض، ولطافة دخولهم في القلوب والصدور وتمكُّنها منها.
٤. تَمَيَّزَ وصف العالم البرزخي بتشبيهات تقيّدُ تقريبَ حياةِ الأحياءِ بحياةِ الأمواتِ، وأخرى تقيّدُ انعدامَ القدرة عندَ المَوْتِ، وجاءت الاستعارات تجسيمية مكنية تُجسِّمُ الموت وتُشَبِّهُه بالوحش الكاسر، والكناية عنه بكأس السم.
٥. تَبَيَّنَ للبحث أنَّ أسلوب التشبيه لم يستعمل في وصف الجنة ولا في وصف جهنم؛ بل أنَّ الصور جاءت حقيقية. ولاحظ قلة استعمال أسلوب الاستعارة عندَ وَصْفِهَا نسبة إلى بقية العوالم المختارة، ويكاد يكون نوع الاستعارة فيهما من الأنواع المألوفة التي دخلت في عدادِ الكلام العادي كـ"تَغَيُّطِ النار"، أو هي قريبة الدلالة.
٦. وجاء استعمال الطِّبَاقِ والتقابل في ثلاثة عوالم: الأول: البرزخ؛ وأفادت بيان الحالات المتضادة بين أحوال أهل الدنيا وأحوال أهل القبور، أمَّا الثاني: فعالم الخلق؛ وذلك بإيراد المواد المتضادة لخلق آدم (عليه السلام)، وأفادت الإشارة إلى تخالف طبائع بني آدم وأمزجتهم والسرِّ في تفاوت أنواع الخلق، وأمَّا الثالث: فعالم الجنّ - صفات إبليس وقبيله - وذلك عبرَ مقابلة الصفات المذمومة التي ظهرت على إبليس مع صفات متضادة: فتصغيره عقوبةً لتكبُّره، ووضْعُه عقوبةً لترفُّعه، وكان مطلوباً منه التَّنَزُّلُ لأمر الله تعالى ولكنه تعرَّزَ.
٧. وأمَّا استعمال فن العكس فقد اقتصر على وصف عالمين اثنين: الأول: البرزخ؛ وأفاد فيه بيان حالة الموتى التي انعكست عن سابقتها في الدنيا؛ فالقبر الذي كان يوحشهم صار موطناً لهم، والعكس بالعكس، وكذلك لإظهار مبلغ عجزهم سواء لدفع الضرر، أم لجلب المنفعة. أمَّا الثاني: ففي وصف أصحاب الجنة وقد نالوها بما كانت من أحوالهم في الدنيا؛ إذ انعكس ليلهم نهاراً لإحيائهم إياه بالعبادة، وانعكس نهارهم ليلاً بانقطاعهم فيه عن الناس توحشاً من الدنيا.

ملاحق الجداول

١- ملحق الجدول رقم (١): مصادر نصوص الخبر المؤكد بـ(قد):

ت	أولاً: عالم البرزخ	تكرار الشاهد	رقم الصفحة
١-	... لَوْ عَابَيْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ...	١	٧٥
٢-	... أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ...، قَدْ ضَلَّتِ الْحِيلُ، وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ...	١	١٣٦-١٣٧
٣-	... وَقَدْ غَوَدَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ زُهَيْنًا، وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَاءُ جِلْدَتَهُ	٢	١٤٠
٤-	... وَذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ ...، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ،...	١	١٩٤
٥-	... حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَصْغَانُهُمْ وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ...، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ...	٣	٢٢٠
٦-	... وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ رَاحَتْ عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ...	١	٢٩٥
٧-	... لَقَدْ رَجَعْتَ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ ... وَقَدْ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَاءِ فَاسْتَكَّتْ...	٢	٤٥٣-٤٥٤
٨-	... وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَالِهِ الْبَلَى، وَأَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالْتَرَى!؟	١	٤٦٤
	المجموع	١٢	

ت	ثانياً: عالم الملائكة	التكرار	رقم الصفحة
١-	وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ ثُحُومَ الْأَرْضِ... قَدْ نَقَدْتُ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ...، قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ،... قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ... قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ...	٥	١٦٨-١٧٠

ت	ثالثاً: عالم الجحيم	التكرار	رقم الصفحة
١-	... فِي عَذَابٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ ...	٢	٢١٤
٢-	... أَيُّهَا الْيَقِينُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَ الْقَتِيرُ ...	١	٣٥٥

ت	رابعاً: عالم الجن	التكرار	رقم الصفحة
١-	... فَزَكَبَ بِهِمُ الرُّلُلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ...	١	٦٤
٢-	... فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، ... وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ...	١	٣٨٣

ت	خامساً: عالم الخلق	التكرار	رقم الصفحة
١-	.. حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُرْنِ فِيهِ،...أَرْسَلَهُ سَحًّا مُتْدَارِكًا، قَدْ أَسَفَ هَيْدَبُهُ...	١	١٧٣
٢-	فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ... يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُتَعَجِّرُ، وَالْقَمَقَامُ الْمُسَحَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ،	١	٤٣٧

ت	سادساً: عالم الجنة	التكرار	رقم الصفحة
١-	(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا)، قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ	١	٣٧٦

٢- ملحق الجدول رقم (٢): مصادر نصوص الخبر المؤكد بـ(كأن):

ت	أ- المؤكد بـ(كأن) مفردة: - وهي مع عالم البرزخ فقط-	التكرار	رقم الصفحة
١-	... فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا، وَكَأَنَّ الْأَخِرَةَ لَمْ تَنْزِلْ لَهُمْ دَارًا...	٢	٣٧٢
٢-	... فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصَّفَةِ صَرَعى سُبَاتٍ...	١	٤٥٢
	المجموع	٣	

ت	ب- المؤكد بـ(كأن): وبعدها (قد) - وهي مع عالم البرزخ فقط-	التكرار	رقم الصفحة
١-	... فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقْتُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ...	١	١٤٧
٢-	... فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ... وَكَأَنَّ الصَّبِيحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ...	٢	٢٩٥
٣-	... وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا،... وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَقَتْ بِزَلْزِلِهَا...	٢	٣٧٦
٤-	... وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَسَبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ...	١	٤٢٨
٥-	... وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَتْكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ...	١	٤٦٤
	المجموع	٧	

٣- ملحق الجدول رقم (٣): مصادر نصوص الخبر المؤكد بـ(إن):

ت	أولاً: عالم الجن	التكرار	رقم الصفحة
١-	... إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَيِّ لَكُمْ طُرْقَهُ...	١	٢٣٦
٢-	فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ... إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ...	١	٣٨٤
٣-	وَأَيْنَمَا تَلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ... فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا	٢	٣٨٦
٤-	... كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ! فَإِنَّهُ مَلَأَ الشَّنَنَانِ، وَمَنَافِخِ الشَّيْطَانِ...	١	٣٨٧-٣٨٦
٥-	... وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ، فَإِنَّهَا مَصْنُودَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى...	١	٣٩٩
	المجموع	٦	

ت	ثانياً: عالم البرزخ	التكرار	رقم الصفحة
١-	فَإِنَّ الْعَايَةَ الْقِيَامَةَ، وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ	١	٣٧٥
٢-	فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَثُودًا، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا	١	٤٢٨
٣-	غُيْبًا لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَسْتَنُّوا	١	٤٥٢
	المجموع	٣	

ت	ثالثاً: عالم الملائكة	التكرار	رقم الصفحة
١-	مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، ... وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ	١	٢١٠

٤- ملحق الجدول رقم (٤): مصادر أداة النفي (لا) الداخلة على الفعل المضارع:

ت	أولاً: عالم الملائكة	تكرار الشاهد	رقم الصفحة
١-	لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ ... لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ،	٥	٤٨
٢-	لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ	٢	١٦٧
٣-	لَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جَدِّهِمْ بِلَادَةُ الْغَفَلَاتِ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ ... لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ	٤	١٧٠
	المجموع	١١	

ت	ثانياً: عالم البرزخ	التكرار	رقم الصفحة
١-	لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَّتِهَا	٢	١٤٠
٢-	لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَكَثُّرُ الْأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفَلُونَ بِالرَّوَاغِفِ، وَلَا يَأْدُنُونَ لِلْقَوَاصِفِ ... لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحاً...	٥	٤٥٢
٣-	فَهُمْ جَبَرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً ... لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ	٥	٢٢١-٢٢٠
	المجموع	١٢	

ت	ثالثاً: عالم الجنة	التكرار	رقم الصفحة
١-	لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا وَلَا يَهْرُمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبَاسُ سَاكِنُهَا	٤	١٤٨
٢-	حَيْثُ لَا يَطْعَنُ النَّزَالُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، وَلَا تَتَوَبُّهُمُ الْأَفْزَاعُ، وَلَا تَتَالُهِمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ	٦	٢١٤
	المجموع	١٠	

ت	رابعاً: عالم الجحيم	التكرار	رقم الصفحة
١-	لَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُقْصَمُ كُبُولُهَا	٣	٢١٤
٢-	دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ	٢	٥١٠

ت	خامساً: عالم الجن	التكرار	رقم الصفحة
١-	سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ	١	٣٨٣
٢-	وَيُضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ	٢	٣٨٥

٥- ملحق الجدول رقم (٥): مصادر أداة النفي (لم):

ت	أولاً: عالم الملائكة	تكرار	رقم الصفحة
١-	لَمْ تُقْلَهُمْ مُؤَصِّرَاتُ الْآثَامِ، وَلَمْ تَزَلْهُمْ، عُقْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَلَمْ تَزَلْ الشُّكُوكُ بِبَوَازِعِهَا عَزِيمَةً إِيْمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ... وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ	٥	١٦٧-١٦٨
٢-	وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ...، وَلَمْ يُنْفِدْ طَوْلُ الرِّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، ... وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ ... وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طَوْلِ دُعُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغْبَاتُهُمْ فَيَخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لَطُولُ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، ... وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَبْثُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِه رِقَابَهُمْ	٨	١٦٩-١٧٠
٣-	لَمْ تَقْطَعْ أَسْبَابُ الشَّقَقَةِ مِنْهُمْ، فَبِثُوا فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ. وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، ...، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، ... لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ رِيعٌ	٦	١٧٠-١٧١
٤-	لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمَنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلُقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلَمْ يَتَسَعَّبْهُمْ رَبُّبُ الْمُنُونِ؛ ... لَمْ يَبْعُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ	٦	٢١٠
	المجموع	٢٥	

ت	ثانياً: عالم البرزخ	التكرار	رقم الصفحة
١-	فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عَمَّارًا، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا	٢	٣٧٢
٢-	وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرْجًا	١	٤٥٣
٣-	إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، ... فَلَمْ يُجَزْ فِي عَذْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ	١	٤٦٠
	المجموع	٤	

ت	ثالثاً: عالم الخلق	التكرار	رقم الصفحة
١-	أَعَدَّ الْهَوَاءُ مُتَسَمِّمًا لِسَاكِنِهَا، ... ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرْرُ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِئِهَا ... حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ...، وَلَمْ يَنْمِ وَمِيزُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَائِهِ	٢	١٧٣

ت	رابعاً: عالم الجنة	التكرار	رقم الصفحة
١-	قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ	١	٣١٧

٦- ملحق الجدول رقم (٦): مصادر أغراض الأمر:

أ- النصح والإرشاد:

ت	أولاً: عالم الجن	رقم الصفحة
١-	فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَاغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ، وَاعْقُلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ	٢٣٦
٢-	فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدِّكُمْ، وَلَهُ جِدِّكُمْ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلَاحِكُمْ	٣٨٥
٣-	فَأُطْفِئُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَحْوَاتِهِ، وَنَزَاغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ	٣٨٥
٤-	وَاتَّخِذُوا التَّوَّاصِعَ مَسَلَحَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ	٣٨٦
	المجموع	

ت	ثانياً: عالم البرزخ	رقم الصفحة
١-	اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخُرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ	٢٣٤
٢-	وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَعَمَرَاتِهِ، وَأُمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نَزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ... وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطْلَعِ	٣٧٥
٣-	وَكَانَ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، ...، فَاتَّعَطُوا بِالْعَبْرِ، وَاعْتَبَرُوا بِالْغَيْرِ	٢٩٥
	المجموع	

ب- التحذير:

ت	أولاً: عالم الجن	رقم الصفحة
١-	فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهَدَهُ الْجَهِيدَ	٣٨٣
٢-	فَاحْذَرُوا -عِبَادَ اللَّهِ- عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعَدِّكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَقْتِرَكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ	٣٨٤

ت	ثانياً: عالم البرزخ	رقم الصفحة
١-	وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصَّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهْوَالِ زَلَلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ	١٤٠
٢-	وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَمُضْلِعَاتُ الْمَحْذُورِ	٤٢٨

ت	رابعاً: عالم الجحيم	رقم الصفحة
١-	وَاقْفُوا نَاراً حَرًّا شَدِيدًا، وَقَعْرَهَا بَعِيدًا، وَجَلْبِئُهَا حَدِيدًا، وَشَرَابُهَا صَدِيدًا	٢٣٤

٧- ملحق الجدول رقم (٧): (ملحق نصوص الموضوعات)^(١):

ت	أولاً: نصوص عالم البرزخ	تكرار		رقم الصفحة
		الجملة	الكلمات	
١-	فَاتَكُم لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ ... وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ!	٣	٢٢	٧٥
٢-	حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ، ... وَمُقَايَصَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَتَوَالِ النَّوَابِ	١٤	٦٦	١٣٧-١٣٦
٣-	وَقَدْ غَوَدَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِينًا، ... وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَّلِهَا.	٧	٤٩	١٤٠
٤-	وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازِكُمْ عَلَى الصَّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، ... وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ.	٤	١١	١٤١-١٤٠
٥-	فَكَأَنَّ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، ... سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.	٨	٣٠	١٤٧
٦-	وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ... فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقْدَمِيهِ مَوْضِعًا، وَلِنَفْسِهِ مَنَسَعًا.	٥	٢٧	١٩٤
٧-	حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، ...، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ	١٦	٥٩	٢١٣
٨-	فَهُمْ حَبِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ... كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.	١٨	٧٤	٢٢١-٢٢٠
٩-	فَكَأَنَّ كُلَّ امْرَأٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، ... وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَها.	٩	٤٥	٢٩٥
١٠	فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا، ... وَلَا فِي حَسَنِ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَادًا.	٣٦	١٦	٣٧٢
١١	فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ، ... وَأَنَاخْتُ بِكَلاكِهَا.	١٢	٦٣	٣٧٦-٣٧٥
١٢	فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، ... وَلَا مَعْدِرَةٌ تَنْفَعُ	٤٢	١١	٤١٥-٤١٤
١٣	فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كُنُودًا، ... وَمُضْلَعَاتُ الْمَحْدُورِ	٥	٣٢	٤٢٨
١٤	سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرَزْخِ سَبِيلًا ... وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي.	٧٦	٢٧٠	٤٥٤-٤٥٢
١٥	إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، ... فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَاقِقُ عُذْرِ مُنْقَطِعَةٌ!"	٥	٤٢	٤٦١-٤٦٠
١٦	بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ... وَبُعْثَرَتِ الْقُبُورُ؟!	١١	٥٤	٤٦٤
	المجموع	٢٧١	٨٧١	_____

(١) هذا الجدول ملحق للجدول رقم (٧) وفيه جميع مصادر نصوص العالم الآخر مُقسَّمة حسب العوالم المختلفة.

ت	ثانياً: نصوص عالم الخلق	تكرار		رقم الصفحة
		الجملة	الكلمات	
١-	أَنشَأَ الْخَلْقَ إِنشَاءً، ... وَرَقِيمَ مَائِرٍ	٣٦	١٦١	٤٦
٢-	ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ ... وَاسْتَنَامَاً لِلْبَلِيَّةِ، وَانْجَازاً لِلْعِدَّةِ	٣٤	١٣٦	٤٩
٣-	إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ ...، وَلَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ	٨	٣١	١٥٧
٤-	وَنَظَّمَ بِلاَ تَغْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجَهَا، ... وَنُحُوسَهَا وَسُغُودَهَا	٢٠	١١٤	١٦٥
٥-	كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَقْلِلَةٍ ... وَلَيَقِيمُ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ.	٥٨	٣١٤	١٧١-١٧٤
٦-	ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور ... وإبعاده للخلاء منهم	١٠	٤٧	٣٨٣
٧-	فَكَانَ مِنْ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ ...، وَتَمَخُّضِهِ الْعَمَامِ الدَّوَارِفُ	٣١	١٣٥	٤٣٧-٤٣٨
	المجموع	١٩٧	٩٣٨	

ت	ثالثاً: نصوص عالم الجن	تكرار		رقم الصفحة
		الجملة	الكلمات	
١-	اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، ... وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!	١٣	٣٦	٦٣-٦٤
٢-	وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، ...، وَيُمْنِيهِ النَّوْبَةُ لِيُسَوِّفَهَا ...	٣	١٨	١١٩-١٢٠
٣-	أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْدَرَ بِمَا أَنْذَرَ، ... وَحَذَرَ مَا أَمَّنَ.	١٧	٤٥	١٤٢
٤-	إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، ... وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ.	٧	٢٨	٢٣٦
٥-	وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَذَاجِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ، وَالْإِعْتَصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ.	٢	٩	٢٧٨
٦-	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعِزُّ وَالْكَبْرِيَاءُ، ... وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعيراً!؟"	١٩	٩١	٢٨٢-٢٨٣
٧-	فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ ...، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا.	٦٠	٢٧٩	٢٨٣-٢٨٦
٨-	فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ، ... وَكِبَرِ تَضَائِقَتِ الصُّدُورِ بِهِ.	٨	٤٣	٣٨٦-٣٨٧
٩-	اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، ...، وَمَوَاطِيَّ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.	٤	٢٨	٣٨٨
١٠-	فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُغْيِ، ... لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ.	٥	٣٧	٣٩٣
١١-	أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِي وَأَنْتَ طِينِي.	٦	١٥	٣٩٤
	المجموع	١٤٤	٦٢٩	

ت	تكرار		رابعاً: نصوص عالم الملائكة
	الجملة	الكلمات	
١-	١٩	١٠٣	ثُمَّ فَتَقَّ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا،... وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ
٢-	٧٨	٤٨٤	ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ،... وَتَرْدَادُ عِزَّةِ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا.
٣-	١٣	٦٨	مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ... وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ
٤-	١٣	٤٤	هَلْ تُحْسِبُ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟ ... كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟!
	١٢٣	٦٨٩	المجموع

ت	تكرار		خامساً: عالم الجحيم - جهنم -
	الجملة	الكلمات	
١	١٠	٢٨	اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ، ... وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ
٢	٨	٢٠	فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ، ... وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ
٣	١٣	٥١	فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنْ نَارٍ ... حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ.
٤	١٣	٥٤	وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلْنَاهُمْ شَرَّ دَارٍ، ... وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى
٥	١٦	٣٢	فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، ... فَطَبِيعَةُ أُمُورِهَا
٦-	١٠	٣٢	وَأَعْظَمُ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ نُرُوزُ الْحَمِيمِ... وَعَذَابُ السَّاعَاتِ
	٦٠	٢١٧	المجموع

ت	تكرار		سادساً: عالم الجنة
	الجملة	الكلمات	
١	٦	٣٦	دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ ... وَلَا يَبْئَسُ سَاكِنُهَا
٢	٩	٢٩	فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَنْتَابُهُمْ بِجَوَارِهِ، ... وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ
٣	٢٠	١٠٩	فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ ... مُجَاوِزَةَ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا.
٤	١٠	٣٣	"وَاعْلَمُوا أَنَّهُ ... وَرَفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ"
٥	٩	٥٧	قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، ... فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَنَعِيمٍ قَائِمٍ
	٥٤	٢٦٤	المجموع

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العَوْتَبِي الصُّحَارِي (ت ٥١١هـ)، تح: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، ط ١، ١٩٩٩م.
٢. أدوات الإعراب، ظاهر شوكت البياتي، النشر: مؤسسة مجد، بيروت، ط ١: ٢٠٠٥م.
٣. أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة - المعاني، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي، الناشر: وكالة المطبوعات - الكويت، ط ١، ١٩٨٠م.
٤. أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، نشر: دار المدني بجدة، ط ١: ١٩٩١م.
٥. أسرار العربية، الإمام أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قدادة دار الجبل - بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
٦. أسس علم اللغة: ماريوباي، تر: د. أحمد مختار عمر، نشر: جامعة طرابلس، ١٩٧٣م.
٧. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٨: ١٩٩١م.
٨. الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية)، سعد مصلوح، عالم الكتب - مصر، ط ٣: ١٩٩٢م.
٩. الأسلوبية، بيير جيرو، تر: منذر عياشي، نشر مركز الإنماء الحضاري، ط ٢: ١٩٩٤م.
١٠. الأسلوبية الرؤية والتطبيق د. يوسف ابو العدوس، دار المسيرة، عمان، ط ١، ٢٠٠٧م.
١١. الأسلوبية - مدخل نظري ودراسة تطبيقية - د. فتح الله سليمان، مكتبة الآداب - القاهرة، د. ط: ٢٠٠٤م.
١٢. الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط ٣: (د. ت.).
١٣. الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، نشر: مركز الإنماء الحضاري، ط ٢: ٢٠٠٢م.
١٤. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مطبعة نهضة، القاهرة - مصر، د. ط، د. ت.
١٥. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣هـ)، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب بيروت، لبنان، د. ت.
١٦. إعراب نهج البلاغة وبيان معانيه، د. زهير غازي زاهد، الناشر: التميمي، النجف، ط ١: ٢٠١٤م.
١٧. أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي، المعروف بابن الشجري (ت ٥٤٢هـ)، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١: ١٩٩١م.

١٨. الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١ مصححة: ١٤٣٤ - ٢٠١٣ م.
١٩. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ط ٣: ١٩٩٣ م.
٢٠. البارع في اللغة، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون (ت: ٣٥٦هـ)، تح: هشام الطعان، نشر: مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، ط ١: ١٩٧٥ م.
٢١. البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، ط ٦، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٨ م.
٢٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة، د - ط، ١٩٩٦ م.
٢٣. البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع، حسن إسماعيل الجناحي (ت: ١٤٢٩هـ)، نشر: المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، ط ١: ٢٠٠٦ م.
٢٤. البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، (د. ط)، ١٩٩٧ م.
٢٥. بلاغة النهج في نهج البلاغة، د. عباس علي الفحام، دار الرضوان - عمان - الأردن، ط ١: ٢٠١٤ م.
٢٦. البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية، لونجمان، مصر، ١٩٩٤ م.
٢٧. البنيوية وعلم الاشارة، ترنس هوكرز، ترجمة، مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، بغداد - العراق، ط ١: ١٩٨٦ م.
٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د - ط، د - ت.
٢٩. تاريخ الأدب العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط ١: ١٩٩٥ م.
٣٠. تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت - لبنان، (د. ط): ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
٣١. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار البصائر للنشر - الجزائر: ٢٠٠٧ م.
٣٢. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ) تح: ابراهيم شمس الدين، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢: ٢٠٠٧ م.
٣٣. تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تح: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق - سوريا، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٣٤. تحقيق الفوائد الغياثية، محمد بن يوسف شمس الدين الكرمانی (ت ٧٨٦هـ)، تح: د. علي بن دخيل الله العوفي، نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١: ١٤٢٤هـ.

٣٥. تحليل الخطاب الأدبي - على ضوء المناهج النقدية الحداثية دراسة في نقد النقد - محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
٣٦. التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: د. حسن هنداي، دار القلم - دمشق، ط ١: (د. ت).
٣٧. التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٨. التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧: ٢٠٠٤م.
٣٩. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، ط ٤: ٢٠٠٦م.
٤٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ت ٨١٦هـ) تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٣م.
٤١. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجدي، دار الكتب العلمية، ط ١: ٢٠٠٣م.
٤٢. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط ١: ٢٠٠١م.
٤٣. تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، قم: إيران، ط ١: ١٤٢٠هـ.
٤٤. تفسير القرآن الكريم - مفتاح أحسن الخزائن الإلهية - السيد مصطفى الخميني، تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ط ١: ١٤١٨هـ.
٤٥. التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠هـ)، تح: مجموعة من المحققين، مطبعة دار الكتب - القاهرة، د. ط، ١٩٧٩م.
٤٦. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين الحلبي محمد بن يوسف، ناظر الجيش، تح: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، القاهرة - مصر، ط ١، ١٤٢٨هـ.
٤٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
٤٨. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبدالقاهر الجرجاني، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط ٣: د. ت.
٤٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠م.
٥٠. جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الدكتور محمد عبد المطلب، نشر: لونجمان، مطبعة القاهرة - مصر، ط ١: ١٩٩٥م.
٥١. الجملة الخبرية في نهج البلاغة، د. علي عبدالفتاح محي الشمري، دار صفاء، عمان - الأردن، ط ١: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٥٢. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٧م.
٥٣. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١٣٧٩، ١٢هـ - ١٩٦٠م.
٥٤. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، تح: محمود بن الجميل مكتبة الصفا، القاهرة، ط ١: ٢٠٠٢م.
٥٥. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، د - ط، ١٩٥٧م.
٥٦. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٨١م.
٥٧. خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.
٥٨. خلف أسوار العلم، عبدالوهاب السيد، وسندس راشد دخيل، الكويت، ط ٢: ٢٠٠٧م.
٥٩. دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٧م.
٦٠. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية، القاهرة-مصر، ط ١: ١٩٩٠م.
٦١. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، د. ت.
٦٢. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط ٥، ١٩٨٤م.
٦٣. رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٩٦٤م.
٦٤. الزمن واللغة، مالك يوسف المطليبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
٦٥. زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، مصر، (د. ط): (د. ت).
٦٦. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
٦٧. سنن ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١: ٢٠٠٩م.
٦٨. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة - مصر، ط ٢٠، ١٩٨٠م.

٦٩. شرح كفاية المتحفظ (تحرير الرواية في تقرير الكفاية)، محمد بن الطيب الفاسي (ت ١١٧٠هـ)، تح: د. علي حسين البواب، دار العلوم للطباعة - الرياض، ط ١، ١٩٨٣م.
٧٠. شرح تسهيل الفوائد، جمال الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الله ابن مالك، (ت ٦٧٢هـ)، تح: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة، ط: ١٩٩٠م.
٧١. شرح الكافية الشافية، ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١: ٢٠٠٠م.
٧٢. شرح المصطلحات الفلسفية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد - إيران، ط ١، ١٤١٤هـ.
٧٣. شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصل، المعروف بابن يعيش، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠١م.
٧٤. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تح محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي بغداد، ط ١، ٢٠٠٧م.
٧٥. شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٨٩هـ)، دار الثقلين، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٠ - ١٩٩٩م.
٧٦. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط ٢: ١٩٦٧م.
٧٧. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٩م.
٧٨. الصّاح "تاج اللغة وصّاح العربية"، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤: ١٩٨٧م.
٧٩. الصرف وعلم الأصوات، دريزة سقال، دار الصداقة العربية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
٨٠. الصوت اللغوي في القرآن الكريم : د. محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٨١. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر عصفور، دار الثقافة ، مصر،
٨٢. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بهاء الدين السبكي، (ت ٧٧٣هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة، بيروت - لبنان، ط ١: ٢٠٠٣م.
٨٣. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل نشر: دار الشروق، ط ١: ١٩٩٨م.
٨٤. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة - مصر، د - ط، ٢٠٠٠م.
٨٥. علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، (د. ط): (د. ت).
٨٦. علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، (د. ط): (د. ت). ١٩٨٢م.

٨٧. علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط٥: ١٩٩٨م.
٨٨. علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، تر: د. يوثيل يوسف عزيز، آفاق عربية، ١٩٨٥م.
٨٩. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، النهضة العربية، بيروت، د.ط: د.ت.
٩٠. علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ط١: ٢٠٠٩م.
٩١. علوم البلاغة - البديع والبيان والمعاني - محمد أحمد قاسم، ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ط١: ٢٠٠٣م.
٩٢. غريب الحديث للخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تح: إبراهيم كريم الغرباوي، دار الفكر - دمشق، د.ط: ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٩٣. فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت٩٢٧هـ)، تح: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر، دولة قطر: ط١: ٢٠٠٩م.
٩٤. الفعل زمانه أبنيته، د. ابراهيم السامرائي، د. ط، ١٩٦٦م.
٩٥. فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، عمان - الأردن، ط٢: ١٩٦٤م.
٩٦. في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي، د. مالك المطليبي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨١م.
٩٧. في رحاب نهج البلاغة، الأستاذ مرتضى المطهري، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط١: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٩٨. في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، ط٢: ١٩٨٦م.
٩٩. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، أ.د. محمد صابر عبيد، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - ٢٠٠١م.
١٠٠. كتاب البديع، عبدالله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، دار المسيرة - بيروت - لبنان، ط٣: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٠١. كتاب الجرائيم، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، تح: محمد جاسم الحميدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، (د. ط): ١٩٩٧م.
١٠٢. الكتاب، (كتاب سيبويه)، عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل - بيروت، (ج٣+ج٤) ط١: د - ت.
١٠٣. الكتاب، (كتاب سيبويه)، (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، (ج١)، ط٣: ١٩٨٨م.

١٠٤. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد - العراق، ١٩٨٠م.
١٠٥. كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
١٠٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٩٩٨م.
١٠٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م.
١٠٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤١٤ هـ.
١٠٩. اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عياد، ط ١: ١٩٨٨م.
١١٠. اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩٤م.
١١١. اللغة، فندريس، تر: عبد الحميد الدواخلي - محمد القصاص، تقديم: فاطمة خليل، المطابع الأميرية، القاهرة - مصر، د - ط، ٢٠١٤م.
١١٢. اللغة واللون، احمد مختار عمر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ط ٢: ١٩٩٧م.
١١٣. اللوحة في شرح الملح، محمد بن حسن بن سباع، المعروف بابن الصائغ، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ.
١١٤. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط ٣، ٢٠٠٨م.
١١٥. مبادئ النقد الأدبي، أريتشاردز، ترجمة د. مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر - القاهرة، ١٩٦٣م.
١١٦. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت ٤٥٨هـ) تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
١١٧. مدخل إلى علم الأسلوب، شكري عياد، المشروع للطباعة - مصر، ط ٢: ١٩٩٢م.
١١٨. مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، نشر: دار قباء، القاهرة، د.ط: د.ت.
١١٩. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، المطبعة المولوية - فاس، ١٣٢٨هـ.

١٢٠. مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي، تح: السيد مهدي الرحابي، طبع: مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة - إيران، ط ٢: ١٤٢٩ هـ.
١٢١. المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
١٢٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن "مختصر تفسير البغوي"، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وجماعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط ٤، ١٩٩٧ م.
١٢٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٨ م.
١٢٤. معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن، ط ١: ٢٠٠٠ م.
١٢٥. معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، تر: د. حميد لحمداني، دار النجاح البيضاء، ط ١: ١٩٩٣ م.
١٢٦. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ م.
١٢٧. معجم إعراب ألفاظ نهج البلاغة، أم البنين خالقيان، نشر: طهران - بنياد نهج البلاغة، ط ١: ١٣٩١ هـ.
١٢٨. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تح: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران، ط ١، ١٤١٢ هـ.
١٢٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٨ م.
١٣٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦ م.
١٣١. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان - بيروت، ط ٢: ١٩٨٤ م.
١٣٢. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة - مصر، ط ١: ٢٠٠٤ م.
١٣٣. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق - سوريا، د - ط، ١٩٧٩ م.

١٣٤. المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي، منشورات جامعة الفاتح، الجماهيرية العظمى، ١٩٩٣م.
١٣٥. مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط ٥، ١٩٧٢م.
١٣٦. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
١٣٧. مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٧م.
١٣٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢هـ) تح: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، دمشق-سوريا، ط ١، ١٤١٢هـ.
١٣٩. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تح: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط ١، ٢٠٠٧م.
١٤٠. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبدالخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، د.ط: ١٩٩٤م.
١٤١. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط ٦، ١٩٧٨م.
١٤٢. مناهج البحث في اللغة: د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.
١٤٣. من بلاغة الإمام علي في نهج البلاغة، علاء حسن الأسدي، مؤسسة المحبين - مطبعة الرسول، قم - إيران، ط ١، ٢٠٠٦م.
١٤٤. المنطق، محمد رضا المظفر، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، ط ٣: ٢٠٠٦م.
١٤٥. منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، صححه إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية - طهران ط ٤: د.ت.
١٤٦. المنهج الصوتي للبنية العربية - رؤية جديدة في الصرف العربي :عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٨٠م.
١٤٧. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، منشورات دار التفسير، قم - إيران، ط ٥، ٢٠١٠م.
١٤٨. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ط ٢: ١٩٥٢م.
١٤٩. النشر في القراءات العشر، أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، تح: علي محمد الضَّبَّاع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د - ط ، د - ت.
١٥٠. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار الفاروق، عمان - الأردن، د. ط: ٢٠١٣م.

١٥١. نفحات الولاية شرح نهج البلاغة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة، بيروت - لبنان، ط١: ٢٠١١م.

١٥٢. النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة نهضة مصر، القاهرة (د،ت).
١٥٣. نهج البلاغة، الشريف الرضي، حققه وضبط نصّه على أربع نسخ خطية قديمة الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، جزء واحد فقط، ط١: ٢٠١٠م.

الرسائل والأطاريح:

١. الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، كاظم عبد فريح الموسوي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة البصرة، ٢٠٠٦م.
٢. أسلوب الشرط في نهج البلاغة، دراسة نحوية تطبيقية، يُسرى خلف سمير السّعدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩م.

الدوريات والمجلات:

١. دور التشبيه الدلالي في نهج البلاغة، د. علي زيتون، مجلة المنهاج، العدد الثاني، د.ت.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

Summary

In the name of Allah the Merciful

The significance of this message, labeled “The Other World in the Approach of Rhetoric,” is a stylistic study of the importance of research and study in the words of the Commander of the Faithful. Politics, history and other social areas, and a door to access in the fields of eloquence and

Despite the many studies in the texts of the approach of rhetoric and diversity in topics and with the diversity of curricula taken in them, but most researchers and those interested in this regard assert that these texts are not fulfilled their right, hence the choice of study part of it did not shed light on the linguistic and rhetorical characteristics The other world includes topics that have been told about the worlds beyond the realization of the human mind, the world of angels, the world of the jinn, the world of the isthmus, the world of the penalty and the world of the first creation, and what they combine in language is the way of expressing groups and vocabulary not understood by ordinary people in normal and familiar language expression N is expressed by the use of linguistic that will take them from the area of the unknown to the known area, and bring these worlds in the hands of the sensory and natural mind of man.

In order to reveal these linguistic abilities, they must be addressed through appropriate curricula and hence the choice of the method of descriptive desalination as a type of study, because of the scope of the horizon of its fields;

Accordingly, the research plan consisted of a prelude to the concept of the “other world”, which was not agreed upon as a specific linguistic term. Then, three chapters representing the three linguistic levels: phonetic, syntactic, semantic, and the conclusion of the most important search results.

The research relies on documenting its texts on a copy by Sheikh Qais Bahjat Al-Attar. The explanations of the rhetoric approach are numerous in order to investigate the minutes of directions and graduations for such metaphysical meanings, which were often not agreed



upon by the commentator. The rhetoric of Mirza Habibullah al-Khoei was not unique to what came

This is what made him look at the views of the former and discuss and correspond between them, as well as his own opinion, especially as the latecomers appeared on their explanations old theories based on some philosophical guidance, which was mostly based on self-analysis and imaginary, while modern explanations appeared on Effects of accurate scientific methods in various aspects of science.

The study presented many difficulties, including the capacity of the stylistic curriculum and the level of language levels and ramifications, and the difficulty of dealing with the texts of these strange worlds on the life and perception of the people of the world, and other personal difficulties, especially the complex circumstances generated by the sudden migration from the birthplace, as a result of political changes and the control of obscurantist groups (ISIS)), As well as the ensuing circumstances of returning home in an unstable atmosphere and no maid for research

Praise be to All, he is appointed in the missions and shelter in Malamat, and thanking him thanks his reasons; my professors in the Department of Arabic language for what they learned from me very much, and the abundance of their creativity, and thanks to the people of my house for their patience, and to every friend encouraged me and every colleague who helped me and all Thank you to the respected professors in the discussion committee for reading this modest research, hoping to correct it.I did not mistake it except for my ignorance, and my last claim is that Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and blessings be upon Muhammad and his good family.





The Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Kufa - College of Basic
Education
the department of Arabic language

The other world in Nahj al-balagha Stylistic study

A letter from the student

Moyassar Mohammed Saeed Muqtad al-Musawi

To the Council of the College of Basic Education at the
University of Kufa, which is part of the requirements to obtain
a master's degree in Arabic language and literature

**Under the supervision of Prof. Dr.
Hassan Hamid Fayyad**

2020م.

1441هـ.